موسوعة
عالم علم النفس

NOBILIS

المعجم الموسوعي للتحليل النفسي ①

إسم الموسوعة : موسوعة عالم عِلم النفس

إسم المؤلِّف : الدكتور عبد المنعم الحفني

إعـداد : قسم الدراسات في دار نوبِليس

بـإشراف الأستـاذ غسّان شديـد

قياس الكتاب : 27.5 × 19.5 سم

عدد صفحات الجزء : 240

عدد صفحات المجموعة : 6436

إسم الكتاب : المعجم الموسوعي للتحليل النفسي - مجلد (1)

مكان النشر : بيروت – لبنان

دار النشر والتوزيع : دار نوبِليس

تلفاكس : 961 1 583475

تلفون : 961 1 581121

961 3 581121

الطبعة الأولى : 2005

عالم عِلم النفس

22

الدكتور عبد المنعم الحفني

المعجم الموسوعي للتحليل النفسي

«عربي - إنجليزي - فرنسي - ألماني»

المجلّد الأول

NOBILIS
MAISON D'EDITION

الكتاب الشامل لمصطلحات وأشخاص ومؤلفات للتحليل النفسي، وتاريخ حركة التحليل النفسي ومؤتمراته وكشوفه، والتحليل النفسي عند مختلف المدارس في حياة فرويد وبعد وفاته...

«Who Solves the Riddle of the Sphinx is the Most Mighty...»

Oedipus the King

* * *

«من يستطيع أن يحلّ لغز «أبو الهول» فهو الإنسان الأقوى».

الملك أوديب

* * *

«لا شيء يمكن أن يثبت عظمة الله أكثر من هذه السماء ذات النجوم فوقنا، وهذا الضمير الأخلاقي بين جوانحنا، فالكون المادي دليل مادي على وجود الله، والضمير أو الأنا الأعلى هو الدليل المعنوي على وجوده سبحانه».

الفيلسوف كنط

* * *

- أ -

حرف الألف

أبراهام، كارل

Abraham, Karl

(١٨٧٧ - ١٩٢٥) من كبار مؤسّسي حركة التحليل النفسي، وكان أول من أسّس جمعية فرعية للتحليل النفسي وجعل مركزها برلين لتكون العاصمة الثانية لحركة التحليل النفسي، بعد ڤيينا مقر سيجموند فرويد والموطن الأصلي للحركة.

وأبراهام من أسرة متوسطة، تعلم في ڤيرتسبورج، وحصل على الدكتوراه من فرايبورج، واشتغل بمصحة برجولزي الجامعية، وزامل فيها بلويلر ويونج وإيتنون، وكان قد بدأ يتراسل وفرويد، والتقى به لأول مرة سنة ١٩٠٧. ونشر أبراهام نحو المائة بحث، وأربعة كتب، عالج فيهاموضوعات كسيكولوجية العصاب، وازدواج الجنسية، والفيتيشية، والهيستيريا، والاكتئاب، والأحلام، والاضطرابات الجنسية، ومن ذلك «دراسة قصيرة في نمو اللبيدو» (١٩٢٤)، و«تكوين الخُلُق على المستوى التناسلي من نمو اللبيدو» (١٩٢٥). ومن إسهاماته تفريقه في المرحلة الفموية بين الرغبة في المص والرغبة في العض، وفي المرحلة الشرجية بين الرغبة في الإخراج والرغبة في الإمساك، وتفريقه بين وظيفة القضيب في التبول ووظيفته في القذف، وهذه التفرقة الأخيرة هي التي بنى عليها فرويد تفرقته بين الطور القضيبي والطور التناسلي. وكان أول بحث لأبراهام ينشره في مجال التحليل النفسي هو «الحلم والأسطورة» (١٩٠٩)، وهو من بحوثه في التحليل التطبيقي، التي منها أيضاً بحثه عن «أخناتون» (١٩١٢) الذي استخدم فيه المنهج المقارن، بمقارنة أقوال المؤرخين مع تحليل المبادىء التي نادى بها أخناتون، وتابع فرويد في هذا البحث الأخير على طريقته التي توفر بها على كتابه في تحليل شخصية ليوناردو داڤنشي رسّام عصر النهضة، والذي نشره سنة ١٩٠٩. ولم يشترك أبراهام في الخلافات الحادّة التي فجرها المنشقون على فرويد، إلا أنه كان ضد كارل يونج منذ البداية، وقد نبهه فرويد إلى خطورة الاعتماد عليه. فلما أسفر يونج عن معارضته

لطريقة فرويد ومدرسته واعتزل الفرويديين وانسحب من دولية التحليل النفسي أبدى أبراهام سروره لذلك، ونشر بحثاً في «نقد كارل يونج» (١٩١٤)، وقيل إن فرويد كافأ أبراهام على نقده ذاك بأن عيّنه رئيساً مؤقتاً للدولية، ثم سكرتيراً لها، ثم رئيساً عام ١٩٢٤، وأعيد انتخابه عام ١٩٢٥.

وأبراهام يهودي، وكان شديد التزمّت والتعصّب ليهوديته، ولذلك لاقى عنتاً شديداً في بلده ألمانيا، وكان من المحبّذين لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وزار فلسطين مراراً لهذا السبب.

- Abraham: The Psycho-sexual Differences Between Hysteria and Dementia Praecox. (1902).

: Hysterical Dream-states. (1910).

: Pshychonalysis of Obsessional Neurosis. (1916).

: Ejaculatio Praecox. (1917).

: A Particular Form of Neurotic Resistance Against the Psycho-analytic Method. (1919).

: Contribution to a Discussion on Tics. (1912).

: Contribution to the Theory of the Anal Character. (1921).

: Manifestation of the Female Castration Complex. (1922).

: The Spider as a Dream Symbol. (1922).

: The Influence of Oral Erotism on Character - formation. (1924).

: A short Study of the Developement of the Libido. (1924).

: Character - formation on the Genital Level of the Libido.(1925).

: The Psychological Relations Between Sexuality and Alcoholism. (1926).

: The Female Castration Complex. (1927).

❖ ❖ ❖

– إجبار التكرار...

- Repetition - compulsion (E.);...

- Copulsion de Répétition (F.);...

- Wiederholungszwang (D.)...

يقول فرويد بثلاثة مبادىء تحكم العمليات النفسية وتربط بينها، هي مبدأ اللذّة – اللالذة، ومبدأ الواقع، ثم مبدأ إجبار التكرار، وبمقتضى المبدأ الأول فإن

كل إنسان يميل إلى تحقيق اللذة لنفسه من أي نشاط نفسي أو بدني، وأن يتجنّب اللالذّة بمعنى الكدر والألم والتوتر، غير أن الأنا في تطوّره نحو النضج يتعلّم أن يخضع لمبدأ الواقع - أي ما تقتضيه معايشته للناس، وما يفرضه عليه المجتمع وتمليه عليه التربية. وليس مبدأ الواقع هو فقط الذي ينحّي مبدأ اللذة، فإنما هناك حالات لا يفسرها إلا أن يكون هناك دافع غريزي في الإنسان يميل به إلى أن يكرر مواقفه وخبراته واختياراته القديمة حتى لو كانت مؤلمة، متناقضاً مع مبدأ اللذة، ومن ذلك مثلاً أن الأطفال يكررون في ألعابهم تمثيل مواقف لم يتحصل لهم منها إلا الخوف والقلق والألم، وقد يطلبون استعادة حكايات لها مثل ذلك الأثر، وبعض الناس يظهرون كما لو كان لديهم إستعداد لارتكاب الحوادث فيتورّطون في وقائع يتكرر لهم منها الأذى الذي سبق أن عانوه منها، وكأنهم لم يتعلّموا الدرس، والبعض يصرّون على وصف الأحداث المحزنة والمكدرة وكأن وضعها يرضيهم، وقد يمسرحون تفاصيلها والأقوال فيها بصرف النظر عما يستعيدونه في تذكرها من آلام، والكثير من المطلقين والمطلقات يتزوجون من جديد، والغريب أنهم لا يختارون كزوجات أو أزواج إلا المشابهات لمطلقاتهم ومطلقيهم، حتى ليكاد يكون هناك عصاب قدري Destiny neurosis، ووراء ذلك كله دافع إجبار التكرار الذي يعمل لاشعورياً، ويصفه جونز بأنه دافع غريزي أعمى. وغالباً ما يلوم المريض بهذا العصاب الأقدار باعتبارها السبب فيما يأتيه مكرراً. ويستغلّ المعالج النفسي هذا المبدأ في العلاج حيث يميل المرضى النفسانيون إلى معايشة الخبرات المؤلمة واستحضارها خلال التحليل، وكذلك فإنهم يميلون إلى تكرار علاقاتهم الحميمة بذويهم فينزلون المعالج المنزلة التي كانت للوالد أو الوالدة عندهم، ويتعاملون معه المعاملة نفسها، وهو ما يُسمّى الطرح Transference، ومن خلاله يستعيد المريض مشاعره وتوجهاته القديمة، فيستبصرها بمساعدة المعالج، ويتعلّم أن يسيطر عليها ويتوافق معها ويجد الحل لها، ويكرر المريض تفسيره لها وتجاوبه معها ضمن جلسة التحليل

النفسي. ويذكر فرويد ما يسميه أحلام الحرب، وهي كوابيس تأتي الجنود بعد معاناتهم الكوارث التي تفاجئهم في ساحات القتال، ويفيد إتيان هذه الكوارث أنها معايشة من جديد للحدث الجلل، وإنما هو يأتي هذه المرة من غير مفاجأة ويخدم محاولة السيطرة على القلق الذي يستحدثه، أو هو بمثابة إخراج للوجدانات المترسبة والمشاعر المكبوتة للتخلّص نهائياً من آثاره. والاتجاه في التحليل النفسي المعاصر إلى عدم اعتبار إجبار التكرار دافعاً أعمى، ولكنه محاولة لاشعورية للتغلّب على القلق والسيطرة عليه، وقد أظهر فرويد تفضيلاً لهذا التفسير في كتاباته اللاحقة.

مراجع

- Freud: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

❖ ❖ ❖

الإحباط

- Frusration (E.; F.)
- Versagung (D.)

لفرويد نظريتان في العصاب، وفي نظريته الأولى (١٨٩٠) يُرجع العصاب إلى الإحباط الجنسي، ويرد تنوّع الأعصبة إلى تنوّع أشكال الإحباط الجنسي، ومن رأيه أنه لا يمكن أن يتحصل العصاب وحياة الفرد الجنسية Vita sexualis عادية، وأن الإحباط محصلة الجهل بالعمليات النفسية اللاشعورية، واطّلاع المريض على المعنى اللاشعوري للأعراض يُحرّره من الجهل ويرفع عنه الشعور بالإحباط، فما أن يتذكر المريض خبراته الماضية ودلالاتها حتى يدرك علاقتها بالأعراض وحالة الإحباط التي يعيشها، والتي يشعر معها أنه مثبَّت إلى فترة معيّنة من حياته هي الفترة التي بدأ فيها الإحباط، فاعتصم منه بالمرض، ولاذ به كما تعوّد الناس أن يلوذوا من قسوة وشقاء الحياة باللجوء إلى الأديرة. ويقول فرويد إن الأعراض

العصابية بديل عن الإشباع الليبيدي عندما يُعاق ولا يُظفر به في حياة الواقع، وأن المرضى بالعصاب يعانون أصلاً من إحباط هو في صميمه حرمان يكابدونه حيث يصدهم الواقع عن إشباع رغباتهم، ويربط الإحباط بين هذين الغرضين المتضادين: الإشباع والحرمان.

وفي مقال فرويد «صياغات حول مبدأي النشاط النفسي الوظيفي» (١٩١١) يقيم بالمعنى السابق تعارضاً بين غرائز حفظ الذات التي تتطلّب للإشباع موضوعاً خارجياً ويحكمها مبدأ الواقع، والغرائز الجنسية التي يحكمها مبدأ اللذة ويمكن أن تستكفي ذاتياً أو تخيُّلياً. وفي مقاله «أنماط من البدايات العصابية» (١٩١٢) يذكر أن الإصابة بالعصاب وتسارعه قد تتحصل بسبب نقص في الواقع من مثل فقدان موضوع الحب، أو بسبب أن الشخص يمنع نفسه من الإشباعات التي يقدمها الواقع المادي نتيجة الصراعات الداخلية أو بسبب التثبيت. وفي «محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي» (١٩١٧) لا يقتصر الإحباط على الحرمان الخارجي إلا بمقدار ما ينصب على الإشباع الوحيد الذي يتطلبه الشخص، ويفسر وقوع البعض صرعى للأعصبة رغم بلوغهم النجاح نتيجة مشاعر بالإحباط الداخلي. ويبدو تأكيد فرويد على أن الإحباط لا يكمن في غياب الموضوع الواقعي المشبِع وإنما في غياب أسلوب معين من الإشباع، وبناء على افتقاد هذا الأسلوب يكون التمييز في الإصابة بأي من الأعصبة الطرحية، ففي الهيستيريا يكون السبب هو افتقاد الإشباع، والأعراض الهيستيرية لها الطابع الإيجابي لتعويض هذا النقص، وفي الحواز يكون السبب الامتناع عن الإشباع وتنطبع الأعراض لذلك بالطابع السلبي.

مراجع

Freud : Formulations Regarding the Two Principles of Mental Functioning. (1912)

: Types of Onset of Neurosis. (1912)

: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)

❖ ❖ ❖

- «إحراز السيطرة على النار»...

- «The Acquisition and Control of Fire» (E.);...
- «L'Acquisition et le Contrôle du Feu» (F.);...
- «Zur Gewinnung des Feuers» (D.)...

نشر فرويد هذا البحث لأول مرة في مجلة إيماجو سنة ١٩٣٢، وكان في ملاحظة هامشيّة في كتاب «الحضارة ومتاعبها» (١٩٣٠) قد ذكر أن التحليل النفسي يستخلص الكثير من المعلومات التحليليّة من موضوع نجاح الإنسان البدائي في السيطرة على النار. ويُقدم فرويد في هذا البحث ثلاث أساطير ويتصدّى بشرحها بطريقة التمثيل الرمزي، وهي الآلية المستخدمة في الأحلام والأساطير معاً، بتحويل عناصر معيّنة إلى ضدها.

والأسطورة الأولى هي أسطورة جلب البطل بروميثيوس للنار، بسرقتها من الآلهة، مخبّأة في قصبة مجوّفة، والقصبة رمز للقضيب، وليست النار هي التي يخبئها الإنسان في قصبته القضيبية، وإنما - بمقتضى مبدأ التأويل بالضد - ما يخبئه وسيلة لإخماد النار، أي ماء البول، ومن رأي فرويد أنّ الرغبة عند الإنسان الأول في إطفاء النار بالتبوّل عليها بمائه، تعني أن به ميولاً جنسية مثلية لا يطفئها إلا هو، أي بفعل جنسي منه وله. وفي قول آخر إفترض فرويد أن محاولة إخماد النار بالنسبة للإنسان الأول من إنسان آخر تعني أيضاً جنسية لواطية، وهي رمز لإطفاء الشهوة بواسطة قضيب آخر غير قضيبه هو.

ومن جهة أخرى فإن معنى سرقة النار في الأسطورة أن بروميثيوس قد خدع الآلهة الذين تضفي عليهم الأساطير إستباحة كل الشهوات، وما أكثر حالات سفاح المحارم مثلاً في قصص الآلهة. وفي ضوء التحليل النفسي فإن الآلهة تمثّل الحياة الغريزية للإنسان أو الهو، والإنسان إذ يخدعها بسرقة النار واكتساب القدرة على إطفائها يعني أنه يستطيع أن يدفع عن نفسه جموح الغريزة، وأن ينبذ رغباته الغريزية،

ولهذا فوائده لأغراض الحضارة وارتقائها.

وتقول الأسطورة إن الآلهة عاقبت بروميثيوس بقيده إلى صخرة وتركه ليطعم نسر يومياً من كبده، والطير في القصص الأسطورية له دور جنسي، وهو رمز القضيب. وفي تحليل فرويد لحلم ليوناردو دافنشي أن الطير الذي حطّ على فم ليوناردو وهو طفل وعركه بذيله هو رمز للقضيب ولعملية الفيلاتيو (مص القضيب). والكبد كان دائماً محل العواطف والرغبات، ومن هنا كان إنزال العقاب ببروميثيوس هو الشيء الملائم لمجرم جمحت به الغريزة وارتكب جريمته بسرقة النار، أي بدفع قوة الشهوة الشريرة، ولكن المعنى الإجمالي للأسطورة يتصادم مع هذا المعنى، لأن بروميثيوس لم يسرق النار وكفى، بل وعرف أيضاً سر استبقائها بإمكان التغلّب عليها وإطفائها، أي بنبذ الغريزة، ونبذ الغريزة هو أيضاً من الأعمال العدوانية التي تستحق العقاب، وفي تطوّر لاحق من التطوّر النفسي للبشرية يتحول ذلك إلى إحساس بالذنب، فكأن عملية أكل الطير يومياً من كبده، ترمز لقدر الإنسان المقدور عليه أن تكون رغباته وعواطفه متأجّجة دائماً، وأن يستطيع أن يطفئها لأوقات، وأن يتعذب من تأججها وفي إطفائها على السواء. ولم يكن الإنسان البدائي في الأساطير المماثلة يستطيع أن ينظر إلى عاطفة الحب إلا كنار، أو كما في لغة التحليل النفسي كرمز لبيدو. والدفء الذي تثيره النار هو التوهّج المصاحب لحالة الإستثارة الجنسية. ويوحي شكل اللهب وحركته بالقضيب في لحظات النكاح. وفي قصة الملك الروماني سيرفوس تاليوس أن أمه حبلت فيه من شعلة نار على شكل عضو الذكورة. ويتحدث الشعراء عن نار العاطفة التي تلتهم، ويصفون فعل اللهب بأنه يلعق، مقارنين اللهب باللسان أو بالقضيب، وأنه يلعق مثلها. وفي أسطورة العنقاء أن هذا الطير يدخل النار فتلتهمه ويبرز مرة أخرى متجدد الحياة، والعنقاء لا يخفى أنها رمز للقضيب الذي يستعيد حيويته بعد كل ارتخاء، ولربما تدعّم هذه التأويلات الرأي الذي يذهب إلى أن نشاطاتنا في تحريف الأساطير

كنشاطاتنا الشعرية في اللعب بالألفاظ، وتمثّل عمليات عقلية لها مظاهرها المادية لمجرد دافع لذة التمثيل وليس لأي دافع آخر. ولربما نكون على صواب إذ ندرك مضمون هذه الأساطير السابقة المتعلّقة بالنار بأنه يعني تجدّد الرغبات الليبيدية بعد أن كانت قد شبعت وخبت، وبمعنى آخر تؤكّد هذه الأساطير الطبيعة غير القابلة للزوال للرغبات الليبيدية.

وفي أسطورة هرقل، وهيدرا الحية الأفعوانية برؤوسها التي لا تحصى، ومنها رأس لا يقبل الفناء، يحاربها هرقل بقطع رؤوسها ولكنها دائماً تنمو من جديد، فلما حرق الرأس غير الفاني استطاع فقط أن يسيطر على الوحش. وهيدرا حية مائية، ولكن بحسب التأويل إلى الضد فإن هيدرا تكون رمزاً للنار، ويكون فعل هرقل هو محاولة للسيطرة عليها بالإطفاء، وأما ظاهرة تجدّد الرؤوس فهي كما في كبد بروميثيوس تعني تجدّد لانتصاب للقضيب أو للشهوة بعد كل ارتخاء أو انطفاء. وهرقل بطل هذه الأسطورة هو نفسه بطل أسطورة بروميثيوس، لأنه هو الذي يخلّصه من النسر الذي يأكل كبده، وهناك حتماً صلة بين الأسطورتين، حيث أن بروميثيوس هو الذي سرق النار فقط، وهرقل هو الذي استطاع إخماد النار، وكأن بروميثيوس رمز اكتشاف الشهوات الغريزية، وهرقل رمز اكتشاف السيطرة عليها، وأما قطع الرأس غير الفانية لهيدرا فيعني أنه لا إمكان قط للسيطرة نهائياً على الرغبات الغريزية في الإنسان إلا بالإخصاء.

❖ ❖ ❖

الإحساس بالذنب

- **Sense of Guilt (E.);**
- **Sentiment de Culpabilité (F.);**
- **Schulgefühl (D.)...**

هو أيضاً الشعور بالذنب كما يُسمَّى عادة، بالرغم من أن المريض لا يحسّ ولا يشعر به ولا يدركه، لأنه لا شعورياً لا يريد أن يشفى من مرضه، ويفرض عليه الأنا الأعلى أن يظل مريضاً كنوع من العقاب ينزله بالأنا، ويرى أنه يستحقه. وينسب

فرويد ذلك إلى حاجة بالمريض إلى المرض، أو حاجة به إلى الألم، أو حاجة إلى العقاب، ويفسر به الشفاء أو التحسّن الذي يطرأ على الأمراض العصابية الشديدة إذا وقعت للمريض بها بعض الحوادث الحقيقية التي يلحقه منها أذى، فالمهم أن يتكدّر ويشقى، وأما كيف يشقى فليس مهماً، وبعض الناس لهذا السبب تستسلم لمصيرها القاسي كتعبير عن الحاجة إلى العقاب أو الألم، وهذا نفسه ما تتوخاه مشاعر الذنب. ويدرج فرويد ذلك ضمن الرغبات الماسوشية، ويعتبر اكتشاف التحليل النفسي للحاجة للعقاب من أكبر إنجازاته. وهناك نوع من العصابيين تنقلب عندهم غريزة حفظ الذات إلى الضدّ، ويبدو هؤلاء الأشخاص كأن لا غرض لهم إلا إيلام ذواتهم، ومن المحتمل أن الأفراد الذين يلجأون إلى الانتحار من هذه الفئة، ويفترض أن غريزة الهدم عندهم قد اتجهت منها كميات إلى داخلهم، ومن أجل ذلك فإنهم كمرضى لا يحتملون فكرة شفائهم، وذلك من العثرات التي يواجهها التحليل النفسي في علاجهم.

والإحساس بالذنب في الأمراض العصابية القهرية يظلّ لاشعورياً، ويحتاج إظهاره في الشعور إلى مجهود تحليلي كبير، ومن هذه الأمراض ما لا يظهر فيه الشعور بالذنب، ويستعيض عن ذلك بالأعراض والعقوبات والقيود التي تؤدّي إلى عقاب الذات.

ويطلق فرويد على الإحساس اللاشعوري بالذنب إسم الضمير، ويردّه إلى سيطرة الأنا الأعلى على الأنا، ويزيد التعريف بالإحساس بالذنب فيقول إن التوتّر بين مطالب الضمير وما يقوم به الأنا بالفعل إنما يُدرك كأنه إحساس بالذنب، والإحساس بالذنب هو العامل الخُلُقي في المرض النفسي الذي يجد فيه البعض نوعاً من التكفير، والمريض لا يشعر أنه مذنب وإنما يشعر فقط أنه مريض. ويقوم العلاج النفسي على تحويل الإحساس اللاشعوري بالذنب إلى إحساس شعوري، وتتاح للمحلل فرصة التأثير في المريض إذا كان إحساسه بالذنب مستعاراً، أي إذا كان ناتجاً عن التعين بموضوع محبوب فإذا كان كذلك فهو في الغالب الأثر الباقي الوحيد لعلاقة

الحب القديمة. ويلجأ المحلّل لذلك إلى الكشف عن علاقة الحب القديمة كوسيلة للكشف عن دوافع الإحساس بالذنب.

وقد يدفع الإحساس اللاشعوري بالذنب بعض الناس إلى أن يكونوا مجرمين، وبدلاً من أن يكون الإحساس بالذنب مترتباً على الجريمة فإن الجريمة هي التي تترتّب على الإحساس بالذنب وخاصة عند الشباب.

ويتميّز الإحساس بالذنب عن الشعور بالندم Remorse فكما لاحظ فرويد فإن الندم يكون عن فعل ارتكب في الماضي، وأما الإحساس بالذنب فهو حالة هوامية غير مرتبطة بزمن. وأيضاً فإن الندم أساسه أن الرغبات العدوانية قد أُشبعت، وأما في الإحساس بالذنب فهي لا تعدو أن تكون رغبات لم يتحقق لها الإشباع بعد.

مراجع

- Freud: Mourning and Melancholia. (1914)

: The Economic Problem of Masochism. (1924)

❖ ❖ ❖

– أحلام اليقظة......

- Day - dreams (E.)' ...
- Rêves Diurnes (F.)'...
- Tagtraume (D.)...

أحلام اليقظة تخيُّلات لا ترتبط بحالة النوم، وتبدو لذلك متناقضة مع اسمها، إذ كيف تكون أحلاماً والحالم فيها يقظ؟ ثم إنها تختلف عن الأحلام في طبيعتها إذ ليس فيها هلاوس، والحالم فيها لا يرى وإنما هو يفكر، ويعرف أنه لا يحلم كحلم النوم وإنما هو يتصوّر ويتخيّل.

وأحلام اليقظة تكثر في الطفولة، في السن قبل البلوغ، وفي الطفولة المتأخرة، وتختفي في سن النضج، أو تلازم الفرد بقية حياته، وتدفع إليها نزعات للأنانية والطموح، ورغبات شهوية، وأكثرها يدور على الطموح عند الشباب الذكور، بينما تغلب التخيلات الشهوية عند الإناث اللاتي ينصرف تحقيق طوحاتهن عن طريق الحب وتصوّر الوقوع في مغامرات غرامية، إلا أن الرغبات الشهوية تظل الدافع المستور وراء أية تصوّرات تبدو على

غير ذلك. وليست القصص البطولية والمغامرات في الواقع إلا من أجل كسب رضا النساء ونيل إعجابهن، وفيما عدا ذلك تتنوّع أحلام اليقظة وتتباين، فمنها ما يتركه الفرد إلى غيره، ومنها ما يظلّ معه ويلازمه ويحكم صياغته ويبني عليه القصص الطوال التي ينسجها بحسب ظروف الحياة المتغيرة، فكأنها تساير الزمن وتنطبع بملابسات المواقف وتتخالف في جِدتها بتخالف المواقف. وأحلام اليقظة هي المادة الخام لشعر الشعراء وحبكة الروائيين والمسرحيين، والشاعر أو القصّاص هو نفسه البطل ويتقمص مختلف الشخصيات ويتخيّل نفسه فيها جميعاً.

وربما سُميت أحلام اليقظة باسمها لأن مضمونها ليس أكثر من أحلام، أي أنها غير واقعية، وكثيراً ما يكون الاستغراق فيها نذيراً بأعراض هيستيرية. ولا ترتبط الأعراض الهستيرية بذكريات واقعية وإنما أساسها التخيلات على أساس هذه الذكريات الواقعية، وكذلك أحلام اليقظة. وشيوع تخيلات اليقظة الشعورية هو ما ييسر معرفتنا بها، ومع ذلك فهناك عدد كبير لاشعوري من تخيلات اليقظة، وتستمرّ كذلك قسراً بسبب محتواها ومصدرها من مادة مكبوتة. والتعمّق في بحث خصائص أحلام اليقظة وتخيلاتها يثبت صواب وصفها بأنها أحلام لمشاركتها أحلام الليل في الكثير من خصائصها، فهي مثلها تحقق رغبة، وتنهض مثلها على انطباعات من خبرة الطفولة، وتنتفع من تراخي الرقابة، وتعمل فيها الصياغة الثانوية تحويراً وترتيباً، وبينها وبين ذكريات الطفولة التي منها اشتقاقها علاقة كالتي بين القصور الرومانية القديمة والبنايات الحديثة، حينما تُستخدم حجارة هذه القصور في تشييدها. وبعض أحلام النوم ليست أكثر من تكرار لتخيلات أحلام اليقظة، ولعلّها تخيلات لاشعورية، والأكثر حدوثاً أن يكون التخيل النهاري ويعامل كأي جزء من المادة الكامنة وإن بقي مع ذلك متميّزاً ككلٍ في الحلم، وليست الأجزاء من الحلم التي تبدو متسلسلة ومترابطة إلا لأنها تخيلات لاشعورية سبقت كأحلام يقظة واندست في نسيج الحلم.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

❖ ❖ ❖

– الأحيائيّة...

- **Animism (E.);...**
- **Animisme (F.);...**
- **Animismus (D.);...**

الأحيائيّة كما يعالجها فرويد في كتابه «الطوطم والمحرم» (١٩١٣) هي عبادة الأرواح، وخاصة أرواح الموتى، عند البدائيين، وهي لذلك أقدم ديانة إنسانية، وهي اعتقاد البدائيين أن كل ما في الطبيعة هو بحياة، وبه روح أو نفس، وأن أساس الحياة هو هذه النفس أو الروح، ويستعين فرويد ببحوث تايلور في كتابه «الثقافة البدائية» (١٩٠٣) وڤونت في كتابه «الأسطورة والدين» (١٩٠٦)

ويقول مثلهما إن البدائي قد آمن بالأرواح من طول مشاهدته للموتى والنائمين، فردّ ذلك إلى وجود الروح بالجسم في حالة الحياة واليقظة، ومغادرتها له إلى حين في النوم والأحلام، وللأبد في الموت. ويفسّر البدائي وجود العفاريت والجن بأنها أرواح شر، ويؤمن بتناسخ الأرواح، وتلبّس أرواح الموتى للأحياء.

ويقسم فرويد مراحل التاريخ السيكولوجي للبشرية إلى ثلاث مراحل، الأولى مرحلة التصوّر الأحيائي للكون، والثانية مرحلة التصوّر الديني، والثالثة مرحلة التصوّر العلمي، ومن رأيه أنه ما تزال بقايا من المرحلة الأحيائية موجودة في التفكير المعاصر في شكل التطيّر والاعتقاد في الجن والعفاريت والأرواح، ويُحدد التقنية الأحيائية في الرقية والسحر، والأولى هي فن التأثير على الأرواح بمصالحتها وانتزاع عطفها أو ترويعها وتجريدها من قوتها وإخضاعها لإرادة الراقي، والمثال على تقنية السحر إستنزال المطر بمحاكاته، كأن يفعل الساحر فعل المطر فيسكب الماء مدراراً، أو يصنع تمثالاً من طين لهيئة الشخص

ثم يُلحق الأذى بالتمثال، فكأن ما يؤذيه توهماً يحدث حقيقة، والسحر في مضمونه أخذ علاقة وهمية محل علاقة فعلية، على ظن أن نظام الأفكار في الإنسان هو عينه نظام الطبيعة، وما دام من الممكن التحكّم في الأفكار فمن الممكن كذلك التحكّم في الطبيعة، والإنسان البدائي في التفكير السحري يستبدل قوانين الطبيعة بالقوانين السيكولوجية، ويجعل للتفكير والرغبات قوة مطلقة، ويعطي فرويد لذلك إسم كلية قدرة الأفكار، وكان اقتراح الإسم من قِبَل أحد مرضاه بالعصاب. وهذا الاعتقاد في القوة المطلقة للتفكير وإمكان تحقيق الرغبات بالتفكير فيها وتصوّرها يبحث فيه فرويد عند ثلاثة: الإنسان البدائي، والأطفال، والعصابي، وخاصة مرضى العصاب الوسواسي، والفرق بين البدائي والطفل أن البدائي يؤمّن رغباته وأفكاره بحركات هلوسية تحقق له الإشباع الهلوسي، في حين أن الطفل لم يكبر بعد لتكون له مثيل هذه القدرة على التعبير الحركي المصاحب، وأما العصابي فهو يعيش داخل أفكاره، وله عالمه الخاص، وما يرغب فيه يتمثله وجدانياً، ونلمس ذلك في الهيستيري الذي يعيش في نوباته وأعراضه أحداثاً لم تجر إلا في مخيلته. ويتوهّم العصابي الوسواسي إرتكاب جرائم دونها البشر، ويستشعر ذنوباً ثقالاً، ويخشى دوماً أن يتحدث في شيء لأنه يعتقد أن مجرّد النطق بهذا الشيء يحققه، ويشبه في تطيّره الإنسان البدائي الذي يتخيّل أن باستطاعته تغيير العالم بمجرّد أفكاره وحدها.

ويقول فرويد إن الإنسان في المرحلة الأحيائية يتوهّم أن لأفكاره قدرة مطلقة، ثم في المرحلة الدينية ينسب هذه القدرة للآلهة إلا أنه يحتفظ لنفسه بتوجيه تدبير هذه الآلهة بالدعوات والصلوات وغير ذلك. وفي المرحلة العلمية تظل به توهمات هذه القدرة بوثوقه المطلق في قدرة العقل البشري.

ويقول فرويد إن الأرواح والعفاريت والقوى الغيبية التي تعمر عالم البدائي والطفل والعصابي هي إسقاطا لميولهم الوجدانية، فهم يشخّصون هذه الميول ويلتقون بها خارج أنفسهم، ويفسرها بأنها طرح لاشعوري، وأنهم يعانون من

الازدواجية الوجدانية، وهذه الازدواجية هي التي يقوم عليها التحريم، أو ما يعرف باسم التابو عند البدائيين خاصة، ويرتبط بالاعتقاد في الأرواح والجن. والصفة المميّزة للتفكير الأحيائي هي حرمة الموتى، ويفسرها فرويد بأنها دفاع عصابي ضد العداء اللاشعوري، بإسقاط هذا العداء على الموتى فيعزو لهم سلوكاً يخشى على نفسه من عدوانيته. والأحيائي - شأنه شأن الطفل والعصابي - يسقط إدراكاته الداخلية الوجدانية والفكرية إلى الخارج، ويستخدمها في تشكيل العالم الخارجي بدلاً من أن تبقى متموضعة في عالمه الداخلي.

مراجع

- Freud: Totem and Taboo. (1913)

- E.B. Taylor: Primitive Culture. (1891)

❖ ❖ ❖

- إختيار الموضوع...

- Object - choice (E.);...
- Choix d'Objet (F.);...
- Objectwahl (D.);...

محبة الوالدين للطفل إلى توجيهه في اختياره لموضوع حبه عندما يبلغ سن النضج، وتستحيل علاقة الطفل بأمه إلى علاقة نموذجية على هديها يختار موضوع حبه كراشد. ولربما كان أبسط ما يكن أن يأتي عليه اختيار الراشد لموضوع الجنس أن يكون على شاكلة من كان يُحبّهم في طفولته مما يمكن وصفه بأنه لبيدو مخفف. ويتمثّل موضوع الغريزة الجنسية للطفل في ثدي أمه، وكل اختيار لاحق للراشد للموضوع هو في الحقيقة استعادة لعلاقته كطفل بالثدي المشبِع، وهو استمرار لهذه العلاقة. والأم بدورها ترسّخ هذا الميل في الطفل بماتبذله له من حنان ينبّه فيه مناطقه الشبقية، بالربت عليه وتقبيله وهزّه، ومعاملته كما لو كان موضوعاً جنسياً كاملاً. ويضرّ الطفل

كثرة التدليل لأنه يجعله دائماً يستشعر جوعاً عاطفياً لا يشبع قط، وبه تتحوّر علاقاته البعدية بالموضوعات الجنسية. ولعلّ ظاهرة عدم الشبع العاطفي في الطفل إشارة إلى إمكان أن ينشأ عصابياً يصاب بالقلق الذي يطبع هذه العلاقات البعدية، وتزيد احتمالات عصابيته كلما كان أحد الأبوين يعاني من اضطرابات عصبية من شأنها أن يُظهر المحبة الزائدة للطفل ويبدي القلق الظاهر في تعامله معه. ويتحصل القلق عموماً كلما عجز الطفل أو الراشد عن تحصيل الإشباع من موضوع حبه، وحينئذٍ تتحوّل طاقة الليبيدو غير المشبعة إلى القلق، ويستحيل الراشد بالقلق إلى طفل يخاف أن يهجره موضوع حبه، وتنتابه المخاوف من أية مواقف فيها فراق.

والضرر الذي يتأتى من التدليل المفرط للطفل هو التبكير بنضجه جنسياً مما يجعله - كما أسلفنا - غير قانع دائماً بما يعطيه موضع حبه من عواطف. وتأخير النضج الجنسي على العكس يتيح للطفل أن يستوعب القيود على تعبيراته الجنسية، ومن ذلك علاقته بمحارمه وبذلك يكتسب الأساس التربوي الذي بناءً عليه يستبعد من اختياراته للموضوع الأشخاص الذين أحبهم في طفولته لعلاقة الدم التي تربطه بهم.

وفي مرحلة الشباب يتم اختيار الموضوع الجنسي تخيلاً، وتستغرق الشاب تخيلاته وتصوّراته الجنسية لموضوع حبه، وتظهر فيها ميوله الطفلية كما هي بدون تغيير، ويساعد عل تشكيلها وإظهارها خبرات الانجذاب للجنس المقابل التي مرت في الطفولة، حيث كان الصبي يميل إلى أمه وكانت البنت تميل إلى أبيها، وفي المراهقة ينفلتان عن سلطة الوالدين، والبعض قد يظهر به التعلّق بالوالدين، وغالباً ما يحدث ذلك مع البنات، ويفشل هذا النوع في تحقيق النجاح في الزواج، لأن اختيار موضوع الزواج يكون تثبيتاً طفلياً لليبيدو على الوالدين، وحب الوالدين هو حب متسامٍ جنسياً، ومن ثم يكون السلوك مع موضوع الزواج كالسلوك مع الأبوين، يخلو من الصفة الجنسية، ويفسّر ذلك تصرّف البنت التي تشعر بالحاجة الشديدة للحب، وفي الوقت نفسه، وبقدر متساوٍ، تخيفها المطالب الواقعية للحياة

الجنسية، وقد يقوي فيها ذلك كحل وسط أن تنحو إلى نوع من الحب المثالي غير الجنسي، وقد تظهر تعلّقاً بأبويها وأخواتها يفسره رجوع طاقتها اللبيدية إلى الأشخاص الذين كانت تفضلهم في طفولتها وكانوا لها محارم. ويبدو أن حب المحارم في الطفولة له تأثيره في اختيار موضوعات الحب، وأنه لا منجاة لأحد من هذا التأثير بشكل أو بآخر، وقد يفسّر تثبيت الليبيدو من الطفولة على أحد المحارم اتجاه بعض الشباب أن يتزوجوا من سيدات أكبر سناً، وأن تُدلّه بعض البنات بالرجال المسنين من ذوي النفوذ.

ويفرّق فرويد بين نوعين من اختيار الموضوع، أحدهما يستهدى فيه الشخص أن يكون اختياره لمن يشبع فيه حاجاته كما كانت أمه بالنسبة له، وهذا النوع يطلق عليه فرويد إسم النمط الكفلي Anaclytic Type أي الذي يتكفل آخرون بتلبية حاجاته ويكفلون له ما يلزمه منها، والثاني النمط النرجسي Narcissistic Type الذي يتمثّل في اختياره للموضوع أن يكون على مثاله حالياً أو في الماضي، أو أن يكون على هيئة يودّ هو نفسه أن تكون له، أو أن يكون له كذاته أو كجزء منها، وعلى ذلك فإن النمط النرجسي سيستهدي في اختياره إما بأن يكون موضوعه صورة مثالية له أو أن يكون شبيهاً له في بعض سماته، أو أن يختاره متعاملاً معه كالأم التي تعتبر ولدها جزءاً من شخصها، فهذا ما يجذبه إليه. ومن أمثلة اختيار الموضوع من النمط النرجسي السلوك الجنسي الشاذ عند اللوطي، حيث لا يكون اختياره إلا لجنسه ومن نوعه إظهاراً لحبه لنفسه.

ويذهب فرويد في كتابه «ثلاثة مباحث في الجنس» (١٩٠٥)، إلى أنه قد تتكون في الطفولة الباكرة إستعدادات أخرى بخلاف حب الطفل لأبويه أو حبه لنفسه فتجعل من الممكن أن يتخذ الفرد على أساس طفولته أكثر من اتجاه جنسي واحد ومن ثم يتخالف إختياره لموضوعه.

وفي مقاله «مقدمة في النرجسية» (١٩١٤) يؤكّد فرويد أن الناس ينقسمون فيما بينهم إلى النمط الكفلي أو النمط النرجسي تحديداً، وإنما هذان النمطان احتمالان متاحان لكل فرد، وأنه قد يبدي في سلوكه عن تفضيل لأيهما، وأن لكل

إنسان موضوعين جنسيين أساساً: نفسه والمرأة التي ترعاه، وأن كل إنسان لذلك به قدر من النرجسة الأوليّة التي قد تظهر على المدى الطويل من خلال اختياره لموضوعه.

وتظهر المقارنة بين الرجل والمرأة أن هناك فروقاً أساسية بينهما فيما يخص نمط اختيار الموضوع، فالنمط الكفلي تماماً هو سمة الرجل عموماً، والنمط النرجسي قد يلتصق أكثر بالمرأة وخاصة ذات الجمال التي تسلك عن محبة ظاهرة لنفسها وتستهوي الرجال بنرجسيتها، إذ فيما يبدو فإن الرجل الذي يتنازل عن نرجسيته قد يشدّه إلى هذا النوع أن يتمسكن بنرجسيتهنّ.

مراجع

- Freud: Three Essays on the Theory of Sexuality. (1905)

: On Narcissism: An Introduction. (1914)

❖ ❖ ❖

– الإخراج...

- **Acting Out (E. F.);...**
- **Agieren (D.);...**

الإخراج المقصود هو إخراج الرغبات أو الأفكار أو الصراعات المقموعة أو المكبوتة عن طريق التعبير عنها بالقول والفعل، وهي عادة من النوع العدواني أو الجنسي، وإطلاقها يحرّر صاحبها من عبء كتمانها، ويريحه من توتراتها والقلق الذي يستشعره بسببها، بصرف النظر عن عواقب البوح بها، فالمهم هو أن يخرجها أو يطرحها عنه، ومن ذلك جُناح الأحداث فهو سلوك مندفع غير متروٍ يعبّر به الجانح عما يعتمل فيه والثورة الداخلية التي يمور بها، وهو فعل وليس قولاً، ولم يتواجه به مع مشكلته، وإنما اكتفى بإخراج ثورته وتمرده.

واستخدم فرويد إصطلاح الإخراج يصف به عملية سلوك المريض الذي بدلاً من أن يبوح بما يختزنه من مشاعر ورغبات وأفكار فيُطلِع عليها المحلّل

ويتواجه بها المريض، فإنه عندما يخرُج من جلسة التحليل النفسي يخرج ما به في سلوك بديل، لا يصرح به عما في نفسه، وإنما يصرف فيه انفعالاته. فمثلاً فإن البنت التي لها خبرة صادمة في الطفولة مع جنس الرجال ومن ثم تتصرف بخوف منهم وتكره فكرة الزواج، قد تسلك لاشعورياً خارج جلسة التحليل النفسي بحيث تبدو كما لو كانت لا تخشى أن تكون لها علاقات بالرجال، ولم تعد تهابهم، وتتحصّل لها راحة نفسية من ذلك، ولكنها راحة متوهمة، وذلك أنها أخرجت أو مثّلت مخاوفها بطريقة عكسية فبدت كما لو كانت قد شفيت من مخاوفها، والبديل لذلك أنها بعد أن وعت مشكلتها فإنها تواجه الموقف من جديد بأن تختبر نفسها في مواقف مع الرجال، وهو ما يسمى اختبار الواقع Reality Testing، وبالطبع فإن اختبار الواقع يكون بعد نهاية العلاج، وهو دليل على الشفاء إذا كانت نتيجته ناجحة، وأما الإخراج أو الطرح التمثيلي أو التمويهي فهو حيلة يلجأ إليها المريض في منتصف العلاج وليس في نهايته.

وقيل إنه يُميّز في طرح المشاعر أو الصراعات أو الرغبات (Acting) أن يكون الطرح خارجياً (out) أو داخلياً (in)، وقد فهمنا الطرح الخارجي أنه يكون خارج جلسات التحليل كإزاحة للمشاعر من الموقف الأصلي لموقف آخر بديل، وأما الطرح الداخلي فهو الذي يكون أثناء جلسة التحليل النفسي، كأن ينهض المريض ويخطو بضع خطوات مثلاً، ويتناول أحد كتب المحلّل ثم ينحيّه جانباً، فقد طرح مشاعره في الجلسة وأمام المحلّل، وينفّس عما بنفسه، وبدلاً من أن يعبر عنه كلاماً فإنه يصرفه في الحركة وفي تناول الكتاب وتنحيته. (أنظر أيضاً التنفيس Catharsis، والتصريف Abreaction والتفريغ Discharge والمقاومة Resistance).

مراجع

- Spiegel: Acting out and Defensive Instinctual Gratification. (1954)

❖ ❖ ❖

– إخراج الحلم...

- **Dream - Work (E.);...**
- **Travail du Rêve (F.); .**
- **Traumarbeit (D.)...**

تُسمَّى العملية التي يحوّل به الحلم الكامن إلى حلم ظاهر «إخراج الحلم» كما تُسمَّى العملية المضادة والتي تلتمس الأفكار الكامنة من الأفكار الظاهرة «تأويل أو تفسير الحلم» وتهدف عملية التأويل إلى نقض ما بنته عملية الإخراج، وثمة عمليات وحيل تتدخل في إخراج الحلم ويطلق فرويد عليها إسم تحريف الحلم.

ويتوسل الحلم في عملية إخراجه وسائل أو آليات يحصيها فرويد في أربع آليات، هي:

١ – التكثيف Condensation ويتمثّل في النقص العظيم في التناسب بين محتوى الحلم وأفكار الحلم، الأمر الذي يثبت أن المادة النفسية للحلم قد أجريت لها أثناء تكوين الحلم عملية تكثيف واسعة، بها يبدو الحلم الظاهر أقل ثراء من محتوى الحلم الكامن، فكأن الحلم الظاهر ترجمة مختصرة للحلم الكامن.

٢ – الإزاحة Displacement أو النقل وهو من عمل الرقابة، ويتخذ شكلين، أولاهما أن يستبدل عنصر من عناصر الحلم الكامنة بشيء آخر أبعد وأنأى عنه، وثانيهما أن يُزاح أو ينقل التأكيد من عنصر مهم إلى آخر لا أهمية له.

٣ – قابلية التصوير Representability أي تحويل أفكار الحلم إلى صور عيانية محسوسة.

٤ – الصياغة الثانوية Secondary elabortion وهي جمع نتائج الإخراج وترتيبها غالباً بحيث تستغلق على الفهم، وترتيبها على هذا الأساس وإكمال ما يبدو في الشكل النهائي من ثغرات بحيث يخرج الحلم على الصورة أو الشكل الواحد والكلي الذي يظهر به.

ومن رأي فرويد أنه لا يصح إطلاق الحلم إلا على نتائج إخراج الحلم، أي على الشكل الذي تضفيه هذه العملية على الأفكار الكامنة، وثبت من بحوث التحليل النفسي أن الآليات التي تتحكم في عملية

إخراج الحلم هي نفسها الآليات التي تتحكم في تكوين الأعراض العصابية، وليست الأفكار الكامنة في الحلم إلا أمثلة للنشاط النفسي اللاشعوري.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

❖ ❖ ❖

– «الأخلاقيات الجنسية المتحضرة والمرض العصبي الحديث»...

- **«Civilized Sexual Morality and Modern Nervous Illness» (E.);...**
- **«Moralité Sexuelle et «Civilizée», et La Nervosité Moderne» (F.);...**
- **«Die Kulturelle Sexualmoral und die moderne Nervosität» (D.)...**

هذا البحث نشره فرويد سنة ١٩٠٨ وكان مهموماً بالعلاقة بين التمدّن أو الأخذ بأسباب الحضارة وظهور الأمراض العصابية بكثرة بين أبناء الطبقة المتوسطة، وهي الطبقة التي تُقبل على المستحدثات الحضارية ولها أخلاقيات محافظة مع ذلك، ومتدينة في كثير من الأحوال. والبحث إستثاره أصلاً كتاب لإيهرينفلز بعنوان «الأخلاقيات الجنسية» ينتقد فيه استباحة الرجال أن يمارسوا الجنس بحرية وتحريمهم ذلك على النساء، بما يعني أن هناك معيارين أخلاقيين، الأمر الذي يخلق تفاوتاً وعدم مساواة، ويؤدّي إلى الخلط الأخلاقي، ويحرّض على الكذب والخداع، ويؤدّي إلى تفشي الزنا. وانتقد كذلك النظام المسيحي الذي يقصر الزواج على امرأة واحدة، ويحظّر الجنس خارج نطاق الزواج، ويصنع من ذلك أخلاقيات خاصة من شأنها إفقار الخبرة الجنسية وتقليل فرص الاختيار المناسب لكل الأطراف. ولقد فعل فرويد الشيء نفسه فانتقد الأخلاقيات الجنسية الأوروبية السائدة من الزاوية السابقة، وكان قد

سبقت له آراء مشابهة حول الأخلاقيات البورجوازية في الجنس وقت أن كان ما يزال خاطباً لزوجته، فأرسل إليها خطاباً يشكو فيه من الحرمان الجنسي الذي تفرضه الطبقة المتوسطة على نفسها، فعامة الناس متحلّلون جنسياً، وكذلك الطبقات الراقية، بينما العائلات المتوسطة هي التي تشجع أبناءها على إخضاع غرائز الجنس عندهم للقمع، وتنشّئهم على ذلك، فيشبّون وقد تهذّبت أخلاقهم وبدوا متحضرين أكثر من غيرهم من أبناء الطبقات الأخرى، ولكن هذا القمع أو التهذيب والتحضّر يكون على حساب صحتهم النفسية، فيصيب الكثيرون منهم الأمراض العصبية حتى باتت من أمراض العصر وضريبة الحضارة والمدنية.

وكان فرويد قبل ذلك قد طُلب إليه أن يدلي بدلوه في مسألة تثقيف الأطفال جنسياً، وكتب لذلك بحثاً بعنوان «تنوير الأطفال جنسياً» سنة ١٩٠٧، وأوجب على الآباء أن يجيبوا بصراحة على كل أسئلة أطفالهم الجنسية، وأن لا يخفوا عنهم شيئاً. واعترف مارتن الإبن الأكبر لفرويد أن أباه لم يكن يصنع معهم مثل ذلك، وكان يتركهم ليعرفوا الحقيقة من المدرسة والشارع كغيرهم من الأطفال. وعلى أي الأحوال فإن بحث فرويد عن علاقة الأخلاق القائمة على التعفف بالإصابة بالعصاب يعتبر أكثر بحوثه صراحة في انتقاد الأخلاق المسيحية في موضوع الجنس، ويطالب فيه باستحداث ثورة في النظام التربوي، وخاصة في مجال التربية الجنسية، وينتقد بشدة نظام الزواج من واحدة أو الاقتصار في العلاقة الجنسية على شريك واحد مدى العمر، ويذكر أن ذلك يؤدّي إلى نشوب الصراعات، ويقول إن تدجين الجنس كان دائماً أحد مهام الحضارة، وأنه كان باستمرار من المهام شديدة الوطأة وخيمة العواقب، ويبدي تشكّكه فيما إذا كان تقنين الجنس بالزواج فيه تعويض كاف عن خطر الجنس فيما عداه، ويؤكد مع ذلك على أن هذا التقنين كانت له بشكل عام مزايا ومكاسب حضارية، إلا أنه من ناحية أخرى لم يكن مقتنعاً أن العفّة أو الامتناع الجنسي من شأنه أن ينشّىء رجالاً من أصحاب الفكر الكبار، وممن لا

يتُاح لهم تصريف الليبيدو الجنسي عندهم في المنصرف الطبيعي، فيستثمرونه في تعالٍ وتسامٍ في الاستثمارات الاجتماعية، وينبّه إلى أن فرض العفّة على أبناء الطبقة المتوسطة من طفولتهم ينشّئهم ضعاف الشخصية، وإن كانوا مع ذلك على قدر كبير من الأخلاق والرقيّ الحضاري، وهؤلاء ينخرطون في المجتمع ويخالطون الجماهير العريضة ملتزمين بهذه الأخلاق التي لا يلتزم بها العامة، والعامة دائماً لا تتبع إلا أقوياء وتنأى عن الضعاف.

مراجع

- Freud: the Sexual Enlightenment of Children. (1908)

: Totem and Taboo. (1913)

: Civilization and its Discontents. (1930)

❖ ❖ ❖

– الإدراك...

- **Perception (E.; F.);...**
- **Wahrnehmung (D.)...**

يقوم علم النفس الفرويدي على التمييز بين مدركات الأنا ومدركات الهو. ومدركات الأنا شعورية، ومدركات الهو لاشعورية، وفي علم النفس القديم لم تكن تتوافر المعلومات إلا عن المدركات الشعورية، ولذلك يصفه فرويد بأنه علم نفس شعوري.

ويُلحق فرويد بالأنا جهازاً يُسميه جهاز الإدراك – الشعور، والأنا أصلاً هو قسم من الهو إلا أنه تعدّل بتأثير العالم الخارجي فيه مباشرة بواسطة جهاز الإدراك – الشعور والذي سنسميه تجاوزاً جهاز الإدراك الحسّي. ويلعب الإدراك الحسّي في الأنا الدور الذي تلعبه الغريزة في الهو، ويوجد الإدراك الحسّي في السطح الخارجي للأنا وهو لذلك أقرب شيء من الأنا للعالم الخارجي. والإدراك الحسّي يعني الواقع، والأنا لذلك يتحكم

فيه مبدأ الواقع. واختبار الواقع هو الذي يتسنّى به التمييز بين ما هو واقع، وما هو غير واقع، كأن يكون تخيلات أو هلاوس. وكما يكون الإدراك الحسّي للمنبهات الخارجية فكذلك يكون للمنبهات الداخلية وهي المسمّاة المشاعر الوجدانية، وهي مشاعر تتصل أيضاً بالواقع الخارجي. وكذلك فإن الهو له أيضاً إدراكه الحسّي الخاص، ويدرك تغيراته الداخلية وخاصة ما كان منها تذبذبات تطرأ على شدة حاجاته الغريزية، وتظهر في الشعور باعتبارها مشاعر حشوية ومشاعر ألم ولذة، فكأن المشاعر الوجدانية مصدرها البدن الذي يحلّ محل العالم الخارجي بالنسبة للمدركات الحسيّة، ويكون التمييز بين هذه وتلك بالإدراك الشعوري في كل الأحوال. ولأن الإدراك الشعوري يروح ويجيء فهذا يثبت أنه يوجد في الجهاز النفسي بالاضافة إلى الشعور واللاشعور ما يسميه فرويد ما قبل الشعور، وهو ما يمكن بسهولة أن تُستدعى محتوياته إلى الشعور، وأما ما لا يمكن استدعاء محتوياته إلا بصعوبة وبشروط خاصة فهو اللاشعور. ويثبت ارتباط الشعور بالمدركات الحسيّة التي تصلنا عن طريق أعضاء الحس من العالم الخارجي أن الشعور طبوغرافياً هو ظاهرة تقع في القشرة الخارجية من الأنا، ويمزج فرويد بينه وبين الإدراك ويجعل منهما ما سبق أن نوهنا به وهو جهاز الإدراك - الشعور. وعندما تنقطع علاقة الأنا بهذا الجهاز أو تتراخى هذه العلاقة ينشأ المرض النفسي، فتكون الهلوسة والهذيان. وقد ينكر الأنا مطالب العالم الخارجي التي يستشعرها مدركات حسيّة مؤلمة، كما يدرك المشاعر الوجدانية بشكل مؤلم، وهذا ما يجعله يذكرها وإن كان يقرّ ما هو خلافها، وعندئذٍ ينشأ به تيّاران متعارضان ومستقلان، وينقسم الأنا بهما ويؤدّي ذلك إلى ظهور الاضطرابات النفسية.

وثمّة ما يثبت أن مصادر المعرفة جميعها هي الإدراكات الحسيّة الخارجية، فالمدركات الحسيّة تترك آثاراً في الذاكرة هي التي نطلق عليها الصور اللفظية، وبواسطتها تتحوّل العمليات الفكرية الداخلية إلى إدراكات حسيّة، وما لم تتخذ التداعيات والأفكار والرغبات والعواطف

أشكالاً صورية لفظية فإنها لا يمكن أن تمر إلى الشعور. وتتم هذه العملية في ما قبل الشعور، وبمجرد أن تتجسّد العمليات الداخلية في الألفاظ تُدرَك كأنها آتية من الخارج، وباعتبارها إدراكات حسيّة حقيقية، وهذا هو واقع العلاقة بين الإدراك الحسّي الخارجي والداخلي وبين«جهاز الإدراك الحسّي - الشعور» الخارجي. ولا تظهر المشاعر الوجدانية في الشعور إلا إذا وصلت إلى جهاز الإدراك - الشعور، فإذا عيق وصولها لم تصبح إحساسات ولم يتسنّ إدراكها.

مراجع

Freud the Ego and the Id. (1923)

❖ ❖ ❖

- أدلر، ألفريد...

- Adler, Alfred...

(١٨٧٠ - ١٩٣٧) دعاه فرويد كمؤسّس لجمعية الأربعاء التي كانت تعقد في بيت فرويد، وكان ذلك سنة ١٩٠٢، وهو أول رئيس لجمعية ڤيينا للتحليل النفسي بعد فرويد (١٩١٠)، وأول رئيس تحرير لمجلة Zntrablatt لسان حال رابطة التحليل النفسي الدولية (١٩١٠)، إلا أن أدلر إختلف مع فرويد، وكانت له مدرسته في التحليل النفسي، ومنهجه في العلاج، ومفرداته ونظريته الخاصة. وكان أدلر وشتيكل لا يفترقان، وكانا أكبر المعارضين لفرويد، وكانا ينشدان حرية أوسع لأعضاء جماعة التحليل النفسي، بينما كان فرويد لا يرى إلا رأيه وهو ولا يتسامح مع أي مخالفة لأفكاره، وأطلق على أدلر وشتيكل إسم ماكس وموريتس وهما شخصيتان روائيتان لصبيين مشاغبين. وتركزت نقاط الخلاف بين فرويد وأدلر في أن أدلر لم يكن يرى مثل فرويد أن الفرد تحركه الغرائز، وقال إن الإنسان كائن اجتماعي تحركه حوافز إجتماعية، والاهتمام الاجتماعي فطري فيه. ورأى فرويد في دعوة أدلر هذه أن أدلر متأثر بزوجته الروسية التي كانت تعتنق الشيوعية، وكانت من الجيل الأول للثوار

الروس ومن أخلص أتباع تروتسكي، وكان تروتسكي مثلاً يؤم بيتها. وتحلّق حول أدلر مجموعة من المحللين من أعضاء جمعية ڤيينا والرابطة الدولية للتحليل النفسي، فلما استقال خرجوا معه لأنهم كانوا شيوعيين مثله، وهؤلاء هم: باخ، ومادراي، وبارون هاي، وفورت موللر، وفرانز جرونر، وجوستاڤ جرونر، وهيلفيردنج، وبول كليمبيرر، وأوبينهايم. وهذا الاتجاه الاشتراكي عند أدلر هو الذي جعله يمج لاشعور فرويد، وقال بالذات الخلاّقة على عكس الأنا الذي قال به فرويد، وأكد على تفرّد الشخصية عند كل إنسان، فالفرد الإنساني صياغة فريدة من الدوافع والسمات والاهتمامات والقيم. وعلى عكس فرويد فإن أدلر يجعل الشعور مركز الشخصية، والإنسان عنده كائن شعوري، يعرف أسباب سلوكه، ويشعر بنقائصه، ويحسّ بأهدافه، ويقدر على التخطيط لها، وكل ذلك يناقض نظرية فرويد التي تجعل الشعور مجرد زَبَد يطفو على سطح بحر اللاشعور الواسع والعميق. ولا يقول أدلر بأن الأحلام تنفيس عن الرغبات الجنسية كما يفعل فرويد، وإنما الأحلام عنده تنفيس عن أي رغبات من أي نوع، وتعوض عن النقص في تكوين الحالم أو في حياته. وعند أدلر فإن اللذة وتحصيلها ليست هي الدافع الأول للسلوك كما يقول فرويد، وإنما الإنسان مدفوع بالرغبة في التفوق، وهي رغبة وإن كان يغذيها الشعور بالنقص أو عدم الكفاءة، إلا أنها عنصر إيجابي من شأنه أن يسلك الإنسان في الحياة متوافقاً مع الأهداف والمُثُل الاجتماعية. ولا ينكر أدلر مبدأ اللذة الفرويدي وإنما يُضيف إليه في المحل الأول مبدأ الكفاح من أجل التفوّق. ويصف أدلر عقدة أوديب بأنها من اختراعات فرويد التي لا أساس لها من الواقع، وكذلك نظريته في الكبت، والجنس عند الأطفال.

ورأى فرويد أن أدلر يُهدد حركة التحليل النفسي، ويقضي على نظريته تماماً، وسعى لذلك لفصله في اجتماع جمعية التحليل النفسي الذي عقد في ٢٢ فبراير سنة ١٩١١، وسارع أدلر بإعلان قيام جمعيته الخاصة المناوئة باسم «جمعية التحليل النفسي الحر Society for Free Psychnalysis» هدفها حرية التفكير، ومحاربة الاستبداد العلمي،

والجهاد من أجل حرية البحث العلمي، ولما هاجر إلى الولايات المتحدة أسّس جمعية علم نفس الفرد، واشتهرت نظريته باسم نظرية علم نفس الفرد، إلا أن حاله ظل مغموراً طالما فرويد على قيد الحياة، بتأثير سيطرة حركة التحليل النفسي على النشر، وإحكامها قبضة الدعاية ضد أدلر وجماعته. وقيل إن أدلر لم يقيض له النجاح أو بعضه إلا بعد وفاة فرويد، فقد بدأت تعاليمه تثمر في النظريات الحديثة في الشخصية وفي العلاج النفسي.

وكان فرويد يرى أن النجاح الذي تحقق لأدلر في أميركا ليس ذاتياً وإنما بسبب التصاقه السابق به، وأن اختراع أدلرلاسم علم النفس الفردي ليس إلا من قبيل الإفلاس - فمعنى أنه فردي أنه لا يبحث في الجماعية، وهي صفة عجيبة يمكن أن يوصف بها علمٌ للنفس، فعلم النفس بما هو كذلك هو علم نفس للفرد، وفي الحالات الاستثنائية يكون علم نفس للجماعة، ثم إن فرويد لم يكن يرى أن علم النفس بما هو علم نفس فرد إلا ما يدرسه التحليل النفسي. وانتقد فرويد على أدلر أنه يصف الوصفة نفسها لكل المرضى النفسانيين، وشبيه بذلك الطبيب القديم الذي كان يعطي الدواء نفسه لكل المرضى مهما كان مرضهم. وعند أدلر فإن اللوطي، ومشتهي مضاجعة الموتى، والهيستيري، والمريض بالوسواس، والمخبول، كلهم يعانون من ميول للسيطرة، وتأكيد الذات، والتعويض عن القصور، والمغالاة في التسيّد، وتنكب الأنوثة، والمغالاة في إظهار الذكورة. وعند فرويد هذه الشخصيات مبتسرة وعتيقة وتصلح للدارسين المبتدئين. وليس كل ما في علم نفس الفرد خاطىء عند فرويد، فبعض فروضه صحيحة لكنها تقدم تفسيرات بتراء، ولنتناول مثلاً غريزة حفظ الذات، فإنها تستغل كل المواقف حتى المرضي منها من أجل بقاء الذات، غير أن هناك ظواهر أخرى كالماسوشية، أو الحاجة اللاشعورية للعقاب، أو النزعة العصابية للإضرار بالذات، تقتضي وجود نزعات غريزية معارضة لغريزة حفظ الذات، مما يشككنا في صحة الأساس الهزيل الذي يقوم عليه الهيكل النظري لعلم النفس الفردي. ويذهب فرويد إلى تعليل إقبال الناس في أميركا على مذهب

أدلر إلى استسهالهم للأمور، وأخذهم بمانشأوا عليه ودُرِّبوا على فهمه، واستهوالهم لنظرية معقدة وصعبة كنظرية اللاشعور، أو لنظرية مستهجنة كنظرية الجنس، مما تقوم عليه مذهبية فرويد مقارنة بمذهبية أدلر.

المراجع

- Adler The Practice and Theory of individual Psychology. 1927)

- Freud: New Introductory Lectures on Psychoanalysis (1932).

❖ ❖ ❖

– الإدماج...

- **Incorporation (E.; F.)...**
- **Einverleibung (D.)...**

الإدماج أساس التعيّن، والإدماج أصلاً يخبره الطفل أولاً عن طريق الفم، باستدخال الثدي في الفم ومصّه، ويُقال له لذلك إدماج فموي. وعندما تظهر الأسنان وتبدأ ممارسة العض والمضغ يكون الإدماج سادياً، أي تتمثّل فيه العدوانية. ومعنى الإدماج إمتصاص المستدمج وتمثّل صفاته. وفي أسطورة كرونوس اليونانية يلتهم كرونوس كل أولاده عند ولادتهم، ويخلص فرويد من الأسطورة إلى أن فكرة أكل الأب للطفل فكرة مألوفة وقديمة، وفي الحالات التي عالجها مثل حالة هانز الصغير وحالة رجل الذئاب يتمثّل الخوف من الحيوان كبديل عن الأب، فكان هانز يخاف أن تعضه الخيل، وكان رجل الذئاب يخاف أن تفترسه الذئاب. ومن رأي فرويد أنه في الإدماج الفموي لا يكون ثمة تناقض وجداني، وإنما ينشأ التناقض الوجداني مع ظهور الأسنان ونشأة العض والمضغ. ويفسر فرويد فكرة أكل الأب للطفل بأنها تعبر بصورة نكوصية عن دافع حب سلبي يرمي إلى أن يكون الطفل أو المريض محبوباً للأب حباً شبقياً، كما يفسر حالتي الخوف من الحيوانات السابقتين بأنهما حالتا خوف صادرتان عن دافع عدواني متجه ضد الأب، وكُبِتَ هذا

الدافع بتحويله إلى نقيضه، وبدلاً من اتجاه العدوان ضد الأب فإنه يظهر صادراً عن الأب نحو الابن في صورة انتقام. والعدوان لأنه لم ينشأ في الأصل إلا في المرحلة الفموية السادية، فإن ظهوره في هاتين الحالتين لذلك كان في شكل خوف من العض في حالة هانز، والعض عدوان محقق ويناسب هانز لصغر سنه، وفي شكل خوف من الافتراس في حالة رجل الذئاب، والافتراس عدوان مشدّد ويناسب الشاب الروسي موضوع هذه الحالة. وأظهر التحليل النفسي أنه في الحالتين كان هناك دافع غريزي آخر من طبيعة مضادة في حالة كبت، وهو دافع سلبي نحو الأب، ويُعتبر أهم الدافعين وتعرّض للنكوص. وهكذا تتمثل في الحالتين عمليتان متقابلتان: العدوان السادي ضد الأب، والحب السلبي معه، والاثنتان يكوّنان زوجين متضادين، وفي الإدماج يتمثّل هذا الزوجان المتضادان فيما نسميه التناقض الوجداني، وذلك لأنه في الإدماج تتداخل الغرائز المتعارضة، فمرة هما غريزتا الجنس وحفظ الذات، ومرة هما غريزتا الحياة والموت، وفي كل الأحوال يصدر الإدماج عن دافع الحب للموضوع مع الرغبة في تدمير هذا الموضوع.

ولا يقتصر الإدماج على النشاط الفموي ولكنه يرتبط بكل المناطق الشهوية من الجسم، ويمكن على ذلك أن يكون إدماجاً شرجياً، وإدماجاً تناسلياً، وإدماجاً من خلال الأحاسيس الجلدية، ومن خلال التنفّس، والبصر، والسمع. ومن ذلك أنه في الإدماج الشرجي تكون مماثلة الشرج بالفم، وفي الإدماج التناسلي يتوجه الإدماج لعضو الذكورة والرغبة اللاشعورية في استبقائه داخل الجسم، إلخ. (أنظر أيضاً الاستدماج والتعيّن).

المراجع

- Freud: Three essays on the Theory of Sexuality. (1905)

- : Instincts and their Vicissitudes. (1915)

❖ ❖ ❖

– آرائي في دور الجنس في تنسيب الأعصبة»...

- «M Views on the Part Played by Sexuality in the Aetiology of the Nyroses» (E);..

- «Mes Vues sur le Rôle de la Sexualité dans L'Étiologie des Névroses» (F);...

- «Meine Ansichten über die Rolle der Sexualität in der Ätiologie der Neurosen» (D.)...

هذا المقال نشره فرويد سنة ١٩٠٦، ويرصد فيه التغيّرات التي طرأت على نظريته في الجنس منذ سنة ١٨٩٥، وهي تغيّرات بمثابة الانقلاب، وكانت النظرية في السابق قاصرة في نتائجها على البحوث في النوراستينيا، ولكن توسعت، وما كان يبدو في السابق أن أسبابه المرضية جنسية أحياناً، صارت الأسباب التي تبدو غير جنسية في التحليل النهائي جنسية، ثم إن أسباب المرض النفسي بدت أكثر التصاقاً بخبرات جنسية أنوية، وهي في النوراستينيا فرط الاستمناء وما يسبّبه من نهك، وفي العصاب الحصري هي الجماع المتقطع أو العزل أو الاستثارة الجنسية المحبطة، وفي الحالتين تتصف الخبرات الجنسية بأن الإفراغ الجنسي فيها غير كاف، وإذن ففي جميع الأحوال فإن المسبّبات الجنسية صار لها الدور الأكبر في الإصابة بالعصاب، بل إنه تبيّن أن الصفة الغالبة في هذه الجنسية هي ازدواجيتها وتراوحها بين الذكورة والأنوثة. وفي حالة الأعصبة النفسية كالهيستيريا ثبت أن الخبرات الجنسية من الطفولة لها مردودها على التسبب في المرض، وبدون احتساب الصدمات الجنسية في الطفولة لا يمكن تفسير الأعراض، ومن ثم صار من الممكن التمييز بين الأعصبة الحالية Actual neuroses التي تنشأ عن خبرات انوية حالية، والأعصبة النفسية Psychoneuroses التي ترجع إلى خبرات صادمة من الطفولة وهي خبرات جنسية الطابع.

وينبّه فرويد في هذا المقال إلى أن أفكاره في ميكانيزم الأعراض الهيستيرية

قد تغيّرت أيضاً منذ سنة ١٨٩٥، فلم يعد يرى الأعراض تولدها مباشرة الذكريات المكبوتة لخبرات الطفولة الجنسية، وإنما ظهرت بين الأعراض وانطباعات الطفولة تخيلات مصدرها غالباً فترة المراهقة، وتقوم على أساس من ذكريات الطفولة وتتحول إلى أعراض. ولم يتضح البناء العصابي وعلاقته بحياة المريض إلا بعد إدخال مقولة التخيلات الهيستيرية، واتضح أن التخيلات الهيستيرية اللاشعورية تتماثل وأنواع أخرى من التخيلات التي تميّز أحلام اليقظة.

وثمة تغيير آخر استُحدث في النظرية وهو الذي يُحل الجنسية الطفلية محل خبرات الطفولة الجنسية الصادمة، ولم تعد الإصابة بالعصاب مسألة صدفة ولكنها تتم عن انتقاء نتيجة عوامل بنيوية وراثية ترجّح احتمال الإصابة بعصاب عن عصاب. وكان المظنون أن موقف المريض السلبي أو الإيجابي من الأحداث الصدمية يجعل احتمال الإصابة بالهيستيريا أكثر في حالة السلبية، وبالعصاب الوسواسي في حالة الإيجابية، وانتهى هذا الزعم في النظرية الجديدة غالباً، مع إحلال ما يُسميه فرويد البنية الجنسية محل الاستعداد البنيوي للإصابة بالعصاب. وتظهر هذه البنية الجنسية للأنا بشكل يتصدى له بالدفاع، وهذا الدفاع هو الذي يتسبّب في انشطار أو انجزاء الشعور في الهيستيريا، فإذا كان الدفاع ضد الخبرة ناجحاً فإنها تُطرَد من الذاكرة ومن الشعور، ولكن تحت ظروف معيّنة فإنها وقد أصبحت لاشعورية تنشطر، وبمساعدة الأعراض وتأثيراتها تعود إلى الشعور، فيبدو المرض باعتباره مظهراً لفشل الدفاع. وثبت أن الأسوياء لا يختلفون عن العصابيين من حيث التاريخ الجنسي لطفولتهم، وأن ما يتعرّضون له في الطفولة من غوايات هو نفسه ما يتعرض له العصابيون، ولذلك فإنه لا تعود من ثمة أهمية لحوادث الطفولة، ولا لمدافعة تأثيراتها، وإنما تكون الأهمية لردود الفعل عليها والكبت الذي يتناول تأثيراتها. ويكبر العصابي ويستحضر معه إلى الرشد مكبوتات جنسية من الطفولة تظهر آثارها في حياته الواقعية. ويظهر التحليل للأفراد العصابيين أن مرضهم هو نتيجة الصراع

بين اللبيدو والكبت الجنسي، وأن أعراضهم عبارة عن حل وسط يوفقون به بين الاثنين. ولقد ثبت أن الاستعداد البنيوي للطفل به من التنوّع أكثر من المتوقع، وأن الانحراف إذا صدر عنه فإنما يتيح تنوّعه أن تتعدّد أشكاله، وأن هذا التنوّع هو الذي يهيؤه لأن يكون في حالات معيّنة مصدراً للسلوك السوي، وفي حالات أخرى مصدراً للسلوك المنحرف، وفي حالات ثالثة قد يثمر الأعراض العصابية.

❖ ❖ ❖

– الإزاحة...

- Displacement (E.);...
- Déplacement (F.); ...
- Verschiebung (D.)...

الإزاحة أو النقل أو الإبدال بمعنى واحد، وهي ميكانيزم نفسي تشير إلى إمكان انتقال أو تحوّل الشحنات النفسية من الأفكار الأصلية التي اقترنت بها إلى أفكار أخرى. وتستطيع الغرائز تغيير هدفها بالنقل، ومن الممكن أن يحل بعضها محل بعض فتنتقل طاقة إحدى الغرائز إلى غريزة أخرى. ومن الممكن أن يتحوّل لبيدو الأنا إلى لبيدو موضوع، وأن يُسحَب لبيدو الموضوع ويصبح لبيدو أنا. وتتحكّم في اللاشعور العمليات الأوّلية وخاصة التكثيف والإزاحة، ولا تنتقل محتوياته إلى ما قبل الشعور ثم الشعور إلا في تكوينات تسوية بعد خضوعها لتحويرات الرقابة.

والإزاحة كميكانيزم دفاعي تيسّر حل التناقض الوجداني فلا يظلّ الصراع الناشىء عن هذا التناقض متعلّقاً بشخص بعينه وإنما ينزاح إلى شخص بديل، وفي حالة هانز الصغير الذي كان فرويد يُشرف على علاجه أزاح الطفل خوافه من الأب إلى الخيل، وفي حالة الرجل الذئب كان الذئب هو الحيوان البديل عن الأب. وما يحدث في الخواف هو إمكان إبدال خطر خارجي بخطر داخلي، والمريض بخواف الأماكن المتسعة يستبدل بالخوف من خطر غريزي معيّن، هو خطر الاستسلام لرغباته الشبقية، خطراً خارجياً.

ويستبدل المريض بالملانخوليا حبه للموضوع بتقمّص شخصيته، وربما يكون هذا التقمّص نوعاً من النكوص إلى طريقة المرحلة الفموية. وفي البرانويا يحدث التحوّل من الحب إلى الكره عن طريق نقل الشحنة النفسية على سبيل رد الفعل، وبهذا التحوّل تنسحب الطاقة من دافع الحب وتنضم إلى دوافع العدوان، وقد يُقهَر الاتجاه العدواني عندما لا يكون له أمل في الإشباع، وينتج عن ذلك كإجراء إقتصادي أن يستبدل بالاتجاه العدواني اتجاه الحب. ويفترض فرويد مع إمكان تحويل الحب إلى كره وبالعكس، أنه توجد طاقة قابلة للنقل تكون في ذاتها محايدة، ولكنها تستطيع أن تنضم إلى دوافع الحب أو دوافع الهدم، وبذلك تتغير كيفيتها تبعاً لاختلاف كيفية هذه الدوافع، وتعمل على زيادة مقدار شحنتها النفسية الكلية.

ويذهب فرويد إلى أن غرائز الحب بصفة عامة أكثر مرونة من غرائز الهدم، وأكثر منها قابلية للتحوّل والنقل، وأن هذا اللبيدو القابل للنقل يقوم بخدمة مبدأ اللذة ليسهّل التفريغ. ومن الطرائف التي يرويها فرويد عن رانك هذه القصة كمثال للطريقة التي تتوجه بها الأعمال الانتقامية العصابية نحو أشخاص آخرين غير الأشخاص الذين يجب الانتقام منهم. والقصة عن ثلاثة حائكين في إحدى القرى، وكان يجب شنق أحدهم، لأن الحدّاد الوحيد بالقرية ارتكب ذنباً جسيماً!! - فمن الضروري أن يقع العقاب حتى ولو وقع على شخص آخر غير المذنب - وهذا مثال صارخ للإزاحة أو النقل أو الإبدال الذي نحن بصدده.

ويُطلق فرويد إسم العمليات البديلة للعمليات الفكرية الداخلية، لأنها تدخل ضمن حالات النقل، ويفترض فرويد لذلك أن تكون طاقة العمل الفكري مستمدة من مصادر جنسية متسامية، أي أنها طاقة متسامية. ويقوم الأنا الأعلى بدور التسامي، ويفترض أن طاقته قابلة للنقل، ومجردة من الشحنة الجنسية، إلا أنها لا تزال تحتفظ بالغرض الإيروسي الأساسي وهو التوحيد والربط، والمعيار الذي يضعه الأنا الأعلى لنفسه هو دفع العدوان، وكلما اشتدّ الشخص في ضبط عدوانه كانت ميول الأنا الأعلى الضابطة

التي توجه ضد الشخص أكثر شدة، ويبدو ذلك كأنه إبدال، أي تحوّل ضد أنا الشخص نفسه.

والإزاحة أو الإبدال أو النقل من الأساليب المستعملة في صياغة النكات، ومن الميكانيزمات التي يلجأ إليها الحلم ليُخرج مادته الكامنة إلى محتوى حلمي ظاهر، بنقل الشدّة النفسية من العناصر المهمة في الحلم إلى العناصر المهمة، وتكرار العناصر غير المهمة تكراراً يلفت النظر إليها عن العناصر غير المهمة، وبذلك تكون حيلة الإزاحة أو النقل هذه هي أهم الحيل التي يجلأ إليها الرقيب في الحلم لتحريف معناه، ووظيفتها دفاعية وتستمدها من الدفاع النفسي الداخلي.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1989)

: The Dream and its Interpretation. (1901)

: The Unconscious (1915).

❖ ❖ ❖

– الازدواج الوجداني...

- **Ambivalence (E.; F.);...**
- **Ambivalenz (D.)...**

إستخدم بلويلر هذ المصطلح لأول مرة سنة ١٩١٠ بمعنى أن يعاني الشخص الواحد في آنٍ معاً من اصطراع عاطفتين أو فكرتين أو اتجاهين متعارضين، وتجاه الموضوع نفسه. والتراوح بين هذين النقيضين Ambivalent Oscillation ميكانيزم دفاعي يحمي الذات من مغبة اتخاذ قرار ومن مسؤولية الاختيار، وقد لا يكون الازدواج دليل اضطراب نفسي وكثيراً ما يصادف الأسوياء إلا أنه مع ذلك، وكما نبّه إليه بلويلر، من الأعراض الرئيسية عند مرضى الفصام.

وفي الازدواج الوجداني يختلط الميل للإدبار مع الميل للإقبال، والتجاوب مع التنافر، والحب مع الكراهية، والإيجاب مع النفي. واستخدم فرويد هذا المصطلح عن بلويلر ليعبّر به أساساً عن اجتماع الحب والكره معاً ضد الشخص نفسه تجاه الموضوع، فهو ينزع دوماً إلى أيهما

ولكنه يُمسك عنه في كل مرة من جرّاء العاطفة النقيض. وليس من السهل تسوية التعارض بين المتناقضين، لأن موقعهما في الحياة النفسية يجعل أي لقاء بينهما أو صدام في حكم المستحيل.

والازدواج الوجداني سمة الحياة النفسية في المرحلة قبل التناسلية، حيث يظهر الطفل نزعات عدائية لها طبيعة جنسية وعدوانية معاً تجاه الأم التي تشكل بالنسبة له موضوعاً للإشباع والإحباط معاً، وتنشطر بسبب هذه الازدواجية إلى موضوعين، أحدهما طيب مُشبِع، والآخر سيء مُحبِط.

ويعتبر التحليل النفسي الازدواج الوجداني من السمات المميّزة للحياة الانفعالية عند البدائيين. وفي كتابه «الطوطم والمحرم» (١٩١٣) يرجع فرويد النشأة الأولى للازدواج الوجداني إلى تأصيل المحرّمات والرغبة اللاشعورية مع ذلك في إتيانها وبذلك يتولّد الموقف الازدواجي، فقد كان يطيب للبدائي لاشعورياً أن ينتهك المحظورات، ولكنه كان يخشى العواقب، ولأن الخوف أقوى من الرغبة، فإن الرغبة تبقى لاشعورية مثلما يحدث في العصاب.

ويبدو الصراع الأوديبي في نظرية فرويد عن الصراع كمظهر للازدواج الوجداني الذي يعتور الطفل إزاء الوالدين، وتعتمد العلاقات المستقبلية له فيما بعد ذلك من مستقبل حياته على نتيجة هذا الصراع، وقد تبقى من الازدواج الوجداني آثار تطبع شخصيته وتؤثر على سلوكه، وتعتبر الأعراض العصابية محاولة لإيجاد حل لمثل هذا الصراع.

مراجع

- Bleuler: Vortrag über Ambivalenz. (1910)

: Dementia Praecox or the Group of Schizophrenias. (1911)

- Freud: Mourning and Melancholia. (1917)

❖ ❖ ❖

– الاستدماج...

- Introjection (E.; F.);...

- Introjektion (D.)...

هذا الاصطلاح تبناه فيرينزي وأخذه عنه فرويد، ويجعله فيرينزي مقابلاً للإسقاط. فالاستدماج يعني أن يتشرَّب المستدمج الخصائص الشخصية للآخرين وخاصة الوالدين، وأن يمتص اتجاهاتهم باعتبارها اتجاهته، وأما الإسقاط فهو أن يُسقط المرء طبائعه على الموضوعات الخارجية، أو إسقاط ذاته على شخص آخر بحيث يشارك هذا الآخر مشاعره.

ويُعتبر مقال فرويد «الغرائز وتقلباتها» (١٩١٥) أوضح مصنفاته التي تناول فيها الاستدماج حيث يطرح التعارض بين الأنا والموضوع (العالم الخارجي) في تلازمه للتعارض بين اللذة والكدر، إذ يشكّل «الأنا – اللذة Pleasure-ego» بأن يستدمج في نفسه كل ما هو مصدر لذة، ويسقط على الخارج كل ما هو عامل كدر. وفي مقاله عن «النفي» (١٩٢٥) يُكرر القول في التعارض ويذكر أن «الأنا – اللذة» يريد أن يستدمج في ذاته كل ما هو طيب وينبذ من ذاته كل ما هو سيء، وبلغة الغرائز الأقدم يتمثّل التعارض على مستوى الغرائز الفموية في صورة «أريد أن آكل وابتلع هذا أو أنبذه»، وتترجم في صيغة أكثر عمومية في صورة «أريد أن أستدخل هذا في ذاتي، أو أنبذ ذاك من ذاتي».

والأخذ في الفم والابتلاع هو أول ما يأتيه الوليد من عمليات نفسية، وأول سلوك يأتيه كمحاولة للسيطرة على المنبهات الخارجية. ويبدو أن أول أحكامه التي يُحاولها هو أن يميّز بين الصالح فيبتلعه وبين غير الصالح فينبذه، وبذلك يصبح الاستدماج أسلوباً من أساليب الأنا التي يستخدمها في التعامل مع الواقع بعد أن كان مجرّد هدف غريزي يأتيه تلقائياً.

ويستخدم فرويد الدمج الجسدي Incorporation كمترادف للاستدماج بسبب هذا الارتباط بين العملية النفسية للاستدماج عموماً والعملية الجسدية التي نمطها الدمج الفموي السابق قبل أن

يصل إلى مستوى التعميم. غير أنه في التحليل النفسي يفرّق بين الاستدماج والدمج حيث الاقتصار في الدمج على النمط الفموي أو الاستدماج الجسدي، بينما الاستدماج مصطلح أشمل فلا يقتصر على الاستدخال في الجسد، بل يجعل هذا الاستدخال يتناول الجهاز النفسي وأهم أركانه الأنا. فمع نموّ الطفل تتحول عملية الاستدماج من شكلها البدائي إلى أسلوب نفسي ودفاعي أكثر نضجاً، ويصبح الاستدماج هو امتصاص الأنا للإتجاهات الوالدية وتعيّنه بالأنا الوالدي، ويتكوّن من ذلك الأنا الأعلى ويتمايز عن الأنا. وكذلك يلجأ الأنا إلى الاستدماج كحيلة دفاعية عندما يفقد موضوع الحب فيستجيب لذلك باستدماجه، وقد يترافق ذلك وأن يتخيّل التوحّد به أو الاتحاد معه. والاستدماج كحيلة دفاعية تقلّل من قلق الفراق (فراق الوالدين والأحبة)، وهو بالإضافة إلى ذلك عملية تطوّرية لأنه يجعل الشخص الذي يقوم به مستقلاً بنفسه استقلالاً ذاتياً متزايداً. ويبرز فرويد الاستدماج في تحليله للملانخوليا، باعتبار أن صلته في الطفولة بالمرحلة الفموية، وخاصة في طورها السادي، قد يجعله حيلة دفاعية أساسية في الملانخوليا، من حيث أن المشاعر الوجدانية المزدوجة من الحب والكراهية التي كان هدفها الموضوع تتحوّل إلى الأنا بعد أن أصبح الموضوع جزءاً مستدمجاً فيه، وبدلاً من أن يتجه العدوان للموضوع يتحول إلى الأنا الذي أصبح الموضوع منه ومتوحداً به، وقد يُمثّل انتحار الشخص على أنه تدمير للموضوع.

مراجع

- Freud: Instincts and their Vicissitudes. (1915)

: Negation. (1925)

- Ferenczi: Introjection and Transference. (1909)

❖ ❖ ❖

- الاستمثال...

- **Idealization (E.);...**
- **Idéalisation (F.);...**
- **Idealisierung (D.)...**

هو أن نجعل من موضوع الحب مثلاً أعلى، ونشحنه نفسياً، ونضفي عليه من الصفات المغالى فيها، ونهوّل في فضائله، ونقلّل من عيوبه. ومن شأن إمثاله أن يتجه إليه قدر من لبيدو الموضوع أكثر من اللازم، كما قد تتحوّل إليه كمية من اللبيدو النرجسي بحيث يصبح كالأنا نفسه. وفي الحب الشديد يفرط استمثال الموضوع. ومن شأن الاستمثال أن يكوّن المثل الأعلى للأنا. ويُسهم استمثال الأهل والتعيّن بصورتهم المستمثلة في تكوين الأنا المثالي. ويُميِّز فرويد بين التسامي والاستمثال، فالتسامي يكون بالدوافع والرغبات بتجريدها من الجنس وتوجيهها وجهة إجتماعية أو ثقافية، بينما الاستمثال يتناول الموضوع ويزيد في تقديره. وكما نلاحظ فإن الاستمثال عملية إقتصادية ودينامية، وليس الحب العادي استمثالاً، فالاستمثال لا يكون إلا في الحب العنيف الذي يستحوذ الموضوع فيه على أكبر قدر من لبيدو الموضوع واللبيدو النرجسي.

مراجع

- Freud: On Narcissism: An Introduction. (1914)

:Group Psychology and the Analysis of the Ego. (1921)

❖ ❖ ❖

- الاستيعاب بالمغالبة...

- **Working - through (E.);...**
- **Perlaboration (F.);...**
- **Durcharbeitung (D.)...**

هذا المصطلح تعثرت ترجماته بكل اللغات وكان عسيراً أن يوجد له المرادف الدلالي، وليس من سبيل إلا ترجمته بالتعريف به. والاستيعاب بالمغالبة ليس

إلا محاولة من كل من المحلّل النفسي والمريض أن يتواجها أكثر وأكثر بالصراعات النفسية التي يُعانيها المريض، ويقتضي ذلك أن يستوعب المريض تحليل المحلل وتأويلته لكل مرحلة من العلاج، وأن يتمثلها تفصيلاً ويعايشها ويشقّ طريقه خلال ما تثيره من مسائل وما تستقضيه من تداعيات، وهذا هو معنى الفعل الألماني Durcharbeiten الذي هو نفسه to work through أي التوغل بجهد، وشغل النفس غاية الشغل لتعمق الأمور والنفاذ إلى الأساسيات. وفي مقاله «التذكر والتكرار والاستيعاب بالمغالبة» (١٩١٤) يُنبِّه فرويد إلى أن المحلّل النفسي ليس له أن يتوقع أن يتخلّى مريضه عن المقاومة بعد أن يدلّه عليها مباشرة، وإنما عليه أن يتأكد أن المريض إستوعب ما قاله له، وأنه تفهمه تفصيلاً، وكابده مكابدة وهو يحاول أن يتمثله ويعايشه من جديد، ويقتضي ذلك وقتاً قد يطول وتعاد فيه محاولات التفهّم باستمرار.

مراجع

- Freud : Remembering, Repeating and Working Through. (1914)

❖ ❖ ❖

– الإسقاط...

- Projection (E.; F.);...

- Projektion (D.)...

يصف فرويد الإسقاط في علاقته بالبرانويا خصوصاً كما في حالة شريبر. والإسقاط هو العملية التي تُزاح فيها واقعة نفسيّة إلى موضوع بالخارج، ويعُرّف بأنه والإسقاط هو العملية التي تُزاح فيها واقعة نفسية إلى موضوع بالخارج، ويُعرّف بأنه إخراج ما لا تريد الاعتراف به أو ما لا نريد أن نكوّنه. ويعني في المنظور الفرويدي إنقسام ثنائي بين الشخص والعالم الخارجي، وقد يعني النبذ أو التنكّر، ففي البرانويا تتحوّل

جملة «أنا أكرهه» إلى «هو يكرهني» ثم تصبح «هو يكرهني» مبرِّراً لي لكي أكرهه.

وقد يُقال إن الهيستيري يُسقط ذاته على شخص ما أو أنه يتعيّن به، والتعين خلاف الإسقاط، لأنه في الإسقاط يُفترض الانقسام الثائي داخل الشخص، ونبذ القسم الذي يرفضه في نفسه خلال إسقاطه وإلصاقه بالغير.

ويدخل الإسقاط في المجمل العام للبنيان الخوافي كإخراج للخطر الغريزي الداخلي على الخارج، فيسلك الأنا كما لو كان الخطر الحقيقي مصدره الخارج وليس الداخل الغريزي، ومن ثم تكون مواجهة هذا الخطر بالهرب منه أو اجتنابه.

ويُميِّز فرويد بين الغيرة الإسقاطية والغيرة السوية حيث يدافع الغيور ضد رغباته اللاشعورية في الخيانة بأن ينسبها للطرف الآخر كأن تكون زوجته مثلاً. ويتمثل الإسقاط أكثر من ذلك في الظواهر العادية كالتطيّر، وفي النزعة الأحيائية والسحر والرقي والأساطير، وجميعها تقوم على فرض قوانين الحياة النفسية على موضوعات الواقع الخارجي، وتصوّر الأشياء التي يتألف منها العالم كأن سلوكها هو عين سلوك الإنسان. والأرواح والعفاريت ليست إلا إسقاطات للميول الوجدانية، حيث تُشخْصَن الميول ويُعمَّر العالم بتجسيدات لأحوال الإنسان النفسية.

ويظهر الإسقاط من خلال تقنية الطرح، فالمريض قد يُسقط أناه الأعلى على المحلّل ويجد في ذلك ما يخفف من صراعاته الداخلية، وقد ينسب للمحلّل كلاماً أو أفكاراً يخصانه هو نفسه.

وفي كل ما سبق يتعامل فرويد مع ظاهرة الإسقاط كنوع من المدافعة ضد الرغبات والمشاعر والصفات المستنكرة، بالتنصّل منها وإخراجها، ثم التعامل معها باعتبارها وافدة من الخارج. ويرتبط الاستدخال والاستدماج بالإسقاط، فما يكون مصدر لذة من موضوعات العالم الخارجي يُستَدخل ويُستَدمج في الأنا، وما يكون مصدر كدر وإزعاج وألم يُستبعد ويُنبَذ ويُطرَد من خلال الإسقاط. ويأخذ الإسقاط بلغة المرحلة الفموية أو مرحلة الأنا – اللذة

الخالصة شكل النبذ كمقابل للابتلاع، ويكون ظهور الاستدخال والاستدماج كمقابلين للإسقاط في مرحلة التمييز بين ما ينتسب للأنا وما لا ينتسب له، أو بين الأنا والعالم الخارجي.

والإسقاط في البرانويا كالكبت في العصاب الهاجسي، كلاهما عملية دفاعية أولية، إلا أنه في العصاب الهاجسي يكون الكبت في الداخل كمجمل الذكرى المولّدة للمرض في اللاشعور، وأما في البرانويا فالكبت يتم في العالم الخارجي ويتشكّل الدفاع كحذر تجاه الغير، ويُفهَم الهذيان كفشل لهذا الدفاع وكعودة للمكبوت الذي يأتي من الخارج. وفي حالة شريبر يكبت ما لا يطاق وهو هنا الحب المثلي الجنسي - يُكبَت في الداخل أي في اللاشعور ويُحوَّل إلى نقيضه في المرحلة الأولى، ويُسقَط على العالم الخارجي في المرحلة الثانية. ويشكل الإسقاط أسلوب عودة المكبوت من اللاشعور إلى الشعور.

ولربما يمكن تفسير عملية الحلم بالإسقاط، باعتبار أن ما يزعج النائم من التحريض الداخلي يسقطه على الخارج وبذلك يتخلص من إزعاجه.

مراجع

- Freud: The Neuro-psychoses of Defence. (1894)

:Further Remarks on the Neuro-psychoses of Defence. (1896)

: A Case of Paranoia Running counter to the Psychoanalytic Theory of the Disease. (1915)

: Totem and Taboo. (1913)

: Certian Neurotic Mechanisms in Jealousy, Paranoia and Homosexuality. (1932)

❖ ❖ ❖

– الأفكار النقيض...

- Antithetic Ideas (E.);...
- Idées Antithétiques (F.);...
- Gegensätzliche Ideen (D.)...

إصطلاح فرويد الذي صاغه في بحثه الذي نشره ١٨٩٢ وسجل فيه نجاحه في علاج إحدى الحالات بالإيحاء من خلال التنويم. وكانت الحالة لامرأة تريد أن تُرضع طفلها الوليد من ثدييها، ويحول بينها وبين تحقيق رغبتها بضعة أعراض هيستيرية تظهر عليها، ومن ذلك أن تقيء وتضطرب مهتاجة تروح وتجيء وقد عزفت عن الطعام تماماً وبات الأرق ضيفاً ثقيلاً عليها. وعالجها فرويد بالإيحاء من خلال التنويم، واستغرق منه ذلك جلستين اثنتين فزالت الأعراض. وعندما حملت هذه المرأة نفسها للمرة الثانية جائتها الأعراض نفسها. وفي هذا البحث ذكر فرويد لأول مرة اصطلاحه هذا «الأفكار النقيض» أي الأفكار التي تهاجم المريض وتعوقه عن تنفيذ رغباته وتثنيه عن أن تتحقق إرادته. وتناول فرويد في هذا البحث عمل الأفكار النقيض في حالتي النهك العصبي والهيستيريا، وقال إن المريض بالنهك يعي الصراع الذي يدور داخله بين ما يريد والأفكار التي تعترض إرادته، ومع ذلك فهو يمضي قُدماً في تنفيذ ما يريد وإن كان ذلك يتم في تخاذل وضعف شديدين، بسبب ما يُصيب إرادته من نهك نتيجة الأفكار المتناقضة مع رغباته. وأما المريض بالهيستيريا فهو لا يعي ما يدور داخله من صراعات، ولا فحوى هذه الأفكار النقيض، وإنما تعمل الأفكار النقيض لاشعورياً فيه وتأتيه بسببها أعراض تصرفه عن رغباته وتذوي بها إرادته. ولم يبحث فرويد في ذلك الوقت عن مضمون هذه الأفكار النقيض أو كيفية نشأتها، وإنما كل الذي اهتم به هو واقعة ظهور الأعراض البدنية في حالات الهياج أو التعب، فالتعب يُضعف الشعور الأولى كما يقول (يقصد الأنا) أكثر مما تضعفه الأفكار النقيض، وهي الأفكار المنفصلة عن الشعور.

مراجع

- Freud: The Antithetical meaning of Primal Words. (1910)

: The Interpretation of Dreams. (1900)

❖ ❖ ❖

– أفلاطون...

- **Plato (E.);...**
- **Platon (F.; D.)...**

(٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)

الفيلسوف اليوناني الأشهر، ويُعد وتلميذه أرسطو وإيمانويل كنط أعظم فلاسفة العالم القديم والحديث معاً. وكان فرويد قد تعرّف على فلسفته من خلال ترجمته لأحد مؤلفات جون ستيوارت مِل سنة ١٨٨٠، وهو الكتاب الأول من الكتب الخمسة التي توفر على ترجمتها إلى الألمانية من الإنجليزية والفرنسية. وتضمَّن كتاب مِل أربعة أبواب في قضية العمل، وتحرير المرأة، والاشتراكية، والرابع عن تقدير مِل لكتاب جروته في أفلاطون. وكل معرفة فرويد بأفلاطون أساسها هذه الترجمة لذلك الباب. وكما قال فرويد نفسه سنة ١٩٣٣ فقد تأثر بشدة بنظرية أفلاطون في الصور، وشغلته فكرته في الإيروس أو الحب، وقوله إن الإنسان حين يتذكر ما رآه من صور وماهيات في حياته السابقة، ويُقابل هذه الصور بالأشياء المقابلة لها في العالم الحسّي، يشعر أولاً بالجزع، ثم يشعر ثانياً بحماسة شديدة للتشبه بهذه الصور من حيث خلودها، وتحقق له النزعة إلى الخلود عن طريق الولادة أي عن طريق غريزة التكاثر، ولهذا السبب سُمِّيت تلك النزعة باسم الإيروس أو الحب. ونوّه بتأثير أفلاطون عليه في كتابه «ما فوق مبدأ اللذة» (١٩٢٠) في معرض الحديث عن أصل الفروق بين الجنسين، فلم يكن أمامه من مصادر عن ذلك إلا كتابات أفلاطون في محاورته «المأدبة» على لسان أرستوفان الذي تحدّث في نشأة الغريزة الجنسية وتطوّراتها. يقول أفلاطون: كانت الطبيعة البشرية مختلفة

عما هي عليه الآن، وكان الناس في الأصل ثلاثة أجناس وليسوا اثنين كما الآن، فكان هناك الذكر والأنثى بالإضافة إلى جنس ثالث تجتمع فيه أشياء من الجنسين السابقين. وكان للفرد من هذا الجنس الثالث من الأيدي أربع، ومن الأقدام أربعة، ومن الوجوه إثنان، ومن العورة اثنتان، إلخ، ثم حدث أنَّ الإله زيوس رأى أن يشطر كل مخلوق من هذه المخلوقات إلى شطرين.. وفعل الشيء نفسه مع كل الكائنات التي كانت على مثل الوضع السابق، وبذلك صار الإنسان يهفو إلى شطره الآخر، فإذا اجتمع الشطر منهما إلى شطره، والصنو إلى صنوه، فإنهما يتعانقان، ويتشابك منهما الجسدان في رغبة محمومة أن يعودوا واحداً كما كانا.

مراجع

- E. Jones: The Life and Work of Sigmund Freud. (1953)

- Freud: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

❖ ❖ ❖

– الإلغاء الرجعي...

- Undoing (E.);...
- Annulation (Retroactive)) (F.);...
- Ungeschehenmahen (D.)...

إلغاء ما حدث Undoing what has been done أو إبطاله، من العمليات الدفاعية للأنا، وهو وسيلة مساعدة لميكانيزم الكبت وبديل عنه، وعندما يلجأ إليه الأنا فإنه دليل على أن عملية الكبت الحقيقة تواجه صعوبات.

والإلغاء حيلة قديمة جداً، واستُخدمت على نطاق واسع، أشبه بالسحر، إلا أنها من نوع السحر السلبي الذي يَستخدم النفث والحركات الرمزية للتأثير على سير الأحداث، وإزالة الانطباعات في النفوس، ومحو الإدراكات ونتائج الخبرة المعاشة، والقضاء على الأحداث نفسها وكأنها لم تكن. والإلغاء السوي من نوع الندم على فعل والتمني أنه لم يقع، وأن شيئاً ما لم يكن، ومحاولة إصلاح أمر من الأمور، والرجوع في حكم والاعتذار عن سلوك. والإلغاء المرضي يرضى المريض

الذي يلجأ إليه بمجرد عملية سحب التوظيف أو حتى القيام بتوظيف مضاد، وإنما ينشد به الإبطال المستحيل للحدث الماضي بحد ذاته، ومن ثم كان للإلغاء دور متعاظم في الحياة اليومية، وفي الأمراض العصابية، وفي أعمال السحر والطقوس الدينية والعادات الشعبية. وفي العُصاب الوسواسي أو القهري نلتقي بالإلغاء الرجعي في الأعراض ذات المرحلتين التي يُلغي فيها الفعل الثاني الفعل الأول بحيث يبدو الأمر كما لو أن شيئاً لم يحدث، في حين أن الفعلين أو الحدثين أو الأمرين قد وقعا فعلاً، وحدثا في الواقع والحقيقة. وفي الطقوس الوسواسية يتجه المريض أول ما يتجه إلى اتخاذ ما يراه من تدابير وقائية واحتياطات لمنع وقوع أمر معين، أو منع تكرار وقوعه، ولكنه يتخذ ما يتخذ بنيّة الرجوع فيه، ثم هو يعتبره كأن لم يكن، ونية الإلغاء تسبق اتخاذه للإجراءات التي يتخذها، والفارق بين الحالتين أن التدابير الاحتياطية مسألة معقولة، بينما إلغاؤها هو غير المعقول، لأنه يتم بطرق سحرية أو أشبه بالسحرية، لأنه يفعل الإلغاء وكفى ويكون مقتنعاً بأنه لم يحدث شيء، وهذا الإجراء منه له طبيعة سحرية، والمفروض أن هذه الخطوة لم تتم وتنشأ أصلاً إلا لأنها نكوص إلى سلوك قديم يرجع إلى المرحلة الأحيائية من مراحل التفكير الإنساني إلى ان الاعتقاد فيها أن كل شيء له روح، ويمكن التأثير من ثم في الأشياء عن طريق الاتصال والتأثير في أرواحها. والفرق بين الإلغاء السوي والإلغاء المرضي أنه في الإلغاء السوي يُقرر الشخص أن يسقط حدثاً ما من حسابه ويعتبره كأن لم يكن، ولكنه في قرارة نفسه لاينكر أنه وقع، ولن يفعل شيئاً يقنع به نفسه أنه لمن يقع أصلاً، بينما في الإلغاء المرضي يحاول الشخص العصابي أن يحذف الماضي حذفاً تاماً، ويستعين بوسائل حركية رمزية لإلغائه من إدراكه وإسقاطه من شعوره - أي كبته. وهذه الغاية نفسها تفسِّر إجبار التكرار الذي يتواتر حدوثه في العصاب الوسواسي ويخدم غرضين متضاربين، فما لم يحدث على الصورة المرغوبة يُلغَى عن طريق تكراره بطريقة مختلفة، وكلما تقدم العصاب تزيد

ظاهرة إجبار التكرار وضوحاً، ويزيد الدور الذي لها في تشكيل الأعراض، وتكشف عن نفسها كحيلة دفاعية فاعلة أو كوسيلة كبت على وجه التحديد.

مراجع

- Freud: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

❖ ❖ ❖

- الآليات الدفاعية...

- Defence Mechanisms (E.);...

- Méchanismes de Défense (F.);...

- Abwehrmechanismen (D.)...

إستخدم فرويد مصطلح الميكانيزم أو الآلية منذ محاضرته عن الآلية النفسية للظواهر الهيستيرية التي ألقاها سنة ١٨٩٣، واستخلص في الوقت نفسه فكرة ارتباط الآلية بالدفاع، وميّز بعض الأعصبة على هذا الأساس في مقاليه «ذهانات الدفاع العصبية» (١٨٩٤) و«ملحوظات إضافية عن ذهانات الدفاع العصبية» (١٨٩٦)، وبرز مصطلح آلية الدفاع في مقاله «أوراق في الميتاسيكولوجيا» (١٩١٥) للدلالة على مجمل العملية الدفاعية المميّزة لبعض الأعصبة، ويتضمن ذلك الاستعمال الدفاعي لميكانيزمات، مثل الكبت والانقلاب إلى الضد والارتداد إلى الذات. وفي كتابه «الكفّ والعرض والقلق» (١٩٢٦) يُبرِّر إحياءه لمفهوم الدفاع القديم من خلال تأكيده على الطرائق الدفاعية الأخرى إضافة إلى الكبت، وربط الأشكال الخاصة من الدفاع بأعصبة بعينها، وافتراض أن الجهاز النفسي يستخدم طرائق دفاعية في المرحلة التي لم يتم فيها بشكل محدد الفصل بين الأنا والهو، تختلف عن الطرائق الدفاعية التي يستخدمها بعد هذا الفصل. ويبدو أن كتابه هذا السابق كان الرائد لبحوث حول الآليات الدفاعية وخصوصاً مع ظهور كتاب أنّا فرويد «الأنا والميكانيزمات الدفاعية» (١٩٤٦) والذي أوضحت فيه العديد من هذه الميكانيزمات

أو الآليات من مثل الكبت، والنكوص، والتكوين العكسي، والعزل، والإلغاء الرجعي، والإسقاط، والاستدماج، والارتداد على الذات، والانقلاب إلى الضد، والتسامي، والعديد من العمليات الدفاعية الأخرى كالنفي بواسطة التخيل، والاستمثال، والتعيّن بالمعتدي. ويتوجه الدفاع ليس فقط ضد المطالب الغريزية وإنما بالإضافة إلى كل ما يمكن أن يتسبّب في تصعيد القلق من الانفعالات ومطالب الأنا الأعلى ومتطلّبات الواقع.

وميكانيزم الدفاع قد يُفهَم باعتباره الإجرائي التقني كما في الإلغاء الرجعي، أو باعتباره الثانوي كدفاع يقوم به الأنا كما في الاستدماج. ويتميّز الكبت أساساً على كل الإجراءات الدفاعية بأنه أكثر هذه الإجراءات فعالية وخطورة، وله دوره الرئيسي في تكوين اللاشعور. ويُدرج فرويد ميكانيزمات من مثل الكبت والإنكار باعتبارها ميكانيزمات أولية أو تستخدم كدفاع ضد الوعي الشعوري بالرغبات الطفلية. وسائر الميكانيزمات توصف بأنها ثانوية من مثل المبالغة أو العزل. ويجعل اضطلاع الأنا بالعملية الدفاعية - يجعل من الدفاع عملية تتعارض مع المطالب الغريزية، وإذا لم ينهض الأنا بوظيفته الدفاعية ضد هذه المطالب فإنها تؤول حتماً إلى الإشباع.

مراجع

- Freud, S.: On the Psychical Mechanism of Hysterical Phenomena. (1893)

: The Neuro-Psychoses of Defense. (1994)

: Further Remarks on the Neuro-Psychoses of Defence. (1896)

: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

- Freud, A. : The Ego and the Mechanisms of Defence. (1946)

* * *

– إليس، هاڤلوك...

- Ellis, Henry Havelock...

(١٨٥٩ - ١٩٣٩) من أبرز من اشتغل بالتحليل النفسي الجنسي، وكتابه الرئيسي فيه «دراسات في سيكولوجية الجنس Studies in the Psychology of Sex» في سبعة مجلدات (١٨٩٧ - ١٩٢٨) من أشهر الدراسات في العالم قاطبة، وترجم إلى أغلب لغات العالم، وله بخلافه «اللواط Homosexuality» وهو أول كتاب يتناول هذا الشذوذ الجنسي من وجهة نظر التحليل النفسي، و«الرجل المرأة Man and Woman» و«سيكولوجية الجنس Psychology of Sex» و«الجنس والزواج Sex and marriage». وكان إليس مشايعاً لفرويد، وشروحه في الجنس تطوير لشروح فرويد، إلا أنه اتجه في تحليلاته وجهة كتبية أكثر منها كلينيكية، ومهر في تحليل اليوميات والحالات التاريخية والخطابات التي تتناول الحب والجنس، وله في تفسير الأحلام كتاب «عالم الأحلام The World of Dreams» ويتميّز أسلوبه بالوضوح والجزالة اللفظية. وكانت له مقدرة لغوية، وأجاد ثلاث لغات بخلاف الإنجليزية لغته، وهي الفرنسية والألمانية والإيطالية، ومؤلفاته تعتبر بمقاييس أهل النقد الأدبي مقطوعات أدبية، وكان قصّاصاً دراميا خاصة عندما يتناول بالتحليل الشخصيات المختلفة من الحالات التي كان يُضرب بها المثل على الموضوعات التي كثيراً ما كان يتناولها، كاللواط، والتشبّه الجنسي، والاستمناء، وبيولوجية الجنس، والدوافع الجنسية، ويبدو أنه هو نفسه كان يعاني من اضطراب جنسي ويشكو اللواطة الكامنة. وتزوج من إديث ليز وكانت لزبيانية معروفة، واستمرّ زواجه بها مدة خمس وعشرين سنة. وقيل إنه استطاع أن يشفي نفسه من شذوذه، أو أن ما روته عنه خليلته دليزل فرانسواز في كتابها عنه بعنوان «أوديسة الصداقة Friendship's Odyssey»، وأكدّه إليس في سيرته الذاتية.

مراجع

- Ellis, H.: My life: Autobiography.(1939)

Man and Woman: A study of Secondary and Tertiary Sexual Characters. (1994).

: Studies in the Psychology of Sex. (4 vols) (1897)

: Little Essays of Love and Virtue. (1922)

: The Dance of Life. (1923)

❖ ❖ ❖

-- الامتناع...

- Abstinence (E.; F);...

- Enthaltsamkeit (D.)...

يُقال الامتناع عن الجنس، والامتناع عن تعاطي المخدرات، ومصطلح الامتناع يرد ذكره كثيراً في التحليل النفسي، وهو من تقنيات العلاج بالتحليل النفسي.

فلكي يتفرّغ المريض تماماً لجلسات العلاج وما يتطلبه من جهد، ينبغي عليه أن يأخذ نفسه بصرامة بالامتناع عن أي فعل جنسي لتوفير الطاقة التفسية التي يمكن أن يصرفها فيه، وتوظيفها في الجهد العلاجي كما قلنا. والامتناع نصح به فرويد (١٩١٥، ١٩١٨) وغيره من المحلّلين النفسيين رغم القسوة التي يمكن أن يظهر عليها المعالج من تطبيقه الصارم لهذه القاعدة، ورغم أن المريض قد يرى في المعالج سلطة قمعية. وليس ذلك فقط بل إن المعالج عليه كذلك أن يلتزم بقاعدة الامتناع، فيقسر نفسه على أن لا يتهاون في إلزام المريض بهذه القاعدة. وقاعدة الامتناع Rule of a. إذن من بدهيات التحليل النفسي، وعلى المعالج أن يتبعها بتطبيقها على المريض بطريقة الإيعاز أو بالأمر الصريح.

والامتناع كمصطلح تحليلي بخلاف أنه قاعدة علاجية، قد يكون إرادياً، ويأتيه الشخص من باب التعفّف، وقد يكون إضطرارياً كما في الخوف من الحمل أو العدوى بمرض تناسلي أو العقاب. وغالباً ما يكون لا شعورياً بتأثير مشاعر بالذنب

أو بالإثم عميقة الجذور في النفس أو مكبوتة. والامتناع بمعنى التعفّف كقاعدة أخلاقية قد يفرضه المجتمع، وقد يكون من مترتبات الامتناع الإصابة بالعُصاب، وقد نبّه فرويد سنة ١٩٠٨ إلى أن الامتناع من هذا النوع ممكن عملياً مع ممارسة الاستمناء، وأن الكثيرين يطيقونه فقط مع هذه الممارسة،ومع ذلك فإن الاستمرار في الاستمناء لمدة طويلة قد يتسبّب في الإصابة بالعُصاب. وقد تجد الرغبات المكبوتة منذ الطفولة التعبير عنها في الاستمناء، والاستمناء في هذه الحالة عَرَض عُصابي. ومن رأي فرويد (سنة ١٩١٥) أن جلسات التحليل النفسي ينبغي أن تتم على أساس قاعدة الامتناع، وأن الرغبات المكبوتة من الطفولة لا بدّ من السيطرة عليها، وأن لا ينساق المريض إلى الخضوع لها، وأن لا يأذن المعالج له بإشباعها. وهناك فرق بين إشباع الرغبات الطفولية وإشباع الحاجات الراشدة، والحب حاجة راشدة، ومأذون للمريض أن يحب، ولكن من غير المسموح له أن يمارس أي نشاط جنسي صريح سواء كان مشروعاً داخل نطاق الزوجية، أو شاذاً كاللواط.

(أنظر أيضاً التنفيث Abreaction، والإخراج Acting out).

مراجع

- Freud: Civilized Sexual Morality and Modern Nervous Illness. (1908)
: Observations on Transference Love.(1915)

❖ ❖ ❖

– الأنا...

- Ego (E.);...
- Moi (F.);...
- Ich (D.)...

تقوم على منظمة الأنا ضمن منظمات الجهاز النفسي سيكولوجية خاصة ومذهب وراء نفساني لفرويد والتحليل النفسي عموماً. والأنا في المنظور الفرويدي نشأ تحت تأثير العالم الخارجي

الـواقـعـي مـن «الـهـو» مـن ذلك الجزء الافتراضـي الـذي كـان في الأصـل طـبـقـة قشرية مزوّدة بأعضاء لاستقبال المنبهات وبجهاز للوقاية من التنبيه المفرط. ويعمل الأنـا كـجـهـاز وسـيـط بين «الـهـو» والـعـالم الخارجـي، ولـه سـلـطـة الإشـراف عـلـى الحركة الإرادية نتيجة للعلاقة التي تـتـكـون بين الإدراك الحسّـي والحركـة العضلية. ويقوم بمهمة حفظ الذات، وينهض هذه المهمة يما يتعلّق بالأحداث الخارجية بتخزين الخبرات المتعلقة في الذاكرة، وبتجنب المنبهات المفرطة عن طريق الهرب، وبالتصرف في المنبهات المعتدلة عن طريق التكيف، ويعمل التعديلات المناسبة في العالم الخارجي وفقاً لمصلحته الخاصة، وينهض بها فيما يتعلّق بالأحداث الداخلية - أي فيما يتعلّق بالهو - بالتحكم في المطالب الغريزية بقمعها، أو بتنظيم إشباعها، أو بتأجيل هذا الإشباع لظروف أفضل. والأنا يطلب اللذة ويتجنّب الألم، فإذا توقع توترات مؤلمة تستحدثها المنبهات الواصلة له أعطى إشارة القلق وأنذر بحالة الخطر القادمة سواء من الخارج أو من الداخل.

والأنا يتخلى عن اتصاله بالعالم الخارجي من وقت لآخر بالارتداد إلى حالة النوم التي يتغير بها نظامه تغيّراً كبيراً بالأثر، وتدلّ حالة النوم على أن نظام الأنا عبارة عن توزيع معيّن للطاقة النفسية المسماة باللبيدو، وتجتمع فيه منها أكبر قدر ممكن من أول الأمر، وتسمّى هذه الحالة بنرجسية الأنا. ففي البداية كان جميع اللبيدو متجمعاً في الهو عندما كان الأنا ضعيفاً في مرحلة التكوين، ثم أخذ الهو يرسل جزءاً من اللبيدو في شكل شحنات نفسيّة متجهة نحو موضوعات الحب، بينما أخذ الأنا - وقد نما وصار قوياً - يحاول أن يحصل على هذا اللبيدو المتجه للموضوعات، وأن يعرض نفسه على الهو كموضوع للحب، وبذلك تتدعم نرجسية الأنا. ولبيدو الأنا طاقة قابلة للنقل تكون في ذاتها محايدة وتستطيع أن تنضم إلى دوافع الحب أو دوافع الهدم، وبذلك تتغير كيفيتها تبعاً لاختلاف كيفية هذه الدوافع، وتعمل على زيادة مقدار شحنتها النفسية الكلية، ويصفها فرويد بأنها عبارة عن إيروس مجرد من الطاقة الجنسية، والقوانين التي تحكمها في مجملها تنتظم

فما يسميه فرويد العملية الثانوية. ويُحصِّن الأنا نفسه ضد الهو بشحنات نفسية مضادّة. وفي هذا التقسيم الطبوغرافي الذي يقول به فرويد - تقسيم الجهاز النفسي إلى الأنا والهو - ما يقابله من التمييز في الكيفية بين ما هو قبل الشعور والشعور واللاشعور. وعمليات الأنا شعورية وقبل شعورية ولاشعورية معاً، وهي شعورية من وجهة النظر الطبوغرافية باعتبار الشعور ظاهرة تقع في القشرة الخارجية للأنا، وباعتبار شعورية المشاعر الوجدانية من داخل البدن، ولهذا السبب يصف فرويد الأنا الشعوري بأنه أولاً وبالذات أنا بدني body-ego، لأنه يُستمد أصلاً من الإحساسات والمشاعر البدنية. ويتصف الجزء الداخلي من الأنا الذي يشتمل خاصة على العمليات التي يسهل انتقالها إلى الشعور، وأن تعبر عن نفسها بواسطة وظيفة الكلام التي تصل المادة الموجودة في الأنا بآثار الذاكرة المتخلفة عن الإدراكات الحسيّة. وأما ما عدا ذلك في الأنا فهو لا شعوري. يُقصي ما لا يرضى عنه إلى الهو ليحتفظ به في حالة لا شعورية. وعن الأنا يصدر الكبت الذي يمنع النزاعات النفسية غير المرغوبة من الظهور في الشعور وفي سائر صور النشاط الأخرى، وله سلطة الرقابة على جميع العمليات العقلية في اليقظة وفي النوم، وهو المنوط به الرقابة على الأحلام. ويمثل عمل الحلم الطريقة التي تندفع بها المادة اللاشعورية من الهو نحو الأنا فتصبح قبل شعورية، ثم تحدث فيها بفعل الأنا التعديلات المعروفة باسم تحريفات الحلم، ويحقق الأنا فيها ما يبدو أنه يستجيب لمطالب الهو فيتخلص من إزعاجها ويستبقي حالة النوم اللازمة له. وتتعرّض كل العمليات النفسية التي تدخل فيما يسمى الموقف الأوديبي والذي يعاني فيه الطفل من عقدة الخصاء ومختلف الصراعات الوجدانية بين والديه - تتعرّض للكبت الشديد من قِبل الأنا، وتصبح مستعدة لإثارة الاضطراب في نموّه بعد البلوغ. ويتعيّن الأنا بالوالدين في هذه المرحلة، ومن هذا التعين يتخارج الأنا الأعلى الذي يُناط به الوظيفة نفسها التي كانت للأشخاص المناظرين له في العالم الخارجي، ويقوم بملاحظة الأنا وإعطائه

الأوامر، ويكون شعورنا به في شكل ما نسميه الضمير. ويقوم الضمير بتأنيب الأنا على ما يقوم به وعلى أفكاره ونواياه. ويرجع الإحساس الشعوري السويّ للأنا بالذنب إلى التوتّر بين الأنا والأنا المثالي. ويظهر الإحساس اللاشعوري بالذنب في صورة العصاب القهري وتمرّد الأنا ضد اتهامه بالذنب. وفي الميلانخوليا يستسلم الأنا للإتهام بالذنب وللعقاب. والفرق بين الحالتين المرضيتين أن الأنا الأعلى لم يصبح أبداً جزءاً من الأنا في حالة العصاب القهري، وأما في الميلانخوليا فقد أصبح الذي يسخط عليه الأنا الأعلى جزءاً من الأنا عن طريق التعين، وفي الهيستريا فإن الأنا الهيستيري يحمي نفسه ضد إنتقادات الأنا الأعلى بالكبت، والأنا لذلك هو المسؤول عن بقاء الإحساس بالذنب لاشعورياً. ويقوم الأنا بالكبت في خدمة الأنا الأعلى وبأمره.

ومهمة الأنا فيما يبدو هي العمل على إرضاء القوى الثلاث التي يعتمد عليها، وهي الواقع والهو والأنا الأعلى، كما أنه يقوم في الوقت نفسه بالمحافظة على نظامه الخاص واستقلاله الذاتي. والشرط الضروري للمرض النفسي هو ضعف الأنا ضعفاً نسبياً أو مطلقاً بحيث يعوقه ذلك عن أداء مهامه. وتعتمد طريقة التحليل النفسي في العلاج على استعادة سيطرة الأنا على نفسه، ويتفق المحلّل مع المريض على أن يكون له كالأنا المفتقد، ويعقد المحلل اتفاقاً على المصارحة والمكاشفة مع أنا المريض. ويتيّسر ذلك في الحالات العصابية، ولا يتوقع مثله من أنا المريض بالذهان ومع ذلك لا يقبل أنا المريض بالعصاب على تقديم المعلومات المطلوبة في طاعة وخضوع وإنما يبدي صروف المقاومة، ومن ذلك تعيّن أنا المريض بأنا المحلل في فترة التحويل والطرح. ويعاني أنا المريض بالذهان من الانقسام فيكون له اتجاهان بدلاً من اتجاه نفسي واحد ويهتم أحد القسمين بمراعاة الواقع، بينما يعمل الآخر تحت تأثير الغرائز على فصل الأنا عن الواقع. وينطبق انقسام الأنا على بعض الحالات التي تشبه الأمراض العصابية وعلى الأمراض العصابية نفسها.

ومن مهام الأنا تجريد لبيدو الهو من طاقته الجنسية بالتسامي بها، ويُعزَى إلى هذا التسامي ميراثنا الثقافي وأعظم وأجمل ما لدينا من قيم ومعايير وأخلاقيات وتربية واختراعات علمية ونظريات. ويخدم الأنا مبدأ الواقع لهذا السبب، وينتصر لغرائز الحياة على غرائز الموت، وينهض كممثل للإيروس في الأنشطة النفسية، ويسلك عن رغبة حقيقية في أن يحيا وأن يكون محبوباً.

مراجع

- Freud: The Ego and the Id. (1923)

: The Ego and the Mechanisms of Defence. (1936)

❖ ❖ ❖

- الأنا الأعلى...

- Superego (E.);...
- Surmoi (F.);...
- Über-ich (D.)...

يستخلص فرويد وجود الأنا الأعلى من ملاحظاته الكلينيكية، ففي هاجس الترصّد يشكو المريض من قوى مجهولة تترصّد خطواته، وتأتيه منها هلاوس بالاتهام والتهديد بالعقاب، ويُثبت ذلك أن بالجهاز النفسي وظيفة وحدة في الأنا هذا عملها، وتنفصم عند المرض النفسي وتسقط خطأ على الخارج. والترصد خطوة نحو الإدانة، ولا بدّ أن هذه الوظيفة لها وجه ثان من أوجه نشاطها مهمته الإدانة، وأطلق فرويد على هذه الوظيفة بوجهيها إسم الضمير، ولا بدّ للضمير من معايير يقضي بها، وتصدر هذه المعايير عما يسميه الأنا المثالي، وهو الذي تتكوّن به مجموعة المُثُل التي توجه الضمير، فما يرفضه الضمير إنما لأنه يتنافر مع قيم الأنا المثالي.

وتنتمي فكرة الأنا الأعلى إلى المرحلة الثانية من نظرية فرويد عن الجهاز النفسي، فقد كان في المرحلة الأولى منذ سنة ١٨٨٠ يقسمه إلى ثلاثة أجزاء هي الشعور وما قبل الشعور واللاشعور، ثم صار إلى نظرية طبوغرافية في المرحلة الثانية بكتابه «الأنا والهو» سنة ١٩٢٣ قال فيه بأقسام ثلاثة جديدة هي الأنا والأنا الأعلى والهو، واحتفظ مع ذلك بالتصنيف الثلاثي السابق، إلا أنه جعله تصنيفاً للعمليات أو الكيفيات النفسية التي لم يشترط أن يكون موقعها أياً من الأقسام السابقة، فاللاشعور يمكن أن يكون من عمليات الأنا، كما هو من عمليات الهو، واللاشعور هو الكيفية الوحيدة التي تسود الهو، والعمليات الشعورية مكانها سطح الأنا ويمكن أن يكون لا شعورياً، والأنا والأنا الأعلى خصوصاً بهما مما قبل الشعور الكثير.

وأما عن علاقة الأنا الأعلى بجزئي الجهاز النفسي الآخرين، فإن الطاقة التي يعمل بها مستقلة عن طاقتهما، ويقوم الأنا بتنفيذ عمليات الكبت في خدمة الأنا الأعلى وبأمره، ويتكوّن الأنا الأعلى من الإدراكات الحسيّة السمعية شأنه شأن الأنا، لأنه في الأصل جزء قد تخارج من الأنا. ولعلّ علاقة الخضوع التي تربط الأنا بالأنا الأعلى هي أهم علاقات الخضوع التي يشترك فيها الأنا، وترتبط بتهديد الأنا الأعلى للأنا بالخصاء، والخوف من الخصاء يتنامى ويصبح خوفاً من الضمير ويستمر على هذه الصورة، وقد يستحيل إلى خوف من الموت. وإذن فهذا من الضمير ويستمر على هذه الصورة، وقد يستحيل إلى خوف من الموت، وإذن فهذا الخوف الأخير يتعلّق في نهاية الأمر بالتفاعل بين الأنا والأنا الأعلى. ومعنى إقدام الأنا على الانتحار أنه قد سلّم بأنه مكروه من الأنا الأعلى بدلاً من أن يكون محبوباً، فمعنى الحياة عند الأنا أن يكون محبوباً من الأنا الأعلى الذي يمثل الوظيفة التي كان يقوم بها الأب في الأيام الأولى، ثم العناية الإلهية أو القضاء والقدر فيما بعد. وما يبديه الأنا الأعلى تجاه الأنا يتضاءل إلى جانب ما كان من الوالدين تجاه الأنا. ويؤنب الأنا الأعلى الأنا على ما يقوم به من أعمال، وحتى على أفكاره ونواياه التي

لم تنفّذ ويعلمها الأنا الأعلى. وتظهر سيطرة الأنا الأعلى في صورة الضمير أو الإحساس اللاشعوري بالذنب، ولمشاعر الذنب أهمية كبيرة في الأمراض العصابية، ويتدعم القلق العصابي بنشوء القلق بين الأنا الأعلى والأنا المترتب على مشاعر الذنب.

وعلاقة الأنا الأعلى بالهو علاقة بيولوجية في المحل الأول، لأنه نتيجة أقوى الدوافع وأهم التقلّبات في الهو، وبينما يواجه الأنا العالم الخارجي، فإن المواجهة بين الأنا الأعلى والهو تكون على مستوى العالم الداخلي، وليس الصراع لذلك بين الأنا والأنا الأعلى إلا صراعاً بين ما هو واقعي من العالم الخارجي وما هو نفسي من العالم الداخلي، ثم إن الأنا الأعلى هو الوريث لكل التطوّرات التي يخبرها النوع الإنساني وتخلف آثارها في الهو بوصفه أقدم أجزاء الجهاز النفسي. ويستعيد الأنا الأعلى كل الخبرات الماضية في حياة الفرد ويستلهمها، وله علاقات كثيرة باستعدادات الفرد التي تكوّنت أثناء نشوء النوع، أي بتراثه الفطري، وعن الأنا الأعلى في جزئه الذي يطلق عليه اسم الأنا المثالي يصدر أسمَى ما في الإنسانية، وهو تراثها الثقافي، والخبرات المتسامية للأنوات السابقة عبر الأجيال.

ويرتبط الأنا الأعلى بعقدة أوديب من خلال تمثل الأنا الأعلى لسلطة الوالدين ومشاعر الذنب التي تترتّب على المشاعر المتناقضة تجاه الوالدين، وزوال عقدة أوديب بعزوف الطفل عن الموضوع المحرّم مع تهديده بالخصاء. وتشتق فعالية عقدة أوديب من كونها تؤدي إلى تدخل سلطة مانعة هي سلطة الأبوين ويتمثّل الأنا الأعلى هذه السلطة ويحلّ محل العقدة. وزوال العقدة عند البنات أبطأ منه عند الصبيان، وتستمر العقدة مع البنت مدة أطول ولا تزول بالكامل، ومن ثم يظل الأنا الأعلى عند البنات لا هو بالقوي ولا بلامستقل بما فيه الكفاية. ويعني تخلي الأنا عن الرغبات الأوديبية أنه يَثّرَى ثقافياً بالتربية والدين والأخلاق. وتبعاً لفرويد تبلغ عقدة أوديب ذروتها ما بين سن ثلاث إلى خمس سنوات، وينشأ الأنا الأعلى في نحو ذلك، والبعض يرى - ومنهم ميلاني كلاين - أن الأنا الأعلى يبدأ قبل المرحلة الأوديبية، وبوجود

مراحل تمهد له وترهص به قبل ذلك بكثير، فالطفل يتبنى التعاليم المتعلقة بالتربية الشرجية، ويتمثّل في المرحلة الفموية الموضوعات الطيبة والسيئة من ارتباط معنى الطيب والسيء بالثدي المشبع والثدي غير المشبع، بل إنه قد يتحصل له بعض من تكوينات الأنا الأعلى من محاولاته للسيطرة على أعضاء الحركة عنده.

وأما عن علاقة الأنا الأعلى بالغرائز، فهو قد يثير حاجات جديدة، غير أن وظيفتها الرئيسية تظل مع ذلك الحد من الإشباع. ويؤدّي الأنا الأعلى دوراً مهماً في عملية التحليل النفسي عندما يضفي المريض على المحلل القوة التي يمارسها أناه الأعلى، وتتهيّأ للمحلّل من خلال ذلك الفرصة - باعتباره الأنا الأعلى الجديد للمريض - أن يلقن المريض دروساً في التربية مختلفة عما سبق له منها، فهو يستطيع أن يصحّح الأخطاء التي وقعت أثناء تربية الوالدين له، وإنما ينبغي على المحلّل أن يحذر إساءة إستخدام هذه السلطة الجديدة فيتصرف كالمدرّس أو كالنموذج الذي يُقتدى به، أو يحاول أن يصوغ المريض على شاكلته، وإنْ فَعَل ذلك فإنما يعيد أخطاء الوالدين اللذين سبق وحطما إستقلالية المريض في طفولته، وكأنما يستبدل اعتماد المريض عليهما وهو طفل باعتماده عليه وهو راشد. ومن الواجب على المحلّل باعتباره الأنا الأعلى الجديد أن يربّي في المريض استقلاليته، والمحلّل الناجح هو الذي يتمكن من تحويل سلطة أناه الأعلى إليه بحيث يستطيع أن يحثّ أناه على الكفاح ضد مطالب الهو ويحوّل المادة اللاشعورية المكبوتة إلى مادة شعورية يعيد إليها سلطة الأنا، وهذا أقصى ما يمكن أن نتوقعه من المحلّل باعتباره الأنا الأعلى الجديد للمريض.

(أنظر أيضاً: مثال الأنا، والأنا المثالي، والضمير).

مراجع

- Freud: The Ego and the Id. (1923)

: Obsessive Actions and Religious Practices. (1907)

: New Inroductory Lectures on Pshychoanalysis. (1933)

❖ ❖ ❖

- الأنا المثالي...

- **Ideal Ego (E.);...**
- **Moi Idéal (F.);...**
- **Idealich (D.)...**

يُمايز فرويد بين الأنا الأعلى والأنا المثالي. والأنا الأعلى هو هذا الجزء من الجهاز النفسي الذي يتخارج من الأنا، ووظيفته نقدية. والجانب الأخلاقي المتزمت من هذا الأنا الأعلى هو الأنا المثالي، وهو الصورة المثلى التي ينحو إليها الأنا الأعلى ويصدر عنها في أحكامه. والأنا الأعلى يكون كذلك بالتكوين، ويشتق اسمه طبوغرافياً. والأنا المثالي هو انتظام الأنا الأعلى في وضعية مثالية، ويتضمن تعيّناً ثانوياً بالأشخاص البطوليين الذين يبدي بهم إعجاباً متطرفاً كعظماء التاريخ. ويرد البعض تكوينه إلى فترة المرآة ومطالعة الطفل لنفسه فيها، وأن يتصوّر نفسه على وضعية يتخيلها، واستخدام فرويد للأنا المثالي لذلك استخدام دينامي، بينما استخدامه للأنا الأعلى استخدام وصفي.

ويجعله فرويد بالإضافة إلى الضمير من مكوّنات الأنا الأعلى، وكثيراً ما يجيء استخدامه له كمرادف للأنا الأعلى، وإذا كان تكوين الأنا الأعلى نتيجة التعيّن الأولي بشخصية الأب كأول وأهم التعينات التي تحدث في الأيام الأولى من تاريخ حياة كل شخص، فإن هذا التعيّن لا يأتي عقب أو نتيجة حب للموضوع، وإنما هو تعيّن مباشر يقع قبل تعلّق الطفل بحب أي موضوع. وأما تكوين الأنا المثالي فيكون بناءً على حب الموضوع الذي يتأتى أول ما يتأتى للأم في هذه المرحلة المبكرة.

وإذا كان الأنا الأعلى مجرد أثر خلّفته التعيّنات المبكرة، ويمثّل أيضاً تكوين رد الفعل ضد هذه التعيّنات، فإن الأنا المثالي هو المنوط به إتباع هذا القانون «ينبغي عليك أن تكون كذا وكذا مثل أبيك، ولا يجب عليك أن تكون كذا وكذا مثل أبيك». أي لا يجب أن تفعل مثلما يفعل فهناك أشياء مباحة له وليست مباحة لك. وهذا الازدواج في علاقة الأنا المثالي بين إفعلْ ولا تفعلْ لا يحدث إلا بعد كبت عقدة أوديب، فالأنا الأعلى تكوينه أوّلي، والأنا المثالي يدين بوجوده لهذا الحادث الثوري

- كبت عقدة أوديب، والأنا المثالي إذن وريث عقدة أوديب، وبتكوين هذا الأنا المثالي يقوم الأنا بالتغلّب على عقدة أوديب، والصراع الذي قد ينشب بين الأنا والأنا المثالي يعكس في النهاية الخلاف بين ما هو واقعي وما هو نفسي، أو ما هو خارجي وما هو داخلي.

وتجتمع في الأنا الأعلى كل التطوّرات البيولوجية التي مرّ بها النوع الإنساني، أي يجتمع فيه تراثه الفطري وينعكس ذلك على تكوين الأنا المثالي حيث يجتمع فيه التراث الثقافي الإنساني وأسمى ما يتكوّن في النفس الإنسانية والقيم التي ترسّخت عبر الأجيال، وعلى ذلك يعكس الأنا المثالي كل ما يمكن أن ننتظره من طبيعة الإنسان السامية، فمن حيث أنه بديل عن الأب فهو يتضمن الأصل الذي نشأت منه كل الأديان، وعندما يكبر الطفل تنتقل سلطة الأب إلى المدرسين والأشخاص ذوي النفوذ، وتظلّ سلطة أوامرهم ونواهيهم باقية في الأنا المثالي، وتستمرّ تمارس رقابتها الأخلاقية في صورة الضمير، وتتكوّن المشاعر الاجتماعية بالأنا المثالي، بناءً على تعيّنه بأشخاص الآخرين، وهو لذلك جُماع الدين والأخلاق، وهي العناصر الأساسية لأسمى ما في الإنسان.

(أنظر أيضاً: الضمير، والأنا الأعلى، والمثل الأعلى للأنا).

مراجع

- Freud: The Ego and the Id. (1923)

❖ ❖ ❖

– «الأنا والهو»...

- **«The Ego and the Id» (E.);...**
- **Le Moi et le Soi (F.);...**
- **«Das Ich und das Es» (D.)...**

صدرت الطبعة الأولى الألمانية لهذا الكتاب سنة ١٩٢٣، وكانت أول ترجمة له بالإنجليزية سنة ١٩٢٧، وأول ترجمة عربية في القاهرة سنة ١٩٥٤، وكان فرويد قد طرح عدداً من الأفكار الجديدة ضمّنها كتابه «ما فوق مبدأ اللذة» الذي

نشر سنة ١٩٢٠، وعاد في كتاب «الأنا والهو» إلى الأفكار نفسها وربط بينها وبين مقولات التحليل النفسي، واستخلص من ذلك نتائج جديدة. ولم يرجع في هذا الكتاب إلى أفكار من علم البيولوجيا، فكان لذلك ألصق بمؤلفات التحليل النفسي من كتاب «ما فوق مبدأ اللذة». وأفكاره فيه تركيبية أكثر منها تأملية، وتتناول مسائل لم يسبق تناولها في التحليل النفسي، واستعان فيها بأفكار من مجالات أخرى خلاف مجال التحليل النفسي ولمحللين نفسيين سابقين ارتدوا عن التحليل النفسي، ولكنه كما يقول كان أصيلاً في كل ما عرض، ومع ذلك فلم يكن راضياً تماماً عن الكتاب وهو يخطه، ولم تعجبه صياغته ولا تبويبه، وكتب بذلك إلى فيرينزي، وأبدى عدم الرضا عما جاء فيه فيما عدا نظريته في الهو.

ويتضمن الكتاب أول عرض منهجي لنظرية فرويد في الشخصية وأقسامها الثلاثة - الهو والأنا والأنا الأعلى، إلا أن عرض الكتاب للأنا الأعلى كان أكمل من عرضه للأنا، ولعلّ العرض الأكمل للأنا يتضمنه كتاب «الكفّ والعَرَض والقلق» الذي نشره سنة ١٩٢٦.

ويشتمل الكتاب على خمسة فصول يعالج فيها العلاقة بين الشعور واللاشعور وما قبل الشعور، وبين الأنا والأنا الأعلى والهو، وماهية الليبيدو كطاقة حيوية، وعلاقة الأنا العالم الخارجي، والتسامي وعلاقته بكبت عقدة أوديب، وقيام الأخلاق والدين والمشاعر الاجتماعية على أساس كبت هذه العقدة، والتغلّب على المنافسة بين الأشقاء أو بين أفراد الجيل الواحد، والغرائز وأقسامها وعملها، وعلاقة ذلك كله بالمرض النفسي والعلاج بالتحليل النفسي.

ويؤكد في الفصل الأول على تقسيم الحياة النفسية إلى ما هو شعوري وما هو لا شعوري باعتباره الفرضية الأساسية التي يقوم عليها التحليل النفسي، فهذا التقسيم هو الذي يجعل من الممكن للتحليل النفسي أن يتفهم العمليات النفسية المَرَضية وأن يجد لها مكاناً في مجال العلم، وبعبارة أخرى أن التحليل النفسي لا يقبل الرأي الذي يذهب إلى أن الشعور وحده هو أساس الحياة النفسية، فلفظ شعوري لفظ وصفي بحت، والفكرة

الشعورية قد تصبح لاشعورية. ويطلق فرويد على اللاشعوري بالمعنى الوصفي إسم ما قبل الشعوري، أي أنه كامن ويمكن أن يتحوّل من اللاشعورية إلى الشعورية. ويحتفظ فرويد باللاشعوري بالمعنى الدقيق لما هو أعمق من ذلك، ويخصّ به ما يسميه سيكولوجية الأعماق. واللاشعوري نوعان، أحدهما يتعلّق بالأنا بتأثير الكبت، والآخر يتعلّق بالهو وهو النزعات الغريزية فيه، والموروث عن السلف.

وفي الفصل الثاني يشرح فرويد علاقة جهاز الإدراك الحسّي بما هو قبل شعوري، ويزيد ما قبل الشعور تفسيراً ويجعله مخزن الصور اللفظية التي بارتباط اللاشعور بها تصبح شعورية، كما يزيد المكبوت شرحاً بأنه يندمج في الهو ويصبح جزءاً منه وقد فصلته عن الأنا المقاومة التي يبذلها الكبت، ويقول عن الأنا إنه القسم من الهو الذي يتعدّل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيراً مباشراً بواسطة جهاز الإدراك الحسّي، وهذا الجهاز يلعب في الأنا الدور الذي تلعبه الغريزة في الهو.

ويتناول الفصل الثالث تخارج الأنا المثالي أو الأنا الأعلى من الأنا، و باعتباره قسماً متمايزاً وأقل ارتباطاً بالشعور من بقية أقسام الأنا، ويكمن خلفه أول وأهم تعين، وهو التعين بالشخصية الوالدية بحسب نوع جنس الطفل وتعامله مع عقدة أوديب. وتلعب الاستعدادات الجنسية للذكورة والأنوثة في كل من الجنسين الدور الحاسم في التعيّن بأحد الوالدين وتؤدي إلى تقمص شخصية الأب أو شخصية الأم، والنتيجة العامة الإجمالية للمرحلة الجنسية التي تسيطر عليها عقدة أوديب هي التأثير على الأنا بهذين النوعين من التعيّن أو التقمّص. ويمثل الأنا الأعلى تكوين رد فعل قوي ضد هذه الاختيارات، وليست علاقته بالأنا قاصرة على ما ينبغي، ولكنها تشمل أيضاً التحريم، ولذلك يكون من مهامه كبت عقدة أوديب. ويتكوّن الأنا المثالي نتيجة عاملين، أحدهما بيولوجي والآخر تاريخي، أي أنه يتكوّن نتيجة للفترة الطويلة التي تستغرقها التربية ويقضيها الطفل في كنف الوالدين، ونتيجة عقدة أوديب وظهور النشاط الجنسي المزدوج عند

الإنسان. وبينما الأنا على الأخص - يمثل العالم الخارجي أو الواقع، فإن الأنا الأعلى على العكس يمثل العالم الداخلي. ويعكس الصراع الذي ينشب بين الأنا والأنا المثالي الخلاف بين ما هو واقعي وبين ما هو نفسي، أي بين العالم الخارجي والعالم الداخلي. ويمثل الأنا المثالي كل ما ينتظر من طبيعة الإنسان السامية، وهو يحتوي على الأصل الذي منه نشأت كل الأديان والأخلاق والشعور الاجتماعي.

وقد يبدو أن الخبرات التي يكتسبها الأنا تضيع بموت الأفراد، ولكن الواقع أنها تتكرّر بين أفراد الأجيال المتعاقبة وتتحوّل بذلك إلى خبرات موجودة في الهو تحفظها الوراثة، وهكذا يقوم الهو بحفظ آثار أعداد لا تحصى من الأنوات، وربما يكون قيام الأنا بتكوين الأنا الأعلى من الهو ليس إلا إحياء لصور الأنوات السابقة. ويخضع الأنا في الوقت نفسه لتأثير الغرائز كالهو حيث أنه تخارج منه.

وفي الفصل الرابع يميّز فرويد بين نوعين من الغرائز، هي مجموعة غرائز الإيروس أو الغرائز الجنسية، ومجموعة غرائز التدمير أو غريزة الموت، ومهمة الأولى الحفاظ على الحياة وتنميتها، وعمل الثانية إعادة الحياة العضوية إلى الحالة اللاعضوية التي كانت عليها.

وفي الفصل الخامس والأخير يناقش فرويد مسألة الأنا أكثر مما ناقشها سابقاً، ويرده الشعور بالذنب إلى التوتّر بين الأنا والأنا المثالي. والأنا هو المسؤول عن بقاء الإحساس بالذنب لاشعورياً لأنه المكلّف بعمليات الكبت في خدمة الأنا الأعلى، واشتداد هذا الإحساس بالذنب قد يجعل بعض الناس مجرمين، ويؤلم تعذيب الضمير في بعض حالات العصاب القهري. والأنا في قوته وفي ضعفه مكلَّف بالقيام بوظائف هامة، فهو بفضل علاقته بجهاز الإدراك الحسّي ينظم عمليات العقل في ترتيب زمني، ويقابلها بالواقع، ويؤخر حدوث الحركة والتحكّم فيها. وتؤثر حياة العالم الخارجي في الأنا وتثريه. والهو عالم خارجي آخر بالنسبة للأنا ويسعى لإخضاعه، ويسحب الأنا الليبيدو من الهو، ويحول الشحنات النفسية المتجهة من الهو إلى الموضوعات

وإلى أبنية ذاتية، ويساعد الأنا الأعلى على استعادة خبرات الماضي المخزونة في الهو.

والأنا هو الموطن الحقيقي للقلق، ويشعر بالخطر من ثلاث وجهات، من الهو والأنا الأعلى والعالم الخارجي، فيقوم بسحب شحنته النفسية من إدراك الشيء الذي يهدده كردّ فعل انعكاسي، ويطلقها في صورة قلق.

❖ ❖ ❖

– الأنانية...

- Egoism(E.);...
- Égoisme... (F.);...
- Egoismus (D.)...

يستخدم فرويد الأنانية مرة مقرونة بالأحلام، ويصفها بالأنانية المطلقة، ويشرح ذلك بأن كل حلم يدور حول الحالم نفسه، وإذا لم يظهر الأنا في محتوى الحلم بل ظهر شخص غريب فإن الأنا يكون عادة مستتراً وراءه بواسطة التعيّن، وإذا ظهر الأنا بجانب أشخاص آخرين فإنهم أيضاً هم أنفسهم الأنا بالتعين، بحيث يأتي تصوير الأنا في الحلم مرات ومرات تصويراً مباشراً مرة، وبواسطة تعيّنه بأشخاص أغراب مرات أخرى، والأنا المحبوب يظهر فيها جميعاً وإن تَقنّع، والحلم بشكل تام تحرّكه دوافع الأنانية دون غيرها.

ثم إن فرويد أدخل النرجسية فكان عليه أن يميّز بينها وبين الأنانية، فالنرجسية هي المكمل الليبيدي للأنانية، ويقوم التفريق بينهما على أساس أن الأنانية هي الاهتمام بالأنا، والغرائز التي تصدر عنها هي الغرائز الجنسية. وتشير الأنانية إلى ما يعود على الفرد بالمنفعة، وأما النرجسية فتشير إلى إشباع حاجاته الليبيدية. وقد يكون المرء أنانياً بشكل مطلق فلا يمنعه هذا من أن يفرغ مقادير من طاقة الليبيدو على موضوعات معيّنة، وهنا تجهد أنانيته أن لا يكون في طلب هذه الموضوعات ما يضرّ الأنا. وقد يكون المرء أنانياً وعلى درجة من النرجسية في الوقت نفسه، أي لا يشعر إلا شعوراً واهناً بالحاجة إلى

الموضوعات الجنسية. وفي مثل هذه المواقف السابقة تكون الأنانية هي العنصر الثابت الواضح، في حين أن النرجسية هي العنصر المتغيّر. وأما ما يقابل الأنانية وهي الغيرية فلا تعني إفراغ اللبيدو عى الموضوعات، ولا تلتمس الإشباع الجنسي في الموضوعات، وإنما تعني توجّه الاهتمام من الزنا إلى الغير بالتعيُّن بالغير، وأن يرى المرء نفسه فيهم فيحب لهم ما يحب لنفسه، ويطلب لهم ما تكون فيه مصلحة وفائدة لهم.

مراجع

- Freud:The Interpretation of Dreams. (1900)

: Introductory Lectures on Psychoanalysis . (1917)

❖ ❖ ❖

- الانطواء...

- Introversion (E., F. D.)...

إستخدم فرويد إصطلاح الانطواء للدلالة على الانصراف إلى الهواجس والتخيلات الشبقية، ويقول في كتابه «محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي» (١٩١٧) أن نكوص اللبيدو إلى الموضوعات الخيالية مرحلة تتوسّط الطريق الذي يفضي إلى تكوين الأعراض، وهي مرحلة جديرة باسم خاص يدل عليها، واقترح يونج أن يسميها بالانطواء، والتسمية ملائمة وموفقة - كما يرى فرويد - إلا أن يونج يسيء استعمالها فيطلقها على أشياء أخرى، بعكس فرويد الذي يعني بالانطواء انصراف اللبيدو عن الإمكانات التي تتيح له الإشباع الواقعي، وتراكمه الشديد على أخيلة كانت مباحة من قبل لأنها غير ضارة. فالشخص المنطوي Introvert لم يصبه العُصاب بعد، ولكنه في حالة غير مستقرة، فإن لم يجد مخارج أخرى لطاقة اللبيدو المكبوتة ظهرت لديه

أعراض المرض عند أول اختلال يُصيب القوى غير المستقرّة التي تؤثر في حالته. وأما الطابع غير الواقعي للاشباع العصابي، وزوال الفارق بين الخيال والواقع فيوجدان لديه ابتداءً من مرحلة الانطواء.

والانطواء - كما يراه يونج - إنسحاب من الاهتمام بالعالم الخارجي، وعكسه الانبساط Extraversion، والانطواء نمط مزاج أو إتجاه أو شخصية يميّز الأفراد الذين تنصرف إهتماماتهم في المحل الأول لأفكارهم ومشاعرهم الخاصة ويميل تقويمهم للأمور إلى الذاتية كمركز مرجعي أو إشاري. وأما فرويد فقد استعمل اللفظ دلالةً على أنَّ الفرد استدخل الليبيدو فصار يوجهه نحو عالم الصور الذهنية بدلاً من الواقع، ولا تعود هناك رغبة في التعبير الحركي، ويتحقق الإشباع الليبيدي في استجابة التخيّل، وفي التفاعلات التخيلية أو الهاجسية المتصلة بصور الأشياء الخارجية والأفكار عنها. ولا يعني الانطواء عند فرويد أن العلاقة الشبقية مع الواقع قد أفادت، وإنما يعني أن الفرد قد توقف عن توجيه حركته نحو بلوغ أهدافه المتصلة بالواقع، والانطواء يعني بذلك علاقة سالبة من الأنا بالموضوع، والاهتمام لا يكون في اتجاه الموضوع وإنما ينكص نحو الأنا.

مراجع

- Jung, C.: Psychological Types. (1923)
- Freud: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (117)

❖ ❖ ❖

– «إنقسام الأنا في العملية الدفاعية»...

- «Splitting of the Ego in the Process of Defence» (E.);...
- «Clivage du Moi dans le Procès de Défense» (F.)'...
- «Die Ichspaltung im Abwehrvorgang» (D.)...

هذا البحث كتبه فرويد عام ١٩٣٨ ولم يكمله بسبب المرض، وتوفي وتركه ناقصاً وقام تلاميذه بنشره بالعدد ٢٥ من مجلة التحليل النفسي «إيماجو» سنة ١٩٤٠، والبحث مهم برغم نقصه. ومع ذلك فالمعنى العام الذي أراد فرويد أن يلخصه واضح، وذهب فيه إلى أن الأنا في الطفولة عندما يواجَه بمطلب غريزي قوي يواجه بسببه بمخاطر معيّنة، فإنه قد يسلك أحد ثلاثة سبل، فإما أن يدرك الخطر ويمتثل لما يفرضه عليه فيمتنع عن الإشباع الغريزي، وإما أن يرفض الواقع ولا يرى ثمة ما يوجب التخوّف منه ويظلّ يمارس الإشباع الغريزي، وإما أن يوفق بين الإشباع الغريزي وإدراكه لمخاطر مطاوعة نفسه عليه. وهذا الحل الثالث قد يلجأ إليه خصوصاً ولكنه يتم على حساب انقسام الأنا على نفسه، ولو حدث واختار هذا الحل فإن الانقسام الذي يحدثه في الأنا لا يمكن علاجه من بعد ذلك، وعلى العكس فإنه سيزداد مع الزمن. ويضرب فرويد المثل بحالة من الواقع لصبي صغير بين الثالثة والرابعة، أغوته بنت أكبر منه وجعلت تلامس أعضاءه الجنسية وتجبره على أن يبادلها ذلك، وبذلك عرف الولد من سن مبكرة لذة ملامسة أعضاء الجنس عنده، وأن البنات ليس لهن قضيب، فلما انقطعت صلته بالبنت لسبب ما كان قد اعتاد على التنبيه الجنسي فاستمرّ يفعله بيديه وعرف ما يسمى الاستمناء، وهي العملية التي يمارسها المراهقون باليد وتنتهي بالإمناء، وفي حالة الولد لم يكن هناك إمناء طبعاً وإنما إشباع غريزي. ولما اكتشف أهله أمر ممارساته هدّدوه بإخصائه، أي قطع قضيبه، وتصوّر أنه بهذا العقاب سيكون كالبنات، والأمر الطبيعي أن يدفعه خوفه من هذا العقاب إلى الإقلاع عن ممارسة الاستمناء، إلا أن الحل الثالث الذي اهتدى إليه هو أن يتصوّر أنه من الممكن إن ينمو له قضيب بديل، وأن عملية الإخصاء رغم إدراكه لخطورتها مستحيلة، فحتى البنات لا يمكن أن يكنّ بلا قضيب نهائياً، وإنما استبدل بالقضيب عضواً آخر من الجسم الأنثوي وأضفى إليه القيمة التي للقضيب، وهي العملية التي تسمى الفيتيشية، وبذلك قاوم في نفسه الخوف من الإخصاء وأن

يكون كالبنات واستوجب ذلك منه أن يستنفر كل ذكورته للتغلّب على هذا الخوف، وأن يعوض نفسه عن إمكان إخصائه، كما في قصة زيوس مع أبيه كرونوس في الأسطورة، فالأب كان يعاقب أولاده بأن يلتهمهم، وزيوس كان أصغرهم وأنقذته أمه، ولكنه عاد وانتقم من أبيه بأن أخصاه. وفي حالة هذا الصبي الذي يحكي عنه فرويد فإنه رغم جرأته المظهرية أو عدم المبالاة التي أظهرها للتهديد، إلا أنه أظهر عَرَضاً برهن به على أنه مدرك للخطر رغم ذلك، وهذا العرض وإن كان طفيفاً إلا أنه يثبت انقسام الأنا عنده، فقد نقل القيمة التي لأعضائه الجنسية لأصابع قدميه، واستمرّ يمارس الإمناء بقضيبه، ولكنه في الوقت نفسه كان يبدي الخوف من ملامسة أصابع قدميه، وامتنع عن ملامستها، وظل هذا العَرَض معه حتى تاريخ كتابة فرويد لهذا البحث.

❖ ❖ ❖

– آيتنجون، ماكس...

- Eitengon, Max...

ألصقُ الحواريين بفرويد، وكان أكثرهم مالاً، وأغدق لذلك الكثير على حركة التحليل النفسي من جيبه، وأنفق على إنشاء عيادة برلين للعلاج بالتحليل النفسي بسخاء، وكان يلبي جميع طلبات فرويد، ويغيّر من رأيه وعواطفه بحسب ما يرضيه. ولعله كان أكثر جماعة التحليل النفسي إحساساً بيهوديته، وقيل إنه ربما يزيد عليه ساخس في ذلك، وإسهامه في حركة التحليل النفسي يكاد ينحصر في النواحي التنظيمية والمالية دون النواحي العلمية، وكافأه فرويد بأن عيّنه رئيساً للرابطة الدولية للتحليل النفسي سنة ١٩٢٥ بعد وفاة أبراهام، وكانت معرفة آيتنجون بفرويد ابتداءً من سنة ١٩٠٧، وحضر ندوة الأربعاء التي كان فرويد يعقدها في بيته، وكان وقتها طالباً بالطب في زيورخ، فسمع عن «علم النفس الجديد» وأراد أن يستشير فرويد في حالة مرضية كان يُشرف على علاجها، ودرّبه

فرويد على التحليل وشرح له طرقه، واستقرّ بعد ذلك في برلين إلى أن هاجر إلى فلسطين سنة ١٩٣٣ بعد تولي النازي زمام الحكم في ألمانيا، وأنشأ بفلسطين جمعية التحليل النفسي الفلسطينية. وكان آيتنجون ضمن اللجنة السداسية التي اختارها فرويد كحرس إمبراطوري للتراث التحيلي، واختاره لهذه المهمة بعد وفاة أنطون ڤون فروينند فحلّ محلّه، ووضع خاتم الجماعة المميّز الذي كان لفرويد. ومن مواقفه البارزة أنه آزر المحلّلين الأميركيين في موقفهم حيال المحلّلين النفسيين من العامة - أي غير المتخصصين طبياً - حيث رفض أن يشتركوا في مؤتمرات التحليل النفسي الدولية.

مراجع

- Jones, E.:The Life and Work of Sigmund Freud. (1953)

❖ ❖ ❖

- الإيروس...

- **Eros (E.; D.);...**
- **Éros (F.)...**

اللفظة يونانية وتعني الحب أو إله الحب عند الإغريق، وأدخل فرويد هذا المصطلح ضمن أدبيات التحليل النفسي باعتبار الإيروس دافعاً إلى الحب والجنس والتكاثر والبقاء. وعلى هذا المصطلح نشأت مصطلحات أخرى من مثل Erotic بمعنى شهوي أو شبقي، وEroticism بمعنى الشهوية أو الشبقية، ومناطق الإشباق Erotic zones أو الحسّ الشبقي في الجسم، وهي الفم والإست والقضيب والبظر، إلخ، فنقول الشهوة الفموية Oral erotism ونعني بها اللذة المتحصلة من استخدام الفم، والتلذّذ الإستي Anal erotism وهو مرحلة من مراحل التطوّر النفسي الجنسي، إلخ.

وفكرة الإيروس الفرويدي مأخوذة من اثنين من الفلاسفة أحدهما أفلاطون والآخر أمبادوقليس، والأول (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م.) يذكر الإيروس بالإسم ويقول إنه

غريزة الحياة والتلذّذ بالمحسوسات ونزعة الخلود عن طريق الجنس والتكاثر، والثاني وهو الأهم بالنسبة لفرويد، ينقل عنه مباشرة القول بمبدأين يحكمان الوجود، المبدأ الأول هو المحبة، وهو مبدأ تأليف وتجميع وتخليق واستيلاء، وهو مبدأ حياة، والمبدأ الثاني هو نقيض المحبة، وهو الكراهية، ومن شأنه إذكاء العداوة وإعمال التفريق والتفتيت والإفناء والموت، وهو مبدأ العدم، ويؤكد فرويد في مذهبه الما وراء نفساني على هذين المبدأين النقيضين، فهو أولاً يقول بمبدأ اللذة واللالذة، وهو ثانياً يقول بغريزتي الحياة والموت أو الإيروس والثاناتوس.

ويستخدم فرويد هذا الإسم الأسطوري - الإيروس - لأنه أراد أن يحيل ما يقول من البيولوجيا إلى التنظير الفلسفي، ثم إنه أراد به أن يرفع عن نفسه تهمة أن نظريته في الحياة هي نظرية في الجنس ولا أكثر من ذلك، وهو يقول إن الذين يخجلون من استخدام المصطلحات الجنسية يمكنهم استخدام مصطلح الإيروس والإيروسي الأكثر رقياً، وكان بإمكانه هو نفسه أن يجنّب نفسه الكثير من المشاكل ووجوه النقد والمعارضة لأفكاره لو استخدم منذ البداية مصطلحي الإيروس والإيروسي، ولكنه لم يفعل، لأنه كما يقول لم يرد أن يتراجع ويسمح بتنازلات من أول الأمر، لأنه لا يعلم أين يمكن أن يؤدّي به التنازل، فالتنازل قد يبدأ على مستوى الكلمات وقد ينتهي بالتنازل عن الشيء نفسه. واستخدام مصطلح الإيروس رغم ما فيه من فوائد إلا أن في استخدامه أيضاً بعض السيئات، لأن الإصرار عليه يعني حجب الجنسية وهي الركن الركين في نظرية التحليل النفسي عند فرويد، ثم إنه يرفع من شأن التسامي على حساب الجنس نفسه. ويستخدم فرويد الإيروس ضمن التقليد الفلسفي والأسطوري السابق باعتبار الإيروس أشمل من الغريزة الجنسية، فهناك بخلافها الدوافع الغريزية المشتقة منها والتي تناولها الإعلاء والكف، وهناك غريزة حفظ الذات التي تنسب إلى الأنا، وبالاختصار هي غريزة حياة، وفي مقابلها غريزة الموت التي مهمتها نقض ما عقدته غريزة الحياة، أي إعادة الحياة العضوية إلى

حالة غير حية. فلو افترضنا أن الإيروس يهدف إلى تعقيد الحياة بقيامه باستمرار بتوحيد الذرات التي تفتّتت إليها المادة الحيّة (أمبادوقليس) فإنه بذلك يهدف في الوقت نفسه إلى استمرار الحياة (أفلاطون)، وكأننا كما يقول أمبادوقليس بحق بصدد دورات لا تنتهي تتألف من التركيب (الحياة) ثم النقض (الموت). وكما يقول فرويد فالغريزتان تحاولان أن تعيدا الأحوال السابقة، من الحيوات السابقة من حيث أن ظهور الحياة هو سبب لاستمرار الحياة، كما أنه السبب في ظهور الموت، وتصبح الحياة نفسها مدار صراع وحلول توفيقية بين هذين الاتجاهين.

(أنظر أيضاً نظرية الغرائز، وغريزة الحياة، وغريزة الموت).

مراجع

- Freud: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

: Three Essays on the Theory of Sexuality, (1905)

: The Ego and the Id. (1923)

❖ ❖ ❖

- إيماجو...

- Imago (E.: F.; D.)...

إسم مجلة دورية أصدرتها جماعة فرويد للتحليل النفسي، وكان فرويد قد اقترح سنة ١٩١١ أن تكون للجماعة مجلة خاصة لنشر البحوث في التطبيقات غير الطبية للتحليل النفسي، وكان في هذه المرحلة مشغوفاً بهذا المجال دون سواه، ويدرس الظاهرة الدينية ويدلي بدلو التحليل النفسي في موضوع الدين، وهو ما أثمر لديه كتابه في الطوطم والمحرم الذي نشره سنة ١٩١٢. واقترح فرويد إسماً للمجلة «الإيروس والنفس Eros-Psyche»، وكان هذا الإسم من إبداع شتيكل أصلاً، إلا أن ساخس لم يُعجبه الإسم واقترح أن يكون «إيماجو»، وهو إسم أعجبه لإحدى روايات سبتلر، ووافقه فرويد عليه، وظل يبحث عن ناشر للمجلة واستطاع أخيراً أن يُقنع دار هيلر للنشر أن تتولى إصدارها، وظهر العدد الأول منها في يناير سنة ١٩١٢ فحقق نجاحاً منقطع النظير، وبيعت كل

الأعداد، وقوبل من الدوائر العلمية بالتقريظ والإعجاب.

والإيماجو أصلاً في البيولوجيا هي اليافعة المكتملة النمو بعد تشكلها الظاهري النهائي، وفي التحليل النفسي هي الصورة المتخيلة، أو كما نقول في الاصطلاح التحليلي هي التخيل الأمثل لشخصية كان لها أثرها أيام الطفولة كالوالدين، وهي عادة تمثّل لأحد الوالدين من الجنس المقابل يتكون لا شعورياً ولا تصححه الأحداث الواقعية التالية، حيث تكون الصورة قد أصبحت مثالية. ويعود استخدام المصطلح ليونة في كتابه «طفرات ورموز اللبيدو» (١٩١١)، وفيه يتصدى بالوصف للصورة النفسية المتخيلة للوالدين والإخوة، وتشكّل الإيماجو وعقدة أوديب فكرتين متقاربتين حيث كلاهما تخيل والديّ، إلا أن الإيماجو هي الصورة المنتقشة في الشعور للوالدين، بينما العقدة هي مجمل تأثير العلاقة مع الوالدين. ثم إن عمل عقدة أوديب لاشعوري دائماً، بينما قد يعي المرء عن الصورة المتخيلة للشخصية المصيرية في طفولته ويكون لذلك مردوده الواعي على مشاعره وأفكاره. ومع ذلك فإن الإيماجو في تعريف جونز هي الصورة المقدسة أو صورة الإعجاب اللاشعورية بالوالدين، وقد تتبلس أو تتمثّل بأشخاص غير الشخص الأصلي. وعند يونج فإن الطفل الصغير يظل على الحقيقة لوقت طويل جزء من جسد الأم، ثم بعد ذلك هو استمرار للجو النفسي للأم لبضع سنوات، وبهذه الطريقة فكل ما هو أولي أو أصلي أو بدائي في الطفل يمتزج بصورة الأم على نحو لا يمكن فصمه. ويونج يشير إلى صورة للأم بدائية موروثة جماعياً. وينسب شتيكل للنساء ميولاً نزوعية أفلاطونية نحو الرجال الكبار المتزوجين، ويُرجعها لصورة الأب المثالي عند هذا النوع من النساء.

ويُقال أحياناً عن الشخص الذي تنعكس صورته بالمرآة في اللاشعور إنه الصورة المثال أو الإيماجو، ويُطلق إسم مرحلة المرآة: Spieelstufe (D.) mirror stage (E.); stade du miroir (F.) على المرحلة التكوينية للطفل التي يتعين فيها بصورته النفسية التي تتحصل له من مطالعة نفسه في المرآة وتخيّلها على

وضعية خاصة تعيّنه على استباق حلول لنواقص يستشعرها ويكون بها رضاه عن ذاته، وتشكل هذه الصورة الشبيهة أو الذاتية في شكل أنا مثالي. والفرق بين الإيماجو كصورة مثالية للأب، وبين صورة الأب Father figure، أن هذا المصطلح الأخير يتعلّق بشخص آخر ينوب عن الأب Father surrogate، أو يعوضه، وتتحول إليه الإستجابات والاتجاهات التي نمت أصلاً نتيجة علاقة الفرد بوالده.

وبعض الصور المتخيلة عن الوالدين قد لا تكون مثالية، وربما كانت كصورة متخيلة نقيض ذلك، وقد تكون نقيض الواقع، كأن تكون الإيماجو عن أب مخوف وهو في الواقع قيليل الشأن.

مراجع

- Jung, C.: Psychology of the Unconscious: A Study of the Transformations and Symbolisms of the Libido. (1916)

❖ ❖ ❖

- ب -

حرف الباء

– البارافرينيا...

- **Paraphrenia (E.);...**
- **Paraphrénie (F.);...**
- **Paraphrenie (D.)...**

هذا الاصطلاح وضعه كريبلين ويعني به الذهان الهذياني المزمن غير المصحوب بتدهور القوى العقلية ولا يتطوّر إلى العته، شأنه مثل البارانويا أو الهذاء، ويقترب من الفصام بتأثير الهلاوس المصاحبة له.

واقترح فرويد هذا الاصطلاح ليحلّ محل اصطلاح العته الباكر (أو الفصام) مؤثراً أن يربط بين العته الباكر والبارانويا، وأطلق عليهما معاً إسم الذهانات الهذائي، إلا أنه عاد واقتنع بعدم الربط بين العته الباكر والبارانويا، ولم يشتهر مصطلحه، وتخلّى عنه هو نفسه ابتداء من سنة ١٩١٨، وأخذ بمصطلح «الفصام» الذي قال به بلويلر كبديل للعته الباكر.

مراجع

- Freud: Narcissism: An Introduction. (1914)

: Pshychoanalytic Notes on an Autobiographical Account of a Case of Paranoia (Dementia Paranoides). (1911)

❖ ❖ ❖

– البارانويا...

- **Paranoia (E.; F.; D.)...**

البارانويا من مجموعة الذهان، وكان فرويد في مراسلاته مع فليس، وفي أعماله المنشورة مبكراً يُدرجها ضمن المفهوم السابق على كريبلين، ويجعل منها كياناً مرضياً عقلياً فضفاضاً من أعراضه هذاءات العظمة، وهذاءات الاضطهاد، وهذاءات العشق والغيرة. إلا أنه مع ذلك لم يرَ أن الهذاءات محطات نهائية للبارانويا، وأخذ ابتداءً من سنة ١٩١١

بتصنيف كريبلين الذي يمايز بين البارانويا والعته الباكر، مخالفاً بذلك تلميذه بلويلر الذي أدخل البارانويا ضمن مجموعة الفصام، لأنه تبيّن فيها التفكّك وهو الاضطراب الأساسي في الفصام، وكان فرويد يمايز بينهما من حيث نقاط التثبيت والميكانيزمات الفاعلة، ولا يرى مع ذلك استحالة امتزاج أعراضهما بكل النسب المتصوّرة. وفي دراسته عن حالة شريبر ألحق أشكال العته الباكر شبه البارنية بالبارانويا، حتى في الاسم الذي أعطاه للدراسة ذكر أنها حالة «عته شبه بارني».

وتقوم نظرية فرويد في البارانويا على تمييز هذاءاتها بطابعها الدفاعي ضد الجنسية المثلية، ويصف الدفاعات الاستجناسية فيها بالعنف المسرف، ويستخدم المريض آلية الإسقاط كإجراء دفاعي، أو بأن يُسقط ما بنفسه من دفعات استجناسية لاشعورية على الآخر،ثم يصارع ضدها كأنها ناشئة عن الآخر وليست عنه هو. وفي بارانويا الغيْرة ينمّي المريض توهمات خيانة لزوجته، وحسب حالة شريبر فإن هذه التوهمات أساسها الأفكار الاستجناسية اللاشعورية التي مؤداها: «لست أنا الذي يحب هذا الرجل، بل هي التي تحبه». ويناقض ذلك من حيث الموضوع أيضاً في صورة توهمات إضطهاد «أنا لا أحبه بل أكرهه، ولهذا هو يكرهني ويضطهدني»، ويناقضه من حيث الموضوع كذلك وعن طريق الهوس الشبقي «أنا لا أحبه بل أحبها لأنها التي تحبني». ثم يناقضه أخيراً بالإنكار التام لكل ما سبق «أنا لا أحب أحداً على الإطلاق بل أحب نفسي فقط».

مراجع

- Freud: Psychoanalytic Notes on an Autobiographical Account of a Case of Paranoia (Dementia Paranoides). (1911)

❖ ❖ ❖

- بروير، يوسف...

- Breuer, Joseph...

(١٨٤٢ - ١٩٢٥) يُطلق النقاد على الفترة من تاريخ حياة فرويد التي عرف فيها بروير إسم مرحلة بروير وتمتدّ من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٨٩٥، وفيها كان اكتشاف فرويد لطريقة التداعي الحر، وهي التقنية التي يقوم عليها التحليل النفسي الفرويدي.

وبروير يهودي نمسوي، رشّحه ثلاثة من كبار علماء النمسا في عصره لعضوية أكاديمية العلوم النمسوية، وهم سيجموند إكستر، ويوالد هيرنج، وإرنست ماخ. وكان بروير يكبر فرويد بأربع عشرة سنة، ورأسه في معهد الفسيولوجيا، وتقارب الاثنان حتى صارت علاقتهما حميمة، وصارا يتزاوران عائلياً، وأطلق فرويد إسم زوجة بروير على ابنته الكبرى، وكان يعتبر أن إسم يوسف فأل طيب له، فقد سكن أيام التلمذة في شارع القيصر يوسف في فيينا، وكان صديقه يوسف بنيت الذي ورد اسمه في كتابه تفسير الأحلام، وهو خليله وخليفته في معهد الفسيولوجيا. وكان فرويد يرى في نفسه شبهاً بالنبي يوسف، وكلاهما قامت شهرته على تفسير الأحلام، وأخيراً كان يوسف بروير عماده في هذه المرحلة من عمره بعد مرحلة تلّقيه على شاركو في باريس. وعمل فرويد معه، وكانت لبرويو إبداعات، وأصدرا معاً كتاب «دراسات في الهستيريا Studies in Hytseria» (١٨٩٥) واشتركا من قبل في بحث نشراه أيضاً بعنوان «الميكانيزم النفسي للظواهر الهيسترية» سنة ١٨٩٣. ويؤرّخ عادة لبداية التحليل النفسي بهذا الكتاب - دراسات في الهيستيريا»- الذي قدّم أغلبه فرويد، قدّم أربع حالات من الحالات الخمس التي يتضمنها، غير أن الحالة التي اشتملها الكتاب وكانت تحت رعاية بروير هي أهم هذه الحالات، وتعرف باسم حالة السيدة Anna O. وهي السيدة التي كانت سبباً في اكتشاف طريقة التنفيس، أما الحالات الأربع الأخرى والتي تناولها فرويد فبطلاتها كما وردن في الكتاب هي الآنسة إيمي، والسيدة إليزابيت، والآنسة لوسي ثم الآنسة

كاترين. وكانت لبروير تجربة مريرة أثناء علاجه للحالة التي أشرف عليها، فقد حاولت Anna O. أن توقعه في حبائلها الجنسية، وكادت تدمر حياته الزوجية، وتعلّم بروير من هذه الحالة أن الإصابة بالهيستيريا لها أساس جنسي. وفي مقدمته للكتاب نبّه بشكل واضح وصريح إلى أن الغريزة الجنسية هي من أهم أسباب الإصابة بالعصاب، وأن الرغبات الجنسية الملحة أثناء الحياة اليومية والصراعات التي تتولد بسببها وراء التداعي بالمرض النفسي. وقال إن أغلب الأفكار المكبوتة التي تؤدّي إلى الإصابة بالهيستيريا التحولية لها محتوى جنسي. ورغم أن آراء بروير كانت محدَّدة فإن فرويد أنكر على بروير أن تكون هذه آراؤه وكتب إلى صديقه فليس يقول إنه أفلح في أن يضم بروير إلى وجهة نظره في الأصل الجنسي للعصاب. ويبدو أن هذا الادعاء لفرويد أن الاكتشاف الذي طرحه بروير في الدراسات في الهيستيريا هو اكتشافه هو وليس اكتشاف بروير، هو الذي أدّى إلى القطيعة بين الصديقين، ولم يكن هناك تثريب البتة من جانب بروير، إلا أن فرويد تباعد عنه وانقطع تماماً، ثم كتب إلى فليس يُعرب عن كراهيته لبروير حتى ليتمنى أن يهاجر من النمسا بسببه!! وهذا الموقف نفسه سنراه مرة أخرى مع فليس الذي استعاض به فرويد عن بروير، واعتمد عليه أيضاً اعتماداً كلياً، وأخذ عنه نظريته في الجنسية الشاملة والثنائية الجنسية وفترة الكمون والتسامي، ثم قاطعه تماماً هو الآخر!! (أنظر أيضاً فليس، وليام).

مراجع

- jones, E: The Life and Work of Sigmund Feud. (1953)
- Freud: Joseph Breuer. (1925)

❖ ❖ ❖

– بريل، أبراهام أردين...

- Brill, Abraham Arden...

(١٨٧٤ – ١٩٤٨) من رواد التحليل

النفسي في الولايات المتحدة، وقام بترجمة مؤلفات فرويد إلى اللغة الإنجليزية، وله أيضاً إسهاماته الخاصة، مثل كتاب «التحليل النفسي، نظريته وتطبيقاته العملية Psychoanaolysis, Its Theories and Practical Applications» (١٩٢١)، وكتاب «المفاهيم الأساسية للتحليل النفسي Fundamental Conceptions of Psychoanalysis» (١٩٢٢).

وبريل يهودي نمساوي، هاجر إلى الولايات المتحدة وهو بعد طفل وتعلّم بجامعة نيويورك، وحصل على الدكتوراه في الطب من جامعة كولومبيا، ثم سافر إلى النمسا ليتلقى على فرويد، وحضر ندوة الأربعاء التي كان يعقدها في بيته، وكان ذلك لأول مرة في السادس من مايو سنة ١٩٠٨، ودرس على يوجين بلويلر بجامعة زيورخ، ولما عاد إلى أميركا عُيِّن رئيساً لقسم الطب النفسي، وعلّم عِلْم نفس الشواذ بجامعات كولومبيا ونيويورك والمركز الطبي للخريجين، غير أنه لم يتبع تماماً نظريات فرويد، وكان أقرب إلى نظريات بلويلر منه إلى نظريات فرويد، وساعده على ذلك أنه أجرى بعض البحوث في الفصام مع بلويلر، وتأكد أن المرضى به رغم سلوكهم الفج فإن كل تصرفاتهم تشير إلى معان من حياتهم وخبراتهم. واتّبع بريل على ذلك منهجاً أكثر مرونة من منهج فرويد في العلاج، قوامه التقرّب من المريض بالفصام لعلّه يكتشف من خلال جلسات العلاج وتداعيات المريض ودراساته على سلوكه المعني خلف هذا السلوك لحياته كلها وردود فعله على خبراته السابقة، ويروي النقّاد مع ذلك أن بريل لم يحقّق الكثير من طريقته في العلاج.

والجدير بالذكر أن بريل شارك مع أبراهام وفيرينزي وجونز في الإعداد لإصدار مجلة للتحليل النفسي، وكانت ترجمات بريل لفرويد سيئة بسبب قلّة درايته بالألمانية، وكان جونز يراجع الترجمات ويقوم بتعديلها، وقد عذره فرويد وقال إني أأتمن صديقاً لا يعرف كثيراً في الترجمة على مترجم محترف وليس بصديق. ولما زار فرويد أميركا ليعطي محاضرات في جامعة كلارك سنة ١٩٠٨، كان بريل في استقباله واحتفى به

كثيراً، إلا أنه بعد الحرب العالمية الأولى. وبعد أن بدأ بريل يُظهر اختلافاً في ممارساته عن فرويد أرسل إليه إنذاراً بفصله من الدولية وإعلان الإنكار عليه. وفي سنة ١٩٢٥ عارض بريل بشدة انضمام المحلّلين النفسيين العلمانيين - أي من غير الأطباء - إلى حركة التحليل النفسي، وأعلن في جمعية التحليل النفسي في نيويورك أنه سيقاطع فرويد كلية إذا أصرّ على رأيه من تحبيذ انضمام غير الأطباء كمحلّلين. وكان بريل من المناهضين لفرينزي وآرائه في التحليل النفسي. وشارك بريل ضمن المجموعة التي التقت بجورنج وزير الإعلام في حكومة النازي للحصول على موافقة النازي على توجهات حركة التحليل النفسي.

مراجع

- Brill, A.: Basic Principles of Psychoanalysis. (1949)

❖ ❖ ❖

- برينس، مورتون...

- Prince, Morton...

(١٨٥٤ - ١٩٢٩) أحد الأوائل الذين استخدموا مفاهيم التحليل النفسي وتعلّموا على شاركو، ومن هؤلاء كان فرويد نفسه وجانيه، والثلاثة مهروا في التحليل النفسي. وتقوم طريقة برينس على التحليل النفسي والتأويل والتنويم كوسائل علاجية أساسية. والعملية العلاجية بمنظور برينس هي عملية إعادة بناء للشخصية، وله كتاب «اللاشعور The Unconscious» (١٩١٣)، إلا أنه انصرف أكثر إلى دراسة إضطرابات الشخصية، ومن أشهر كتبه «تصدّع الشخصية Dissociation of Personality » (١٩٠٦) أكد فيه على الجانب اللاشعوري من أسباب هذا الاضطراب، وأرجعه إلى الصراعات اللاشعورية التي من شأنها أن تمزق وحدة الشخصية وتفسد عليها تكاملها وتدمر تماسكها، وقال بازدواج الشخصية Double personality ، أي انقسامها على نفسها بحيث تتخارج من

الشخصية الأساسية شخصية تتعارض مع الأولى، وتعيش الشخصيتان عند الشخص نفسه شعورياً، فتظهر الشخصية الثانوية نادراً، ويغلب ظهور الشخصية الأصلية. وفي بعض الحالات قد يشتدّ الصراع النفسي بين الشخصيتين، وقد تنتصر الشخصية الثانوية وتتلاشى أمامها الشخصية الأصلية أو تُنسَى، وقليل من هذه الحالات له مواصفات عصابية هيستيرية، والمريض يعيش أغلب الوقت حسب مقتضيات الواقع وما يفرضه عليه الأنا، ثم يعيش فترات بحسب دوافعه اللبيدية أو رغباته المكبوتة. ومعنى التصدّع النفسي كما يورده جانيه أن بعض النشاط النفسي العقلي يستقل بنفسه عن التيار الشعوري العام، وقيل إن جانيه كان أسبق من فرويد في تقسيم العمليات العقلية إلى شعورية ولا شعورية نتيجة التفكك في الشخصية وانعدام الوحدة والتكامل النفسي فيها، إلا أن برينس هو الذي طوّر هذا التقسيم وقال إن هذا التفكّك يمكن أن تتولّد به أكثر من شخصية. وكان توصيف برينس للاشعور أقرب إلى توصيف فرويد منه إلى توصيف جانيه، غير أنه من ناحية أخرى يختلف عن فرويد في إرجاعه الشذوذ النفسي إلى أنماط العادة غير المناسبة والميول الصراعية في الشخصية، وقال إن التصدّع يتسبّب فيه نوعان من القوى والعوامل المتضاربة في بناء الشخصية، يدفعان إلى ردود فعل إيجابية وسلبية، وكلما زاد الصراع بينهما كان ذلك أدعى إلى تنازع نُظم وأنساق الشخصية، ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون العلاج بإعادة التعلّم والتثقيف للمريض، بحيث يستوعب أسباب المرض النفسية، ويستبصر حالته، فيعمل ما من شأنه إنهاء الصراع النفسي داخله وتأليف أجزاء نفسه ومصالحة أنظمتها وأنساقها على بعضها. ومن أشهر الحالات التي تناولها برينس حالة كريستين بوشامب التي كانت لها خمس شخصيّات، ثلاث منها أصلية، واثنتان ثانويتان. واستخدم برينس في علاجها التنويم، فاستعادت المريضة توازنها وتماسكها واستأنفت حياتها من جديد وتزوجت.

مراجع

- Alexander, Eisenstein & Grotjahn: Psychoanlytic Pioneers.
- Prince, M.: The Mechanism and Interpretation of Dreams. (1910)

❖ ❖ ❖

- بلويلر - يوجين...

- Bleuler, Eugen...

(١٨٧٥ - ١٩٣٩) من أبرز المشتغلين بالتحصيل النفسي الدينامي، وأبرز من كتب في الفُصام، وكانت له مراسلات مع فرويد، وأبدى ومساعده كارل يونج إهتماماً شديداً بكتابات فرويد، وانضم إلى حركة التحليل النفسي، وعقد الثلاثة مع آخرين أول اجتماع تحضيري لهم ولم يعلنوا عنه وكان الإجتماع العلني بعد ذلك بسنتين، وبه تأسّست لأول مرة الرابطة الدولية للتحليل النفسي، وأصدروا كتاب «إيماجو» السنوي.

وبلويلر سويسري، وهو صاحب مصطلح «الفصام» واشتهر بكتابه «العتاه الباكر أو مجموعة الفصام Dementia Praecox or the Group of Schizophrenias» (١٩١١)، وكان قد قرأ مسودته على مؤتمر أطباء النفس الألمان ببرلين سنة ١٩٠٨ تحت إسم «تشخيص العتاه الباكر أو مجموعة الفصام»، وله أيضاً «المرجع في الطب النفسي Textbook of Psyciatry» (١٩١٦). ويعود الفضل لبلويلر في إلغاء ما كان كريبلين قد دعا إليه من أفكار حول الفصام، من أنه مرض عقلي ليس له أسباب نفسية، وأنه يأتي المرضى مبكراً، وأن المريض به تسوء حالته وتتدهور قواه العقلية باستمرار، فغيّر بلويلر من اسم المرض من العته الباكر إلى الفصام، ويتضمن الإسم الجديد الأعراض الحقيقية للمرض، حيث الفصام من الفعل فَصمَ بمعنى قسّم وجزّأ، ووصف بلويلر ديناميات المرض فقال إن المريض يتميّز بتناقض المشاعر، وهذا المصطلح التناقضي الوجداني من وضعه، وقال إن المريض يعاني من تضاغط في الأفكار ومن ثم

يتدفق كلامه بلا ضابط، وقد ينقطع كلامه فجأة كما لو كان يُعاني من انسداد، وإذا قال شيئاً فكلامه فيه بلا رابط وغير منسّق مع بعضه البعض. ويُسمِّى بلويلر ذلك بالتكثيف، ونبّه إلى أن المريض بالفصام يربط بين الكلمتين في كلمة، أو الفكرتين في فكرة، وقد يلمس المعاشرون له أنه يعاني من فقر أو إفلاس أو نضوب فكري، وقد لا يردّ على ما يوجّه إليه من أسئلة، أو قد يكتفي بترديد السؤال، وقد يجيب بكلمة لا صلة لها بالسؤال كما لو كانت رداً على سؤال داخله وليس السؤال الموجّه إليه من خارجه، وكما لو كان المريض له عالمه الداخلي. ويُسمِّى بلويلر هذه الظاهرة الذاتية Autism، ويقول إن المريض يسلك مجانباً للواقع بتأثير دوافعه الباطنة وعُقَده اللاشعورية وأفكاره الذاتية، وكان بلويلر بذلك أول من استخدم مفاهيم فرويد في العصاب - إستخدمها في مجال الذهان، وهذا التطوّر هو الذي أطلقوا عليه من بعد إسم الطب النفسي التأويلي. وبهذا التوصيف للفصام يصبح الاضطرابات التي تشخّص الأعراض بها باعتبارها أعراضاً انسحابية حيث يعجز المريض عن مواكبة العالم الخارجي فينسحب إلى عالمه الداخلي. وكانت لهذه التحليلات آثارها البعيدة في الطب النفسي التحليلي خاصة عند بنزڤانجر تلميذ بلويلر وصاحب الاتجاه الوجودي، وبلويلر نفسه كانت تحليلاته للشخصية الفصامية باصطلاحات وجودية، ولعلّ بليلر من الأوائل الذين أخضعوا المريض بالفُصام للتحليل النفسي ووصف نمط حياته بأنه أحد الأنماط الوجودية التي تحفل بها الحياة.

مراجع

- Bleuler: Textbook of Psychiatry. (1916)

❖ ❖ ❖

- بنزڤانجر، لودفيج...

- **Binswanger, Ludwig...**

(١٨٨١ - ١٩٦٦) قال بما يُسميه «التحليل الوجودي Daseinanalyse» كطريقة من طرق العلاج بالتحليل النفسي. وبنزڤانجر سويسري، من عائلة اشتهرت في مجال الطب النفسي خصوصاً، وكانت لها مستشفاها الخصوصي الذي أعطوه إسم «مصح المنظر الجميل Bellvue Sanitorium». ويخلط بنزڤانجر في طريقته بين التحليل النفسي الفرويدي وظاهرية هوسرل ووجودية هايدجر، معارضاً للمذاهب الفيزيائية التي تعتبر النفس شيئاً كالأشياء وتبحث في ظواهرها كبحثها في موضوعات الطبيعة، وكأن الإنسان أي كائن حي. وبنزڤانجر يستخدم المنهج الظاهرياتي ليصف به ويحلّل حياة المريض كما يعيشها في الواقع، ويقصر البحث على الفترة الحاضرة، على أهم أحداثها ووقائعها، ويتوخى ملاحظة ذلك دون أن ينحاز لنظرية معيّنة، ودون أن يقسر نفسه على تفسير ما يرى من منظور معيّن، أو يفرض على حياة المريض تفسيراً مسبقاً، ويتناول كوجودي الوقائع النفسية التي يكشف عنها التحليل باعتبارها الأُطُر التي تتحدّد داخلها هوية المريض، ويسعى أن يكتشف في حياة كل مريض عن معنى عام يعيش له وينطبع به سلوكه. ويتضمن ذلك أن يتعرف إلى أونطولوجية المريض، أي توجهاته المكانية ونمط وجوده الزماني، وطريقته في التعايش مع الناس، وفي التفكير، ومخاوفه ومزعجاته وتوتراته ومصادر قلقه، والاستمرارية التي عليه حياته سواء في داخلياتها أو ظاهرياتها. ويعيب بنزڤانجر على النهج الفرويدي تأكيده على أجزاء الأنا واللاشعور وما شابه، لأن التأكيد على الجزئيات دون المضمون الكلي فيه ابتسار لوجود الإنسان. ولا يُنكر تأثير أحداث الطفولة ويقول إنها أساس تصور الإنسان للعالم الذي يعيش فيه، وإنما اعتراضه على التأكيد عليها باعتبارها كل وجود الفرد، وإذا اقتصرنا على ردّ الحاضر إلى الماضي فسيكون تعاملنا مع شخص من الماضي وليس من

الحاضر، والماضي مع ذلك موجود، وإنما وجوده في الحاضر، والماضي هو سبب الإصابة بالعُصاب الحالي، والماضي من ثم جزء من الصورة العامة لعالم المريض، وتناول الحاضر فيها جلاء للماضي، والحاضر هو الحياة الشعورية الآنية للمريض، وهو الظاهر الذي تشير إليه أحلامه وتعبيراته اللغوية، وكلها دلائل على نوعية حياة المريض وعالمه الذي يعيشه وما يعاني منه. وكل ذات لها السياق العام والإطار المعنوي الذي تتحرّك داخله، وحتى الطفل له هذا السياق والمعنى العام لحياته، وهذا السياق أو المعنى العام هو الذي يسعى المحلّل الوجودي لمعرفته.

ويقول بنزڤانجر إن منهجه التحليلي الوجودي لا يريد به أن يحلّ محل التحليل النفسي بطريقة فرويد، ولكنه يعتبره تغييراً للأفضل نحو فهم حياة المريض فهماً ديناميا.

مراجع

- Needleman, J.: Being - in - the World. (A Critique of Freud and Binswanger. (1963)
- Van DenBerg, J.: the Phenomenological Approach to Psychiatry. (1955)

❖ ❖ ❖

- ت -

حرف التاء

– التابو...

- Taboo (E.);...
- Tabou (F.);...
- Tabu (D.)...

التابو كلمة بولينيزية شاعت في كل اللغات الأوروبية في المجال العلمي الإنساني بتأثير الدراسات الإثنولوجية، وتعني الحرام، وهو الشيء المقدّس الذي لا ينبغي أن يلحقه دَنَس، وهو مخوف لذلك ويشمله التحريم، بمعنى أن تتضمنه نواهٍ وزواجر مفادها «إفعل ولا تفعل». ويرد فرويد التابو إلى أصول نفسية، وينسبه إلى الخوف من إغضاب القوى الغيبية، حتى أن الإنسان ليخاف من مجرد لمس الأشخاص الذين جرأوا على انتهاك التحريم. ويرتبط التابو كنظام تشريعي أخلاقي قديم بالطوطمية، وهي أقدم ديانة معروفة، ودراستنا للشعوب والقبائل البدائية هي التي أمدتنا بالمعلومات عن الطوطمية والتابو معاً، ونعلم من ذلك أن التابو أو التحريم توجهان أساساً إلى مسألتين، الأولى تحريم الطوطم (معبود القبيلة)، والثانية تحريم الاتصال الجنسي بالمحارم، المترتب على أن بنات القبيلة وأولادها جميعاً إخوة وأخوات بسبب انتسابهم جميعاً للطوطم الواحد الذي هو بمثابة الأب الذي تنحدر منه القبيلة، ومن ثم كان ارتباط الطوطمية بنظام الحضّ على الزواج من الأباعد أو الأغراب.

والأساس النفسي للتابو أن موضوع التحريم مرغوب ومنهي عنه في الوقت نفسه، ومع الزمن يُتناسَى سبب المنع ولا يبقى إلا المنع، وتُكبَت الرغبة وتستمر مع ذلك لاشعورية. وهذا الموقف المزدوج الذي عليه البدائي بالنسبة للتابو، أو المشاعر المزدوجة التي تضطرب به بين الرغبة في إتيان الحرام والرهبة والخوف من العقاب المترتب على انتهاكه، هو الذي تترتّب عليه أفعال وأقوال يأتيها البدائي وتشبه إلى حد كبير الأعراض التي تأتي المريض بالعُصاب، وخاصة العصاب الوسواسي. ولا يخلص فرويد من ذلك إلى أن أصل العصاب الوسواسي هو التابو، وإنما ينتهي إلى نتيجة نفهم منها أن الأصول هنا وهناك هي هذه

الازدواجية في المشاعر - الرغبة اللاشعورية في انتهاك المحرم، والرغبة الشعورية في الالتزام به، أو الرغبة عموماً والخوف من العقاب. وهذه الازدواجية تبدأ معاً منذ الطفولة، ويكون من جرّائها أننا نتعلم كبت الرغبة وعدم التصريح بها، إلا أنها ما تزال موجودة رغم ذلك، فكبتها لا يعني تمام زوالها، ولكنها تظلّ تعمل فينا لاشعورياً، وهذا الأساس السيكولوجي للحرام هو نفسه الأساس السيكولوجي للأخلاق والدين، وللضمير، وهو الذي تتوخى الفنون عموماً والأساطير الشعبية التعبير عنه. ويُفسِّر فرويد بهذه الازدواجية مشاعر الحداد على الموتى من الأقارب وأحلام موت الأقارب، والخوف من أرواح الموتى ومن الجن والعفاريت، وكل ذلك تفسّره المشاعر ذات الطبيعة المزدوجة، الحانية والعدائية في آن واحد، والتي يُستَخدم فيها ميكانيزم الإسقاط، بمعنى أن العداء الذي لا يعرف عنه صاحبه شيئاً، ولا يريد أن يعرف عنه شيئاً، يُسقَط من الإدراك الداخلي على العالم الخارجي، أي يُفصَل عن الشخص الذي يستشعره ليُعزَى إلى شخص آخر.

ويقول فرويد إن الضمير يمثل الإدراك الداخلي للرغبات المحرّمة، وبسبب الحرام يكون شعور الضمير بالذنب. وشروط تكوين الضمير هي شروط تكوين الحرام والعُصاب الوسواسي نفسها، بمعنى أن أحد المكوّنات يبقى لاشعورياً ويطوله القمع على يد المكوّن الثاني الذي يفصح عن نفسه بقوة إستحواذية. ويُعاني المصاب بالعصاب الوسواسي من تأنيب الضمير بشكل مرضي يأخذ هيئة أعراض هي ردود فعل للإغراء الذي يترصده في اللاشعور، ويتضخم ويتسع باستمرار مع تفاقم المرض، إلى أن يبهظه باعتقادٍ يُداخله بأنه قد أتى من الذنوب ما لا يمكن التكفير عنه.

وثمة علاقة بين الضمير والحَصر، والضمير وعي مولّد للحصر، والحصر مصدره اللاشعور، أي الكبت للرغبات، والضمير به من اللاشعور أننا لا نعرف سبباً لكبت الرغبات ولا لرفضها وانتباذها. وهذا الجانب اللاشعوري في الضمير هو الذي يجعل من طبيعة الضمير أن يولّد الحصر.

والفرق بين التابو والعصاب

الوسواسي، أن منتهك التابو تتعاوره مخاوف من العقاب ومشاعر الذنب، وهو يخاف على نفسه، ولكن المريض بالعصاب الوسواسي عندما يهمّ بإتيان شيء محظور يخشى العقاب لا على ذاته بل على شخص آخر لا يعطي عنه أي إيضاح، ويكشف التحليل أنه واحد من أقاربه الأعزاء. فسلوك البدائي في ذلك هو سلوك الأناني، وأما سلوك العصابي فهو سلوك الغيري. وأيضاً فإن البدائي إذ يرتكب الحرام يتفجر في الجماعة التي ينتمي إليها أنهم بانتهاكه للتابو يعرّضهم جميعاً للعقاب ولغضب الآلهة أو الطوطم، ومن ثم يسارعون إلى إنزال العقاب الجماعي به أو يكفّرون عنه جميعاً، لأنهم يريدون أن يكون انتهاك الحرام شريعة، أي لا يريدون أن تفصح الرغبات المكبوتة عن نفسها، وأما العصابي فهو الذي يُنزل العقاب بنفسه.

وأيضاً فإن الحرام ينطوي في تظاهراته الخارجية على شَبَه كبير برهاب اللمس لدى العصابيين، والمقصود برهاب اللمس حظر الاتصالات الجنسية، ويظهر التحليل النفسي أن الميول التي تتعرّض في العصاب للنقل والتحويل هي من أصل جنسي، وإذن يكون هناك الفرق بين العصاب والحرام، أنه في الحرام الحظر أو المنع لا يعني أن الشخص الملتزم به يُحرِّم على نفسه الجنس فقط، بل إنه أيضاً بهذا الالتزام يؤكد ذاته ويُعلي من قَدْر جماعاته، على عكس العصاب الذي تلعب فيه الدوافع الغريزية الجنسية دوراً فاصلاً، وفي حين أن الملتزم بالحرام يهرب من نفسه إلى الواقع، فإن المريض بالعصاب يهرب من نفسه إلى أوهام وعالم حافل بالوعود المعسولة. والملتزم بالحرام يعيش الواقع وينتمي للأسرة الإنسانية، والمريض بالعصاب ينفي نفسه من الأسرة الإنسانية ويكشف بجلاء الطبيعة الاجتماعية للعصاب. (أنظر أيضاً «الطوطم والتابو»).

مراجع

- Freud: Totem and Taboo. (1913)

❖ ❖ ❖

- «تاريخ حركة التحليل النفسي»...

- «On the History of the Psychoanalytic Movement» (E.);...
- Contribution à l'Histoire du Mouvement Psychoanalytique (F.);...
- «Zur Geschichte der Psyhoanalytischen Bewegung» (D.)...

هذا الكتيب الذي أصدره فرويد عام ١٩١٤ هو كما يصفه إسهامه في التأصيل لحركة التحليل النفسي، ويسرد فيه دوره في هذه الحركة، مثبتاً أن التحليل النفسي من صنعه، وأنه الذي اضطلع به منذ بزوغه، وهو وحده الذي احتمل نقد الناقدين وتوجهت إليه سهامهم، وكما يقول لم يكن أحد يعرف عنه أفضل منه. وكان قد سبق له في المحاضرات التي ألقاها بجامعة كلارك سنة ١٩٠٩ أن صرح أن الفضل في إيجاد التحليل النفسي ليس له وإنما ليوسف بروير، وأن ولادة هذا العلم كانت في الفترة بين سنتي ١٨٨٠ و١٨٨٢، ووقتها كان مجرّد طالب يتلقى العلم ويعدّ نفسه للإمتحانات النهائية في الطب. ويبدو أن تصريحاته هذه أسيء فهمها، وكان عليه في هذا الكتيب أن ينفي في وضوح تام أن يُنسب التحليل النفسي إلى أحد غيره، وأن يكون صاحبه هو بروير، فطريقة بروير هي طريقة التنفيس الانفعالي، وهي بمثابة الطور التمهيدي، وإنما لم يرَ التحليل النفسي النور إلا عندما استغنى فرويد عن التنويم المغنطيسي ركيزة طريقة التنفيس الانفعالي إثر علاجه للحالة التي اشتهرت باسم أنّا أو Anna. O، ولم يعد إليها إلا بعد عودة فرويد من باريس، وسرعان ما تفجر الخلاف بينهما، فقد كان بروير يرى أن علّة الانفصام النفسي لمريض الهيستريا هي انعدام الاتصال بين الحالات التي انشطر إليها شعوره، بينما رأى فرويد في الانفصام النفسي مظهراً للكبت، وأنه ميكانيزم دفاعي، بالإضافة إلى أن بروير لم يكن يرى أن الجنس يمثّل عنصراً يكفي لاستحداث المرض، ولم يتفهم الطابع العام لظاهرة التحويل،

وهي الظاهرة التي تثبت الدافع ذي الطابع الجنسي للتحويل والذي لم يوله بروير عنايته. أما فرويد فقد واصل بحوثه في المنشأ الجنسي للأعصبة عموماً، وأكد من جديد أنه يدين في ذلك لثلاثة، أوّلهم بروير نفسه الذي قال يوماً ما في ملاحظة عابرة عن إحدى الحالات التي يعالجها، إنّ الأمر يتعلّق بأسرار مخدع النوم، وثانيهم شاركوا أستاذه في باريس الذي سمعه يشرح الأسباب الخفية لحالة من الحالات التي يعالجها بأن الأمر في أمثالها دوماً هو المسألة التناسلية، وثالثهم شروباك أستاذه بجامعة ڤيينا وكان ساعده في علاج إحدى المريضات فأبان له أن سبب الحَصَر عندها راجع إلى عنّة زوجها، وأنها ظلّت ثماني عشرة سنة هي مدة زواجها عذراء، وأضاف أنه لا يستطيع إلا أن يتستر على الحالة حتى لا يفضح الأسرة، وأنها حالة ليس له إلا دواء واحد هو أن يشفى الزوج من العنّة.

ولا يتبقى من العناصر الأخرى التي يمكن أن تضاف لطريقة التنفيس لتتحوّل إلى تحليل نفسي إلا الكبت والمقاومة، والجنسية الطفلية، وتأويل الأحلام كوسيلة لسبر اللاشعور. وتوصَّل فرويد للكبت بجهوده الخاصة، ويقوم الهيكل البنائي للتحليل النفسي على نظرية الكبت، وقد تحصل لفرويد العلم به كلما اصطدم بمقاومة المريض للتحليل، إذ يتذرع دائماً بالنسيان كلما أراد أن لا يطاوع المحلّل على التداعي، واللجوء للتنويم يُبطل المقاومة ويحجبها، ولذا فإن التحليل النفسي لم يبدأ فعلاً إلا عندما هجر التنويم المغنطيسي. ويقود تطابق النسيان مع المقاومة إلى تصوّر النشاط النفسي اللاشعوري، وهو التصوّر الذي يقول به التحليل النفسي - ويمكن القول إن نظرية التحليل النفسي هي محاولة تعليل لظاهرتي التحويل والمقاومة. ويردّ فرويد اكتشافه للجنسية الطفلية إلى روايات المرضى المتواترة عن خبراتهم الجنسية الصادمة في الطفولة وما جرت العادة على تسميته بالتغرير بالقُصّر، واستنتاجاته التي توصل إليها عن طريق إخضاع الأطفال للملاحظة والتحليل المباشر.

وأما تأويل الأحلام فكان قد بدأه فرويد حتى قبل أن يقطع صلته ببروير، واستطاع أن يفك الرمزية في الأحلام وحده وبتأثير

من بحوث شتيكل، وأن يتوصل إلى ما بين تقنية التحليل النفسي وتحليل الأحلام من روابط. وأما الجزء الخاص الذي يربط التحريفات التي تطرأ على الحلم بالصراعات الباطنة فقد عثر عليه عند لينكيوس، وقام فرويد خلال ذلك بتحليل أحلامه هو نفسه، وأتاح له ذلك أن يتعرّف إلى أن الأحلام تتيح له أن يقتفي جميع أحداث الطفولة، وأن يكتشف دور الجنس في إيتولوجيا أعراض الأعصبة.

وفي عام ١٩٠٢ تشكّلت حول فرويد مجموعة من الأتباع، وكانوا يجتمعون في بيته ليتدارسوا الأبحاث الجديدة، وانضمّ إليهم أوتو رانك وكان قد انتهى من دراسته في مدرسة مهنية، ودعاه فرويد ليكمل تعليمه الثانوي والجامعي وعيّنه سكرتيراً للمجموعة، وتوسعت الحلقة وانضم إليها مثقفون وفنّانون بعد أن قرأوا عن مؤلفات فرويد كتابيه في تفسير الأحلام والفكاهة، وهما كتابان يُظهران أن نظريات التحليل النفسي لا تنحصر في المسائل الطبية ويمكن أن تتطرّق في تطبيقها إلى مجالات أخرى من مجالات العلوم الإنسانية.

وشهدت سنة ١٩٠٧ إنضمام علماء من زيورخ إلى حلقة التحليل النفسي في ڤيينا، ومنهم بلويلر وآيتنجون ويونج، وانعقد أول مؤتمر للتحليل النفسي سنة ١٩٠٨ وتقرّر فيه إصدار حولية للأبحاث التحليلية والسيكولوجية المرضية، بإشراف بلويلر وفرويد، ورئاسة يونج، وكان المفروض أن تكون هذه المجلة همزة الوصل بين ڤيينا وزيورخ. ولمدرسة زيورخ الفضل في نشر التحليل النفسي، وكانت للتحليل النفسي في بورجولزلي عيادة رسمية، وأدخل التحليل النفسي ضمن المناهج الدراسية الجامعية، وتكوّنت له رابطة خاصة، واشتهرت مدرسة زيورخ بتطبيقاتها لاختبار التداعي في مجال التحليل النفسي، وأسهمت في ذيوع نظرية العُقَد النفسية. وشهدت السنوات التالية التآلف بين المدرسة السويسرية والمدرسة النمسوية للتحليل النفسي ذيوعاً له في الولايات المتحدة وانجلترا والهند وكندا وتشيلي، وقاومت فرنسا ذيوعه فيها بسبب جانيه الذي كان يُنسب إليه كل ما هو جيد في التحليل النفسي، وأما الرديء فكان ينسبه لفرويد، وفسّر جاني قبول

الأوساط العلمية في ڤيينا لتفسير فرويد للأعصبة المرتبطة باضطرابات في الحياة الجنسية أنه بسبب الحياة الخاصة في ڤيينا وشيوع الانحلال الجنسي فيها.

وكانت للتحليل النفسي تطبيقات أظهرت الصلات بين اضطراب الحياة السوية والتداعي بالمرض النفسي، والروابط بين التحليل النفسي والعلوم الأخرى المعنية بدراسة النشاط النفسي، وقدمت الأحلام النمطية تفسيراً للأساطير، وكان ريكلين وأبراهام سبّاقين إلى دراسة الأساطير، وبرزت الصلة بين الرمزية في الأحلام والميثولوجيا والفولكلور والتصوّرات الدينية، وأدّى استكشاف الأحلام إلى تحليل الإبداعات الشعرية أولاً ثم تحليل حياة الشعراء والفنانين ثانياً. وكانت هناك تطبيقات على اللغة، والتاريخ، وعلم نفس الشعوب، وعلم الجمال، وعلم التربية. ونبّه بلويلر إلى إخفاق علوم النفس التي حاولت الربط بين الأعراض والأمراض النفسية المنشأ، وأن ذلك موكول فقط بعلم نفس الأعماق، وهو لا يعني سوى التحليل النفسي.

وبعد سنتين من المؤتمر الخاص الأول للمحلّلين النفسيين، إنعقد المؤتمر الثاني في نوريمبرج (١٩١٠)، وكان فرويد قد وضع مشروعاً بمساعدة فيرينزي لإنشاء الرابطة الدولية للتحليل النفسي، وعهد برئاستها إلى عالم من زيوريخ أكثر شباباً من فرويد، ولم يكن فرويد يرى أنه يصلح لرئاستها بسبب النقد الشديد والتجريح اللذين تَعرّض لهما في حياته، ورأى أن زيورخ أصلح من ڤيينا لتكون مركزاً للرابطة، بسبب العداء الذي كانت البلاد الناطقة بالألمانية تكنّه للتحليل النفسي، ولأن زيوريخ في قلب أوروبا، وفيها أفتتح معهد للتحليل النفسي، ومن ثم كانت مهيأة أكثر من غيره لأداء دور مركز حركة التحليل النفسي، واختار لرئاسة الرابطة كارل غوستاف يونج، فبرغم أنه وبلويلر كانا المرشحين الوحيدين لهذا المنصب، إلا أن كفة يونج كانت الأرجح لأنه الأصغر سناً، ولأن بلويلر كان في سن فرويد، وكانت من مزايا يونج مواهبه المتعددة، ومساهماته التي سبقت له، واستقلاليته، ومقدرته المتبدية لكل من يقربه، واستعداده أن يتغاضى عن يهودية

فرويد، وقد أسف فرويد على اختياره واتضح له من بعد أنه لم يكن في محله.

وكان الهدف من الرابطة أن تكون هي الجهة الرسمية المركزية التي لها أن تتحدث باسم حركة التحليل النفسي، وأن تزود الغُثاء عن التحليل النفسي وتنبّه إلى أنه ليس منه. ولا تلغي الرابطة أن تكون هناك جمعيات محلية للتحليل النفسي، فهذه الجمعيات هي التي ستتألف منها الرابطة، ورسالتها هي تعليم مزاولة التحليل النفسي للأعضاء وتأهيل الأطباء لهذه المهمة بحيث تكون هي الضامنة لكفاءتهم. واختار يونج ركلين أميناً للسر، وصدرت الموافقة على إنشاء صحيفة الغرض منها تأمين الاتصال بين الرابطة المركزية والتجمعات المحلية، وجرى الإعلان عن هدف الرابطة أنه دراسة وتطوير العلم التحليلي الذي أسّسه فرويد، سواء من حيث أنه علم نفس أو في تطبيقاته على الطب والعلوم الإنسانية، وتشجيع تبادل المساعدة بين الأعضاء في جهودهم لحيازة المعارف التحليلية ونشرها. وأغضب أدلر أن مدرسة زيوريخ حصلت على كل شيء ولم يحصل أنصار فرويد من أهل ڤيينا على شيء، ولذلك تخلّى فرويد عن رئاسة جمعية ڤيينا لأدلر، وتكوّنت ثلاث جمعيات رسمية هي جمعية برلين برئاسة أبراهام، وجمعية زيوريخ برئاسة يونج، وجمعية ڤيينا التي عهد برئاستها لأدلر. وكان من نتائج مؤتمر نوريمبرج تأسيس المجلة المركزية للتحليل النفسي، وتولّى إدارتها أدلر وشتيكل، وانعقد ثالث مؤتمر للتحليل النفسي في ڤيمار سنة ١٩١١ وترأسه يونج.

وفي سنة ١٩١١، تأسّست جمعية ميونخ برئاسة سايف Seif، وأول جمعية أميركية برئاسة بريل ومقرّها نيويورك، ثم جمعية ثانية باسم الرابطة الأميركية للتحليل النفسي برئاسة بوتنام وجونز. وعقد المؤتمر الرابع في ميونخ سنة ١٩١٣، وقبيل انعقاده تأسّست جمعية بودابست برئاسة فيرينزي، وبعد هذا المؤتمر أسّس جونز أول جمعية إنكليزية.

وكانت هناك مجلات ودوريات عديدة باسم التحليل النفسي أقرّت مؤتمراته إصدارها، ومنها المجلة المركزية التي سبقت، والتي رأسها أدلر ثم تخلى عن

رئاستها عقب العدد العاشر ورأسها شتيكل بعده، وصارت هذه المجلة بمقتضى قرارات مؤتمر ڤيمار هي الناطق الرسمي للرابطة الدولية، وتقرّر إرسالها لكل الأعضاء ورفع رسوم الاشتراك فيها، إلا أن شتيكل لما صار له موقف خاص من فرويد أنشأ فرويد مجلة بديلة هي المجلة الدولية للتحليل النفسي الطبي وصدرت سنة ١٩١٣، وأصبحت هي الناطقة الرسمية باسم الرابطة.

ومن الإصدارات الأخرى للرابطة «أوراق في علم النفس المختص»، وكان صدورها كدورية إبتداءً من سنة ١٩٠٧، وفيها نُشرت أبحاث لفرويد، وريكلين، ويونج، وأبراهام، ورانك، وسادجر، وبفستر، وغراف، وجونز، وستوفر، وڤون هوغ هيلموت. وفي مؤتمر ساليزبورغ سنة ١٩٠٨ تأسّست المجلة السنوية للبحوث في التحليل النفسي وعلم النفس المرضي، وكان يونج رئيساً لها لمدة خمس سنوات، ثم صارت لها رئاسة جديدة وتغيّر اسمها إلى حولية التحليل النفسي، وتغيّرت أهدافها فبعد أن كانت ساحة مفتوحة للأبحاث التعليمية صار هدفها تسليط الأضواء على إمكانية التطبيق لطرائق التحليل النفسي في مجلات أخرى. وفي سنة ١٩١٢ أسّس هانز ساخس وأوتو رانك مجلة «إيماجو» وخصّصاها للتطبيقات، وكانت هناك مجلات أخرى ليست تابعة للرابطة وتنشر عن الأدب التحليلي، مثل مجلة علم نفس الشواذ التي كان يرأسها مورتون برينس وتصدر في أميركا، ومجلة التحليل النفسي التي أسّسها وايت وجيليف سنة ١٩١٣ بنيويورك.

ويتحدث فرويد عن انشقاق أدلر الذي وقع بين تأسيس الرابطة سنة ١٩١٠ ومؤتمر ڤيمار سنة ١٩١١، وانشقاق يونج الذي بدأ بعد هذا المؤتمر ولم يأخذ صفة رسمية إلا سنة١٩١٣، ويوجه النقد إلى نظرياتهما باعتبارها خروجاً صريحاً على التحليل النفسي. والأصل في نظريات التحليل النفسي أنها نظريات تحاول تفسير الأعصبة، لكن أدلر طمح إلى جانب ذلك أن تكون نظريات في تفسير السلوك. وأخذ أدلر على فرويد نظريته في الجنس وادّعى لنفسه الأولوية على فرويد في القول بوحدة الأعصبة وبالتصوّر الدينامي للأعصبة، وأسّس لنفسه جمعية

التحليل النفسي الحر، وكان واضحاً أنه يقصد إلى أن يكون له مذهبه الخاص، وكان فرويد ضدّ المذهبية، وأطلق أدلر على مذهبه إسم علم النفس الفردي كمذهب معارض للتحليل النفسي، وأعطى إسم التعقيل للحوافز اللاشعورية، واختلف بشدة عن فرويد فيما أسماه النزوع إلى التسلّط، والاحتجاج الذكوري الذي هو أصل الميول المكبوتة، ونظريته في الذات التي يخلط فيها بين المذكر والمؤنث، وبين الدونية العضوية والشعور الذاتي بهذه الدونية، ونظريته في العصاب التي يظهر فيها كمعلول ثانوي لانحطاط عام، وفي اللاشعور الذي جعله بمثابة الطُرفة من طرائف علم النفس، وخلطه بين الحلم وأفكار الحلم الذي تقوم عليه نظريته في النزوع المستقبلي، وأقواله الهزيلة في المقاومة، وأقواله المثبطة في غرائز العدوان.

وتتشابه الحركتان المنشقتان - حركة أدلر وحركة يونج - من حيث أن إحداهما (أدلر) تنطلق من وجهة نظر إشتراكية، والأخرى من وجهة نظر دينية، وتتميّز لذلك حركة أدلر ببنيتها المنطقية، وتظلّ مرتكزة على نظرية الغرائز، وأما حركة يونج فقد ابتعدت كثيراً عن مجال علم النفس، وتشوّشت وأبهمت مقولاتها بالتماس علل وأسباب لاهوتية. وكانت جميع تعديلات يونج من إملاء الرغبة في استبعاد كل ما يمكن أن يجرح التعاليم الدينية والمشاعر العائلية، ومن ثم تم استبدال الليبيدو بفكرة مجردة، وصار لعقدة أوديب مدلول رأي لا غير، وبذلك يكون مذهب يونج مذهباً في الأخلاق، واستحالت تقنية التحليل النفسي إلى تقنية وعظية كالتي يقوم بها أي قسيس. ولا يكاد يذكر الكبت في نظريات يونج، وجاء خلطه في فهم الأحلام دليلاً على سوء فهم للاشعور، ولم يعط لعقدة محبة المحارم أي وجود فعلي، وأشار إلى أن مسبّبات الأعصبة نوع من العطالة النفسية.

❖ ❖ ❖

- «تأملات في الحرب والموت»...

- «Reflections on War and Death» (E.);...
- «Considerations sur la Guerre et la Mort» (F.);.....
- «Zeitgemässes über Krieg und Tod» (D.)...

هذا المقال نشر لأول مرة بمجلة إيماجو التي تصدرها الروابطة الدولية للتحليل النفسي سنة ١٩١٥، أي بعد وقت قصير من اندلاع الحرب العالمية الأولى. وللحرب أخلاقياتها، وهذه الأخلاقيات هي التي أفزعت الكثيرين، وهي سبب هذه التأملات التي توقّتت مع زمن الحرب أو أملتها ضرورات الحرب كما يوحي بذلك العنوان الألماني لها. وفرويد يطرح هذه التأملات تحت عنوانين، الأول أن الحرب تحرّرنا من كثير من الأوهام التي ترين علينا أثناء السلم والتي نظن بسببها أننا أشياء وأشياء، بتأثير من أخلاق السلم والتطوّرات الثقافية والمنتجات الحضارية وإبداعات الفنون والآداب، والثاني أن الحرب تغيّر موقفنا من مسألة الموت.

وكان المظنون والإنسانية قد بلغت هذا الشأو البعيد من الرقي، وخاصة في الدول الكبرى، أن يكون سلوكها مختلفاً في تصدّيها لمشاكلها الدولية، وفي حلولها المقترحة لهذه المشاكل، وفي لجوئها إلى وسائل تتناسب مع ما بلغته من رقي، وخاصة أن تلك الدول التي تفرض على أفرادها أخلاقيات، وتحتم عليهم ممارسات في زمن السلم، وكان أحرى بها أن تكون هي أول من يأخذ ويطبق ما تنادي به وتقسر عليه الأفراد، إلا أنه من الواضح أن الدولة في زمن الحرب تتطلب من مواطنيها أقصى التضحيات وتلزمهم بطاعتها كأقسى ما تكون الطاعة، وتعاملهم كأنهم أطفال فتحجب عنهم الحقيقة، وتضرب نطاقاً من السرية حول تحركاتها ونواياها، وتتشدّد في الرقابة على الأنباء، وهي أمور تجرح كرامة المواطن، وتبقيه مقهوراً فكرياً لا حول له تجاه تحوّلات الأحداث والشائعات. وتتنصل الدولة من ضماناتها وعقودها الدولية، وتسفر عن شهوة للسلطة

والتوسّع، وتتناقض مع نفسها تماماً، وتدعو الفرد في زمن الحرب إلى تبني أفكار وارتكاب أفعال باسم الوطنية ما كانت لتدعوه إليها زمن السلم، وكانت تحاربه من أجلها، ولكنها في الحرب تبيح مع الأعداء ما لا تبيحه مع مواطنيها، ومثل ذلك له تأثير مضلل على أخلاقيات الفرد، ولا يعود «الضمير» هو الفيصل في مسائل الأخلاق في زمن الحرب، ولكن يدفع إلى ذلك «رعب الجماعة».

والحرب تستحدث اغتراباً للإنسان عن ميراثه الثقافي الشامل الذي يراه يتحلّل أمام عينيه، وعن ميراثه المادي الذي يتحوّل إلى خرائب، وعن بني وطنه الذين يشهدهم وقد تورّطوا وانحط قدرهم. وما يجعل الناس يتحرّرون من أوهامهم في الحرب هو أولاً ما تبدو عليه الدول من انحطاط أخلاقي في علاقاتها الخارجية وكانت بالأمس تظهر أنها الحارسة على العرف الأخلاقي، وثانياً اللاأخلاقية التي يبديها الأفراد أنفسهم الذين ما كان يمكن أن نصدق أن ذلك يمكن أن يصدر منهم في السلم. وينبّه فرويد إلى أن سوء الفهم لما يمكن أن يحدث في الحرب، هو نتيجة سوء التقدير لمعاني التطوّر والترقّي والتربية، فالإنسان هو الإنسان، وعملية التربية والتطوير المستمر في سلوكياته وأفكاره لا يمكن أن تزيل عنه نوازعه الغريزية الأنانية، وقد أثبت البحث النفسي، وبحوث التحليل النفسي بخاصة، أن جوهر الإنسان هو غرائزه الأوليّة التي تتطلّب الإشباه، والتي يحاول المجتمع أن يقمعها ويصرفها منصرفات شرعية، ومن تلك الغرائز أو النزعات الغريزية الأنانية والقسوة اللتان تطبعان سلوكيات الحرب ونشكو من ظهورهما كأشدّ ما يكون الظهور أيام الحرب. وهذه الغرائز في السلم تُقمع، وتكون لها ردود فعل عكسية خادعة تغير من مضمونها، فتتحول الأنانية مثلاً إلى غيرية، وتظهر القسوة في شكل تراحم اجتماعي ولطفٍ أخلاقي وتحضّر في السلوك، وكثيراً ما يظهر على الشخص الواحد الأمران معاً وهو ما يُطلق عليه إسم الازدواجية المتناقضة، وأحياناً تكون ونحن بعد أطفال على غير ما نكون ونحن راشدون، وقد نصبح رحماء بالحيوان في حين كنا في منتهى القسوة ونحن صغار.

وتحوُّل الغرائز يتم بعاملين، أحدهما داخلي عن طريق امتزاج الغرائز الأنانية بالمكونات الشبقية فتستحيل إلى غرائز إجتماعة، والعامل الآخر خارجي من خلال التربية والبيئة الثقافية، وليست الحضارة التي نتفيأها إلا ثمرة إستبعاد الإشباع الغريزي. ولكننا نغالي في تقدير تأثير العامل الخارجي، وخاصة عندما يفرض نفسه بنظام الثواب والعقاب. وهناك فرق بين أن يسلك الإنسان سلوكاً إجتماعاً بتأثير العامل الأول الفطري، ويسلك هذا السلوك نفسه بتأثير العامل الحضاري، لأن هذا السلوك الأخير لن يقتنع به إلا طالما أنه يخدم أغراضه الأنانية. والمجتمع الذي يشجع على هذا السلوك الثاني يجبر أفراده على اغتراب أكبر عن استعداداتهم الغريزية، وبالتالي يخضعهم لقمع متصل للغريزة. ويتكشف رد الفعل في التوترات والتكوينات التعويضية والاضطرابات العصابية. وفي أحوال أخرى فإن ضغوط الحضارة تظهر في التشوّهات الشخصية واستعداد الغرائز المكبوتة للانطلاق إلى الإشباع في أية فرصة مناسبة، وإلا فإن الناس سيضطرون لأن يعيشوا بالمعنى السيكولوجي متجاوزين لإمكانياتهم. وتفضح الحرب حقيقتهم وتكون مناسبة لممارسة الأنانية والقسوة كأشد ما تكون الأنانية والقسوة فعلاً، كما لو أن التطوّرات الحضارية قد ألغيت أو خرّبت، وكما لو أن الحرب كانت ارتداداً بالإنسان أو نكوصاً إلى المراحل البدائية. وتعطينا الأمراض العقلية والنفسية فكرة عما يمكن أن يستحدث من التدمير للعقل والنفس. ويكمن جوهر المرض العقلي في العودة إلى أحوال سابقة من الحياة الوجدانية، كما أن الأحلام تعطينا مثلاً لما يمكن أن يحدث أثناء النوم عندما يغفو الرقيب فتستنفر رغباتنا الغريزية المقموعة وتكشف عن نفسها كما لو كنا قد خلعنا عن أنفسنا ثياب التحضّر والأخلاقية عندما ننام، ثم نعود لارتدائها عندما نستيقظ.

وثمة ظاهرة جديرة بالاعتبار يكشف عنها زمن الحرب، وهي ضيق الأفق الذي نتبدّى عليه، والذكاء دائماً يتخلى عن صاحبه تحت وطأة الانفعالات القوية، وعندئذٍ يكون مطية سهلة لغرائزه

العدوانية. وتظهر الحرب أيضاً أن العامل التربوي كحافز للأخلاق يكون فعّالاً مع الأفراد ولكنه لا يكاد يُرى له أثر عند الأمم، وكثيراً ما تعرّض الأمم نفسها لضياع مصالحها كتبرير لإشباع غرائزها العدوانية والأنانية. ويبرر فرويد انزلاق الأمة إلى العقلية البدائية بتأثير اجتماعها كحشود جماهيرية، إذ يبدو أن احتشادها هذا يزيل مواصفات الأخلاقية من الأفراد فلا يبقى إلا الأخلاق الجماعية البدائية.

❖ ❖ ❖

والأمر الثاني الذي تجلو الحرب حقيقته وتزيد الأوهام بشأنه هو موقفنا من الموت، ويقدم فرويد في هذا المقال نظرية متكاملة عن الموت في إطار بحوث التحليل النفسي، فقد ثبت أنه لا أحد يعتقد في أعماقه في موته الشخصي، وأن كل واحد منا - في اللاشعور - مقتنع بخلوده الشخصي. ويتحاشى الإنسان المتحضّر مع ذلك أن يتحدث عن الموت باعتباره موت الآخرين، والأطفال وحدهم هم الذين لا يفعلون ذلك. ويُبدي الإنسان المتحضر حساسية من موت الآخرين كأفراد، وخاصة إذا كانوا من أحبائه، ولا يصاب بالذعر مع ذلك في زمن الحرب عندما يشمل الموت الأعداء بالآلاف. ويعجز التحليل النفسي عن تقديم سيكولوجية متكاملة للشخصيات التي تخاطر بنفسها في الحرب، ويسهّل من ناحية أخرى دراسة تأثير فقدان الأحبة على غير المشتركين في الحرب والذين بقوا في بيوتهم في انتظار عودة الأبناء أو الأزواج أو الأخوة الأعزاء سالمين من الحب. ويساعد في دراسة سيكولوجية الموت البحث فيما يستشعره البدائي إزاء الموت، وكذلك البحث في معنى الموت في لاشعور كل منا. وهناك استدلالات على موقف إنسان ما قبل التاريخ من الموت، فهو من ناحية يأخذ الموت مأخذاً جدياً ويُدركه كختام للحياة، ومن ناحية أخرى ينكر الموت ويرده إلى العدم. وهذا التناقض نشأ معه نتيجة تناقض موقفه إزاء موت الآخر وإزاء موته هو نفسه. ولم يكن الإنسان البدائي يقتل غيره من البشر إلا كما يقتل الحيوان سواء بسواء، ولهذا

كان أول تحريم هو «لا تقتل» بداية للقانون الأخلاقي. ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا أنه سلسلة طويلة من الجرائم ضد الجنس البشري. وفي كتابه «الطوطم والتابو» يذكر فرويد أن عقيدة الخطيئة الأولى ربما تكون نتيجة للقتل الذي كان يقترفه الإنسان. ويقول فرويد عن المسيحية إنها ديانة إبن الرب الذي اضطر للتضحية بحياته لكي يخلّص البشرية من الخطيئة الأولى، وطالما أن قانون القصاص كان النفس بالنفس فلا بد أن الخطيئة الأولى كانت جريمة قتل، فإذا كانت التضحية بالإبن فإن الجريمة لا بد أن تكون جريمة قتل للأب، هو الأب الأول للجنس البشري الذي تحوّلت صورته في الذاكرة بعد ذلك إلى الرب.

ويثبت التحليل النفسي أن الحزن على موت الأحبة هو من قبيل المشاعر المزدوجة المتناقضة، فنحن نحزن عليهم لأننا نجعلهم جزءاً من أنانا، ومع كونهم أحبة إلا أن بداخلهم يكمن الغريب المعادي الذي نكرهه فيهم، فإذا كان هؤلاء الأحبة الموتى يثيرون فينا الحزن فإنهم أيضاً يثيرون فينا السعادة المستترة لأن الموت طالهم ولم يطلنا.

ولقد صار الموت محط تأمل للفلاسفة، ولكنهم أفرطوا في التأمل ولم يجعلوا نقطة انطلاق تفكيرهم الدوافع الأولية المؤثرة. وليس لغز الموت لغزاً عقلياً كما يذهب الفلاسفة، وإنما حلّ هذا اللغز في تصارع المشاعر أزاء موت الأحبة الذين هم أيضاً أشخاص غرباء عنا ومن ثم معادون لنا. وهذا التصارع في المشاعر كان اكتشافاً نفسياً.

وخلال تأمل الإنسان لجثة الميت الحبيب إخترع فكرة الروح، وشعر بالذنب لأنه في أعماقه ارتاح لأن الموت اختار الآخر وأعفاه هو نفسه. وخلال تأمله لجثة الميت العدو إخترع فكرة الأشباح والأرواح الشريرة، وأوحى له ذلك بتقسيم الفرد إلى روح وجسد، ومن ثم صار يحزن على الميت لفترة طويلة ولا ينساه بزعم أن روحه تعيش معه، واخترع لذلك فكرة العالم الآخر الذي أصبح هذا العالم بالنسبة له مجرد ظل أو ذيل.

وقامت الأديان فحطّت من شأن الحياة الدنيا، وجعلت من الموت نهاية لحياة

باطلة وبداية لحياة صادقة، وإن من المنطقي أن يفكر البعض في وجود حيوات متعدّدة، وأطوار مختلفة، وعمليات تقمّص، وإنكار للموت كنهاية للحياة!! وهذا الإنكار للموت هو تقليد من تقاليد الحضارة، وبه تولّدت فكرة الخلود وخاصة بالنسبة لشهداء الحروب. ومن الغريب أن عودة المحاربين من ساحات القتال في العصر الحديث عملية ميسّرة بعكس ذلك بالنسبة للبدائي، فقد كان يمارس طقوساً معيّنة تحلّله من النفسية التي كانت قد تلبّسته خلال الحرب والتي بها استباح أن يقتل بضمير مرتاح. وليست الوصية في التوراة والتي تقول لا تقتل إلا لأننا فعلاً ننحدر من سلالة لا تنتهي من المجرمين كانت شهوة القتل تجري في دمهم. ويكاد يكون لاشعورنا بالنسبة للموت هو لاشعور الإنسان البدائي. والإنسان المتحضر إزاء الموت يعيش عصر ما قبل التاريخ داخل لاشعوره دون أي تغيير، وهو لا يعتقد في موته هو بل في موت الآخرين، وليس أسهل على اللاشعور من أن يرغب في موت الآخرين طالما أن هذا الموت يخلّصه من مشاكل كثيرة معهم، وما أسهل أن نلعن الناس في سرّنا ونقول فليذهبوا إلى الشيطان، وليس لذلك معنى إلا أن نتمنى لهم الموت، والشيطان هنا هو بديل الموت، وبحكم لا شعورنا فنحن مثل الإنسان البدائي لا نعدو أن نكون مجرّد عصابة من القتلة، وما أكثر ما تكشف دراسة الأعصبة النفسية أننا بإداء العناية الزائدة لبعض الأقارب وتوجيه اللوم دونما أساس عند موت إنسان حبيب نسقط صرعى المشاعر المتضاربة. ومن السهل أن نفهم تأثير الحرب على هذه الثنائية في المشاعر، وهي ثنائية تعرّينا كبشر متحضرين وتكشف فينا الإنسان الأول الذي يكمن داخلنا. وما يزال لاشعورنا حتى اليوم هو نفسه لاشعور البدائي، وهو لا شعور لا يقبل فكرة موتنا بقدر ما هو إجرامي تجاه الغريب. وعندئذٍ ينبغي أن نسأل أنفسنا: ألا يجب أن نعدّل فكرتنا عن الموت؟ وأن نتعامل معه كحقيقة؟ وأن نعطي هذه الفكرة مكانة ملائمة واقعية في تفكيرنا؟ وأن نعدّل من القول المأثور «إذا رغبت في السلام فاستعدّ للحرب»، فنقول «إذا

رغبت في احتمال الحياة فلتكن مستعداً للموت»؟ ألا ينبغي أن نفعل ذلك؟

❖ ❖ ❖

– التأويل...

- Interpretation (E.);...
- Interprétation (F.);...
- Deutung (D.)...

التأويل هو صميم تقنية التحليل النفسي الذي يقوم على التداعي الحر واستحضار الذكريات والملابسات والكشف عن المخبوء وصياغة ذلك صياغة لها مضمون كي يطّلع عليه الشخص المعنّي، ويتعرّف فيه إلى دلالات تصرفاته وأقواله، ويستقصي صراعاته. والتأويل يستهدف التفسير والإعلام، ويساير العملية العلاجية تبعاً لما يتوفر من المادة العيادية للمعالجة أو المحلل الذي ينهض على أمر التأويل.

وارتبط التأويل عند فرويد بتفسير الأحلام باعتبارها النموذج الأول للتأويل بمنهج فرويد، بافتراض أن الأحلام نشاط نفسي يصدر عن الحالم ويقبل التأويل، وهو الافتراض الذي ميّز نظرية فرويد في التأويل وجعل منها نظرية تصادم كل نظريات الحلم، فإن تأوّل أو تفسّر حلماً معناه أن تحدد له مغزى وتُسلكه ضمن الأفعال النفسية كمادة لها قيمة وشأن كغيرها من المواد النفسية، على عكس النظريات السابقة على فرويد، أو بالأحرى على كتابه «تأويل الأحلام» (١٩٠٠) والتي لا ترى في الحلم أنه فعل نفسي، ولا تعتبر لذلك أن هناك أية مشكلة تتصل بتفسيره وتأويله، في حين أن فرويد يذهب إلى تأكيد أن ثمة منهجاً علياً لتفسير وتأويل الأحلام، وأنه استمدّه من اكتشافه إمكان اقتفاء أثر الأفكار المرضية في بعض التراكيب النفسية المرضية، كالمخاوف الهيستيرية والأفكار القهرية وما شابهها، فقد كان المرضى ضمن ما يقصّونه عليه يتطرقون إلى ما يرونه من أحلام، وتعلّم منهم أن الحلم يمكن إدراجه في السلسلة النفسية التي يجب اقتفاء أثرها في الذاكرة، ويمكن التعامل مع الحلم معاملة العَرَض، وأن

يطبق عليه المنهج التفسيري ذاته للأعراض.

ويتبع فرويد في تفسير أو تأويل الأحلام طريقة تفكيكها إلى أجزاء متفرقة، واستدرار خواطر الحالم بصددها. وبلغ عدد الأحلام التي فسّرها فرويد بهذه الطريقة ما يزيد على الألف حلم. ويقوم تأويل أو تفسير الأحلام على فرضية أن ما نتذكره منها بعد اليقظة ليس هو عملية الحلم الحقيقية، وأن للحلم مادة ظاهرة وأفكار كامنة. وتُعرَف العملية التي تُخرِج مادة الحلم الظاهر من أفكار الحلم الكامنة باسم عمل الحلم. وعمل الحلم هو أول صياغة لتأويل الحلم تأويلاً أول يرمي إلى إضفاء قدر من التماسك على العناصر التي يتألف منها الحلم، وتقوم بهذه العملية وظيفة نفسية شبيهة بالفكر المتيقظ تُخضع عناصر الحلم للتأويل - إن جاز استخدام التأويل بهذا المعنى، قبل أن يحاول الحالم في اليقظة عملية تأويل ثانية عكس عملية التأويل الأولى، يقوم فيها بردّ المحتوى الإدراكي للحالم إلى أصوله قبل عملية التأويل الأولية. ويُشبِّه فرويد التأويل الذي يصدر عن المريض بالبارانويا، والذي يتناول كل صغيرة وكبيرة من سلوك الآخرين، ويعطي أكبر الدلالات حتى للتفاصيل التافهة - يشبّهه بالتأويل التحليلي. وفي هذا التأويل الأخير يشترط المحلّل على المريض أو على الحالم أن لا يترك صغيرة أو كبيرة من غير أن يصرّح بها ويكشفها له بصرف النظر عن اعتباراته لها من حيث أهميتها.. ويقيم فرويد منهجه في التأويل التحليلي على الصراحة - وهي القاعدة الأساسية للتحليل والمعنى الوحيد الذي يمكن أن ينصرف إليه التأويل. ومن خلال مصارحات المريض تجتمع للمحلّل كمية من الأفكار والآراء والذكريات من مشتقات اللاشعور يمكنه أن يستنتج منها المادة اللاشعورية المكبوتة، ويضطلع بتفسيرها للمريض ليطالع في أثناء مجريات لاشعوره بفضل ما يزوّده من معلومات حولها.

وتجابَه عملية التأويل الأولى وهي التي يُقال لها عمل الحلم أو إخراجه بمقاومة تعرقل التأويل أو الصياغة الحلمية. كما أن استدعاء الذكريات والرغبات والأفكار المكبوتة وتأويلها يُجابَه بمقاومة لاشعورية

مـن المريض. ويسـتـمـدّ المحلّـل في كـل الأحوال المادة التي تقوم عليها تأويلاته من المعلومات التي يمدّه بها المريض، ومن التداعي الحرّ لأفكاره، وما يستنتجه من تفسيرات لأحلامه أو لفلتات اللسان وما شابهها، ومما يستطيع أن يخلص إليه من نتائج في المرحلة الأخيرة من العلاج وهي التي يقال لها مرحلة الطرح أو التحوّل. وتساعده هذه علـى أن يكوّن فكرة عن الحوادث التـي جرت للمريض ونسيَها، والأمور التـي تعتلج في نفسه الآن ولا يفهمها، ويقوم بتأويل كل ذلك وتبصير المريض به، ولا يتم ذلك دفعة واحدة، ولا بشكل متعجّل، وإنما عن روية وحُسْن اختيار للظروف المناسب والفرصة المؤاتية. ومن القواعد التي يلتزم بها المحلّل في التأويل أن لا يخبر المريض بتفسير إلا إذا كان على وشك الاهتداء إليه بنفسه وعندما لا يكون أمامه والوصول إليه إلا خطوة واحدة فقط، ويتم في هذه الخطوة طرح التأويل النهائي عليه. ولو أن المحلّل اتّبع طريقة أخرى في التأويل وأمطر المريض بوابل من التفسيرات قبل أن يستعد لذلك، لما حققت تفسيراته الهدف منها، ولما كان لها أي تأثير علاجي، وربما تثير في المريض مقاومة يتعثّر بها العلاج وقد يتوقف كلية. وعلى عكس ذلك يكون التأويل المدروس، والمعدّ له جيداً، والذي يختار له المحلّل الوقت والظرف المناسبين، فإنه أحرى أن يقنع المريض ويستثير فيه المزيد من التذكّر والتعليقات المؤيدة، وكلما تطابق التأويل مع تفاصيل ما نسيه المريض كان قبوله به أسرع واقتناعه أكبر.

ويطرح فرويد تشكّكه مع ذلك في إمكان الوصول إلى تأويل كامل حقاً، ويعبّر عن ذلك في كتابه «تأويل الأحلام» بأنه ينبّه مراراً إلى أنه ليس في الإمكان مطلقاً التأكد من أن الحلم قد تمّ تأويله كاملاً، حتى ولو بدا الحل مُرضياً وبدون ثغرات، فهناك دائماً إمكانية أن يكون للحلم معنى آخر. ويصف فرويد هذه العملية بأنها من باب التأويل المضاعف - Over interpretation (E.); surinterprétation (F.); Überdeuting (D.) أي إضافة تأويل جديد إلى تأويل سابق، بإسهام تداعيات جديدة تبرّر إمكانية تأويل جديد، أو تأويل

أكثر عمقاً يكشف عن الطبقات النفسية بمختلف مستوياتها، وصولاً إلى أعمق الطبقات من الطفولة الأولى، وربما قبل ذلك مما يمكن أن يكون ميراثاً إنسانياً.

ومن مصطلحات التأويل ما يُسمَّى التأويل الباطني Anagogic intepretation (E.); Interprétation anagogique (F.); Anagogiische Deutung (D.) باستجلاء المعاني الكونية للأحلام والأساطير، إلخ، وتفسيرها تفسيرات عامة، على عكس التأويل التحليلي الذي ينحو إلى التفسيرات الخاصة. ومن ذلك تفسيرات فرويد التي تدخل ضمن الجانب الميتاسيكولوجي لمذهبه، كما في نظريته الطوطمية، وردّه عقدة أوديب إلى عقدة الأب التي تفترض أباً أول للإنسانية تضاربت مشاعر الأبناء إزاءه وتراوحت بين الكره والحب، وكما في تأويلاته للظواهر الغيبية مثل الاستحساس عن بعد والتخاطر، وتعليله لها بأنها ربما كانت طرقاً بدائية من الماضي البعيد للإنسانية، وأسلوباً أثرياً من أساليبها للتفاهم بين أفرادها، وهو أسلوب تراجع أثناء تطوّر النوع الإنساني أمام أسلوب للتواصل أفضل، هو التفاهم بالرموز والعلامات، أي باللغة، وربما كان تأويل ذلك يذهب إلى التنبّه لظاهرة خوف الأطفال من استطاعة الأبوين قراءة أفكارهم وخواطرهم، وشبيه به خوف الكبار من أن الله يحيط بكل شيء علماً، وتسجّل بعض الظواهر إثباتاً للتخاطر بين الأم وأطفالها.

مراجع

- Freud: Intererpretation of Dreams. (1900)

:The Handling of Dream - interpretation in Psychoanalysis. (1911)

:Dreams and Telepathy.. (1922)

❖ ❖ ❖

- «تأويل الأحلام»...

- «The Interpretation of Dreams» (E.);...
- «L'Interprétation des Rêves» (F.);...
- «Die Traumdeutung» (D.)...

كتاب «تأويل الأحلام» الصادر سنة ١٩٠٠ هو بإجماع النقاد أهم مؤلفات فرويد، ويُعتبر أول معالجة علمية لموضوع الأحلام، وتقوم أهميته على هذا الاعتبار، وكان قد بدأ تأليفه خلال الفترة التي توفر فيها على تحليل نفسه. وفي مقدمة الطبعة الثانية من كتابه «تأويل الأحلام» والصادرة سنة ١٩٠٨ يذكر أن هذا الكتاب له اعتباره عنده شخصياً، لأنه «جزء من تحليل لنفسي»، وكانت وفاة أبيه قد هزّته بشدة، وكما يقول فإن توجهه لتحليل نفسه وتصدّيه للكتابة في موضوع الأحلام بالذات كانا بمثابة ردّ الفعل لفاجعته في أبيه، وهي بتعبيره أفجع خسارة يمكن أن تلحق بإنسان. والكتاب كما يقول يحوي أثمن الكشوف التي شاء حُسن الطالع أن تكون من نصيبه، ولا يمكن أن يتصادف الحدس بها مرتين في العمر. ويحاول في هذا الكتاب أن يصنع من تأويل الأحلام علماً بطريقة مدرسة هيلمهولتس التي تذهب إلى التأصيل العلمي للظواهر النفسية، وإقامة علم النفس كعلم من العلوم الدقيقة. وفي مقدمته الأولى للكتاب يقول إنه بتصدّيه بالتفسير أو التأويل للأحلام لا يتجاوز دائرة الموضوعات التي يهتم بها علم الأمراض العصبية، من حيث أن البحوث السيكولوجية في مجال الحلم تبرهن على أنه أول حلقة في سلسلة الظواهر النفسية الشاذة، مثله في ذلك مثل المخاوف الهيستيرية والأفكار القهرية. وكان عليه أن يختار بين أن ينشر أحلامه أو أن ينشر أحلام مرضاه الذين يعالجهم بالتحليل النفسي، ومنعه من الاختيار الثاني أن أحلام المرضى تدخل فيها التعقيدات العصابية، ولكنه لما تناول أحلامه هو نفسه آثر أن يبدّل فيه ويُضمر حتى لا يكشف نفسه. والكتاب تمّ طبعه فعلاً في الرابع من نوفمبر سنة ١٨٩٩، ولكن الناشر جعل تاريخ نشره أول يناير سنة

١٩٠٠، ولم يطبع منه سوى ستمائة نسخة لا غير، ولم يلق الرواج الذي يستحقه، واقتضى الأمر ليتم توزيع هذه النسخ البسيطة ثماني سنوات. وفي الأسابيع الستة الأولى من صدور الكتاب لم يبع سوى مائةثلاث وعشرين نسخة، ثم بيعت مائتان وثمان وعشرون نسخة في السنتين التاليتين. ولما زاد الاهتمام بالتحليل النفسي إستلزم إعادة طبع الكتاب مرات، وكان آخرها في حياة فرويد سنة ١٩٢٩، وكان يراجع المادة ويزيد عليها وينقص فيها، ويعمل فيها مختلف التغييرات، ويلحق بها الهوامش والتذييلات باستمرار. وبلغ عدد الطبعات في حياته ثماني طبعات، كانت أهمها الطبعة الثانية التي ضّمنها نظريته في الرمزية التي أرجع الفضل فيها شتيكل، فوسّع بها نظرية تفسير الحلم بتأير خبرته ومؤلفات شتيكل. وفي الطبعة الرابعة أضاف إلى الكتاب فصلين قائمين بذاتهما من تأليف أوتو رانك، وألحقهما بالفصل السادس منه، كما أن رانك زاد في الطبعة السادسة على قائمة المراجع. وفي الطبعة الثامنة عاد إلى نسخة الطبعة الأولى بحذافيرها وألحق بها الإضافات منفصلة، وألغى قائمة المراجع، وحذف المقالين اللذين شارك بهما رانك في الطبعات السابقة، وكانا بعنوان «الحلم والشعر» و«الحلم والأساطير»، وكان رانك وقتها قد انشق عليه.

وخصّص فرويد في كتابه «محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي» الصادر سنة ١٩١٧ الجزء الأوسط من المحاضرات، ويتكون من أحد عشر فصلاً، لشرح الأحلام شرحاً يتيسَّر فهمه للمبتدىء ويظهر فيه الارتباط أكثر بنظرية الأعصبة، واعتبره بمثابة الموجز لكتاب «تأويل الأحلام» وإن كان قد تميّز عليه بتفصيل أكثر في بعض المواضع.

ومنذ صدور «تأويل الأحلام» سنة ١٩٠٠ عاد فرويد للكتابة في الأحلام ثماني مرات من حيث علاقتها بفن الرواية (١٩٠٧) وبالإبداع الأدبي (١٩٠٨) وبالتحليل النفسي (١٩١١) وبالأساطير (١٩١٣) وبالتخاطر (١٩٢٢)، وتناولها بشروح أكثر استفاضة أو خصوصية في السنوات١٩١٣ و١٩١٦ و١٩٢٥.

وأسلوب فرويد في هذا الكتاب متميّز، ويستند إلى التوثيق الكثير، وفي بعض المواضع يغمض الأسلوب، أو أن الشرح يتأبى على فرويد، ومن الطريف أنه يرجع ذلك كما يقول إلى استمتاعه بالصحة الجيدة، فحينئذ يسوء أسلوبه في الكتابة، ويقول إنه فيما يبدو لا بد أن يستشعر ببعض التعاسة ليكتب بطريقة أفضل، غير أن الكتاب بشكل عام يبقى أفضل مؤلفات فرويد، وهو الذي صنع به اسمه، وسيخلد به. وعندما استوضحه إرنست جونز مؤرخه عن أفضل مؤلفاته أجاب بسرعة إنهما كتاباه «تأويل الأحلام» و«ثلاث مباحث في نظرية الجنس»، وأضاف إن نظرية الجنسية ستتجاوزها الأحداث، ولكن تأويل الأحلام سيعيش أكثر، وقال إنه لم يفعل فيهما شيئاً سوى أنه نبّه إلى أشياء واضحة ومعروفة: أن الأطفال لديهم مشاعر جنسية وذلك واضح وتعرفه كل أم وكل مربية، وأن الأحلام الليلية مثلها مثل أحلام اليقظة هدفها إشباع الرغبات، وهذا واضح ويعرفه الناس جميعاً وإن مارَى البعض فيه. والجديد في «تأويل الأحلام» هو النتائج التي توصل إليها، وفكرة الكتاب، وقوله بأن للحلم بِنْية، ووصفُه لعقدة أوديب، وكشفه للعلاقات الليبيدية بين الطفل وبين والديه، وتراوحه بين الحب الظاهر لهما والعداء المضمر، بالإضافة إلى استبطاناته للطفولة وتنبيهه إلى حقيقة أنها فترة من العمر تُلقي بظلها أبداً على سلوكنا راشدين، وقوله بأن اللاشعور أبين أثراً في حياة الأفراد من الشعور. وهو يصف العلاقة بين تأويل الأحلام واللاشعور بأن الأحلام هي الكاشفة للاشعور، وتفسيرها أو تأويلها هو الطريق الملكي الذي إن أجاد المحلّل فيه فقد اهتدى إلى المحتوى اللاشعوري للسلوك، وليس محتوى الحلم الكامن إلا المحتوى اللاشعوري للحالم. وضمّن فرويد الكتاب الكثير من التعليقات حول علاقة الحلم بالأدب، وبالأسطورة، وبالتنشئة، ومن ذلك الدراسة التي أوردها عن هاملت في الكتاب ونبّه فيها جلياً إلى صلة الحلم بالجنون ورؤية الأدباء وخاصة المبدعين من أمثال شكسبير وجوته. وقد حفزت هذه الدراسة آخرين إلى أن يحذوا حذو فرويد، ومنهم مؤرّخه إرنست جونز

وله بحث حول أوديب وهاملت، الفضل فيه لفرويد كما ذكرنا.

وكتاب «تأويل الأحلام» من المؤلفات الموسوعية، فهو لا يترك صغيرة ولا كبيرة لها علاقة بالحلم إلا ويوردها، وتناول فيه فرويد الحلم من جميع جوانبه، وفي الماضي، وتنبّأ بما يمكن أن تتجه إليه دراسات المستقبل فيه، ورغم أن فرويد أصدره عام ١٩٠٠ وتوفي عام ١٩٣٩، وتهيأت له كثيراً فرصة التعديل فيه، إلا أنه فعلاً لم يعدل فيه غالباً وما أضافه أو غيّره عاد إلى نشره في أصله، وذلك شيء لا يتيّسر إلا لمؤلفات معدودة أصدر فيها مبدعوها عن إلهام حقيقي، أو كما يقول فرويد عن حدس موفق.

ويرجع اهتمام فرويد بالأحلام إلى فترة باكرة من حياته، وربما لمرحلة الصبا، وكان وقتها كثير الأحلام، ومحباً لتفسيرها، ولما بدأ يشتغل بالطب النفسي ذهب إلى تسجيل أحلامه وبدأ يتجه إلى تحليلها. ولماخطب مارتا (١٨٨٥) كتب إليها أنه قد لاحظ أن لأحلام لا تتناول إلا الموضوعات التي تمسّ حياته اليومية مسّاً رقيقاً، أما الموضوعات التي تشغل باله في النهار فلا يتناولها الحلم، وهذه الملحوظة نفسها دار حولها النقاش في الفصل الأول من الكتب تحت عنوان «علاقة الحلم بحياة اليقظة» وذلك أن البعض قد يرى أن الأحلام لا تكرر الواقع بل تعرب عنه رمزياً، وقد يرى آخرون أن الحلم يتابع حياة اليقظة، ووقائع الحلم ترتبط بالأفكار التي كانت تشغل الشعور قبيل وقوعها، أما هو فيرى أن الحلم وإن بدا منبّت الصلة بالواقع إلا أنه مرتبط به ويتوقف عليه، ويستمدّ مادته من الواقع والحياة النفسية التي تدور حول هذا الواقع. وكان لفرويد كتيب صغير يرجع إليه لتفسير أحلامه، وبعد عام من خطابه السابق لمارتا (١٨٨٦) كتب إليها أنه حلم بمنظر طبيعي مبهج، وأنه طبقاً للكتيب الذي يرجع إليه في تفسير الأحلام فإن تغيير المشاهد يعني أنه سيسافر، ودلالة ما سبق أن فرويد كان يولي الأحلام اهتماماً باكراً مع أن معارفه فيها وفهمه له كان تقليدياً.

ويبدو أن التغيير الذي استحدثه فرويد في نظرية الأحلام جاءه من طريقين نوّه هو نفسه بهما. الأول أنه في إنصاته

لتداعيات مرضاه لاحظ أنهم يتطرقون إلى أحلامهم ويحاولون تأويلها بمنهج التداعي، والثاني أنه لاحظ أن الأحلام هلوسات المرضى بالذهان كلاهما ظواهر نفسية تعبّر عن تحقيق رغبة. ونلاحظ أنه بعد كتاباته التقليدية في الأحلام التي تضمنتها خطاباته لزوجته مارتا تغيّر منهجه في خلال العشر سنوات التالية، ومارس فعلاً تحليل الأحلام سنة ١٨٩٥ أثناء علاجه لأحد مرضاه، وقد حلم هذا المريض حلماً لم يكن من تفسير له فعلاً إلا أنه تتحقق له به إحدى رغباته والرغبة المضادة. ويحكي فرويد قبل ذلك أنه قبل أن تتوقف مشاركته لبروير كتب إليه سنة ١٨٩٤ أنه يعتقد أنه قد تعلّم شيئاً جديداً عن تفسير الأحلام. ويعتبر حلم فرويد الذي أعطاه إسم حقنة إيرما، والذي توصل بتحليله إلى نظريته في الحلم باعتباره تحقيق رغبة، حلماً تاريخياً كما يقول عنه فرويد، وقد اهتدى به إلى هذه النتيجة أثناء تواجده في شرفة مطعم «المنظر الجميل» في ڤيينا، وعلى طاولة معيّنة فيها، وإلى هذا المطعم وهذه الطاولة دعا صديقه ومؤرخه جونز ليطالعهما، وكتب إلى صديقه فليس مازحاً أنه يعتقد أن الأجيال القادمة ستقيم في هذا الركن نفسه من المطعم شاهداً من الرخام يكتبون عليه «هنا توصل الدكتور سيجموند فرويد إلى حل لغز الأحلام في الرابع والعشرين من يوليو سنة ١٨٩٥»، وبعد ذلك بأربعة شهور أفرد في رسالته المعنونة «مشروع لعلم نفس علمي» ثلاثة فصول لموضوع الأحلام أكد فيها على مسألة تحقيق الرغبة كهدف للحلم، وأشار إلى طابعها الهلوسي ومشاركتها للهلاوس في خاصية الارتداد النكوصي، وشرح النقل في الأحلام، وشابه بين تكوين الحلم وتكوين الأعراض العصابية، وعرض لاكتشافه الأساسي للفارق بين العمليات النفسية الأولية والعمليات الثانوية، ونبّه إلى أن العمليات الأولية هي العمليات السائدة في النشاط الحلمي. وفي سنة ١٨٩٦ كان قد تمكن أكثر من فهم الأحلام فأعطى محاضرات فيها، وفي سنة ١٨٩٧ كتب أنه قد توصل إلى جماع القوانين التي تنظم الأحلام وتفسرها، وذكر أن الأحلام تتضمن بشكل مصغّر كل سيكولوجية الأعصبة،

وكرّر قول هيولنجز جاكسون «لو كشفَ سر الأحلام فستكتشف سرّ الجنون». وجاءته أول فكرة لتصنيف كتاب عن الأحلام سنة ١٨٩٧، وبدأه في الوقت الذي بدأ فيه تحليله لنفسه، وكانت حادثة وفاة أبيه ما تزال ترين على تفكيره فبدأ يكتب محللاً نفسه، ومفصلاً لأحلامه لعلّه بذلك يخرج نفسه من الحالة النفسية التي تردّى إليها.

واستغرقت كتابة «تأويل الأحلام» سنتين، وكان حتى فبراير سنة ١٨٩٨ قد انتهى منه تقريباً، وما كان ينقصه حتى هذا التاريخ إلا الجانب الفلسفي من الموضوع. ومفخرة فرويد فيه كما يرى هو نظريته أن الحلم تحقيق رغبة، وكان يرى أنها نظرية غير مسبوقة، وأنه لم يحدث أن قال بها أحد بشكل أو بآخر، وأنها نظرية تفسر الأحلام تفسيراً نفسياً، وليس فيها من البيولوجيا شيء، وليست نظرية ميتاسيكولوجية، أي ليست تنظيراً فلسفياً. ويقول إن الحلم من الناحية البيولوجية يصدر عن مخلفات الفترة قبل التاريخية، فترة السنة أو السنوات الثلاث الأولى من حياة الفرد، وهي الفترة التي يصدر عنها اللاشعور، وهي أيضاً الفترة الوحيدة التي تكون فيها بدايات الإصابة بالأعصبة النفسية، والتي ينسى الطفل فيها بشكل سوي نسياناً يقرب من النسيان الهيستيري، وهي فترة يصدق عليها القول: إن ما بصرته العين هو قوام الأحلام، وما سمعته الأذن تكون به التخيلات، وما خبره الطفل جنسياً هو أصل الأعصبة النفسية. وتكرار الخبرات التي مورست في هذه الفترة هو نفسه تحقيق لرغبة، ولا تستحث الرغبة الحالية الحلم إلا إذا ارتبطت بمادة من الفترة قبل التاريخية، واشتُقت هي نفسها من رغبة قبل تاريخية أو تمثلتها. والأحلام جميعها تستهدف بشكل عام تحقيق رغبة واحدة تفرّعت منها رغبات كثيرة، وهذه الرغبة الواحدة أو الرغبة الجامعة هي الرغبة في النوم والإنسان ينام لأنه يريد النوم ولا يريد أن يبقى متيقظاً.

والكتاب بشكل عام أعجب فرويد جداً لولا الفصلان الأول والسادس، وفي الفصل الأول تناول فرويد الحلم من الناحية التاريخيّة ونبّه إلى الكتابات

السابقة فيه، وكان ذلك بالنسبة له ع ''ً مملاً، ولم يجد فيه لذة إطلاقاً، وأما الفصل الأخير فهو الذي أتعبه حقيقة وفكر مراراً في الاستغناء عنه، ولم يكن يرى أنه فيه على سجيته، وأنه اضطر إلى كتابته اضطراراً، وهو فصل من أصعب الفصول وأكثرها تجريداً، وكان فرويد متضايقاً منه أشد الضيق، إلا أنه داوم على كتابته واستغرق منه عدة أسابيع، وكان يخشى من نقد النقاد له.

ولا يبدو أن فرويد قد تأثر من آراء السابقين عليه إلا بفونت وفيخنر وهاقلوك إليس وهيلد برانت وشيرنر ولينكويس. ويهمنا من الفصل الأول الجزئيات الخاصة بالمصادر النفسية للحلم وخصائصه السيكولوجية. وفي «المحاضرات التمهيدية للتحليل النفسي» يعود فرويد إلى الجانب التاريخي للأحلام، ويؤكد بشدة كموجز لهذا الفصل أن الحلم هو الحياة النفسية للفرد أثناء النوم، وأنه هو الأسلوب الذي تستجيب به الحياة النفسية للمنبهات التي تكتنفها خلال النوم. وفي الفصل الثاني المعنون «تحليل حلم على سبيل المثال» يعرض فرويد لطريقته الجديدة في تأويل الأحلام عن طريق تحليلها من خلال منهج التداعي، ويطبق ذلك عملياً على حلم من الأحلام، ولا يتخذ الحلم كله موضوعاً للتداعي وإنما الأجزاء المتفرقة للمحتوى، ويخلص إلى أنه في كل حلم فإن الدافع إليه رغبة، وكذلك فإن محتواه يحقق رغبة. ويتضمن الفصل الثالث شروحاً أكبر لمعنى أن الحلم تحقيق رغبة وينبّه إلى إمكان تفاوت هذا المعنى بتفاوت الأحلام، وإلى أن بعض الأحلام تسفر فيها الرغبات بحيث لا تترك مجالاً لفهمها إلا بأنها محققات للرغبات، من ذلك الكثير من أحلام الأطفال. ويتناول الفصل الرابع تشويه الحلم ويفسر به الأحلام التي تبدو كما لو كانت بسبب منغصات اليقظة كأحلام الهيلة التي كثيراً ما تأتي الأطفال، وينسب إلى الحلم محتوى ظاهراً وآخر باطناً، ويردهما إلى وجود رقابة على مادة الأحلام، فكلما زاد إزعاج المحتوى الكامن - أو اللاشعوري - كلما اشتدّ ضغط الرقابة وبدا التشوّه في محتوى الحلم وزاد تقنّع المادة الحلمية. وفي مجال تفسير الأحلام إذن يتأكد إلقاء

الضوء على الجهاز النفسي من حيث نظاميه الشعوري واللاشعوري. وليست كل الأحلام - حتى الأحلام النمطية وأحلام الهيلة - إلا تحقيق رغبة لايظهرها إلا التحليل النفسي. ويدرج فرويد الأحلام التي يبدو أنها ليست من هذا النوع تحت بند الأحلام المضادة للرغبات، ويفسرها مع ذلك بأنها تمثل تحقيق رغبات ذات شحنة وجدانية شديدة، وبعض الناس قد تقع لهم أحلام برغبات مضادة أو أحلام مؤلمة، وهي مع ذلك لا تخرج عن أن تكون تحقيق رغبات، لأنها تشبع فيهم نوازعهم الماسوشية، وعلي ذلك يمكن القول بجزم إن الحلم من هذا النوع تحقيق مقنّع لرغبة مقموعة أو مكبوتة.

ويتناول الفصل الخامس مادة الحلم ومصادره، ويؤكد فرويد أنه ما من حلم يخلو من بعض الصلة بأحداث اليوم الذي انقضى، وهو قادر على أن يختار مادته من أي فترة من فترات الحياة، إلا أن ذلك مرهون دائماً بأن ثمة رابطة تربط بين خبرة يوم الحلم والخبرات السابقة عليها، ويؤثر الحلم من الحياة الواقعة الثانوي منها، ويقود تفسيره على العكس خبرة هامة هي التي دفعت إليه بحق، وتبدو العملية كأنها نقلة في النبرة النفسية، وذلك مظهر من مظاهر التشويه الحلمي. ومن دأب الأحلام أنها تدمج معاً الخبرات التي تستثير الحلم في خبرة تؤلف منها وحدة. وقد تذكّر الخبرة التي تمثل في محتوى الحلم بخبرة أخرى معاصرة لها وخالية من القيمة، وقد تمثّل الخبرة ذات الأهمية بانطباع حديث لكنه مجرد من الوزن. ويذهب فرويد إلى أنه لا وجود إطلاقاً لحافز حلمي مجرد من القيمة، ولا وجود لحلم بريء إذا نحينا جانباً أحلام الأطفال وبعض لاستجابات الحلمية القصيرة، وما خلا ذلك فإما تسفر قيمته، وإما تتشوّه ويحتاج للتفسير، وفي كل الحالات من هذا النوع لا يشغل الحلم أبداً بالتوافه. وإذا تركنا المحتوى الظاهر للحلم إلى أفكاره الكامنة التي لا سبيل إليها إلا بالتحليل، فإن أثر خبرات الطفولة ليبدو فيها واضحاً. وهناك أحلام نقطع فيها بعناصر الطفولة دون حاجة إلى تأويلها، وتلقى الرغبة من الحاضر لتعزيز من ذكريات الطفولة، ولا تظهر مشاهد الطفولة في الأحلام إلا

تلميحاً وتستخلص بالتفسير. ولا تدفع المنبهات الخارجية إلى الحلم وإن كانت تظهر فيه، فالحلم له قيمته الخاصة من حيث هو فعل نفسي، ولا يغير من ماهية الحلم أن تضاف المادة الجسمية إلى مصادره النفسية، ويجب أن نحسب دائماً حساب الرغبة في النوم من حيث هي دافع إلى تكوين الحلم. والأحلام حرّاس النوم. والحلم الناجح هو الذي يحقق الرغبة في النوم. وعندما تنشأ أثناء النوم إحساسات لها طابع جسمي أليم، فإن عمل الحلم يستغل ذلك في تصوير تحقيق الرغبات التي كُبتت، وأحلام الهيلة من ذلك، فهي وإن كانت صادرة عن الجسم كأن تكون هناك صعبة في التنفّس، تستغله الهيلة لتحقق في صورة الحلم الرغبات المكبوتة بعنف. وتخرج الأحلام النمطية على مبدأ تفسير الحلم بترجمة الأفكار اللاشعورية التي يتضمنها عن طريق تداعيه بما يمثله المحتوى الظاهر للحلم. والأحلام النمطية لا تختلف عند الناس ولا تشكل بالنسبة للأفراد أية خصوصية، ومن ذلك أحلام العري التي هي صادرة عن رغبة في الاستعراء تكون بنا من الطفولة وتميل إلى أن تتكرر معنا من تلقاء ذاتها ولذاتها.

والفصل السادس، وهو أطول الفصول، يتناول عمل الحلم، وأول ما نلاحظه في ذلك عند المقارنة بين محتوى الحلم وأفكاره أن ثمة عملية تكثيف شملته حتى صار الحلم هزيلاً مقتضباً إذا قورن بسعة أفكاره وثرائها، وليس من سبيل لتحديد مقدار التكثيف. وثمة عناصر للحلم أصلية فيه تحتمها أفكاره وتتعلّق بمعظم أفكار الحلم وتبنى منها مأخوذة في مجموعها، وكل عنصر محتوم في علاقته بهذه الأفكار، وثمة عناصر تبدو جوهرية وهي بعيدة كل البعد عن أفكار الحلم، والواقع أن ما يظهر في الحلم من أفكار تبدو خطيرة ليس هو المهم وإنما المهم هو الأفكار المكرّرة. وهناك دائماً تحويل ونقل من شأنه تجريد عناصر الحلم ذات القيمة النفسية العالية من شدتها، ومن ناحية أخرى فإن بعض العناصر ذات القيمة النفسية المنخفضة قد تصبح لها قيمة مضاعفة بواسطة الحتم المضاعف، وهناك أحلام يقوم فيها الحالم بعمليات عقلية معقدة غاية التعقيد. والأحلام لها

وسائلها في تصوير أفكارها، وتختلف الأحلام في مسلكها تجاه الترتيب الزمني، ولها طرقها في تصوير العلاقات المنطقية وعلاقات العلية. وتغفل الأحلام التضاد والتناقض وتتنوّع فيها طرق تصوير التشابه والتماثل. والأحلام بشكل عام أنانية أي تدور حول الحالم نفسه وإن كان أبطالها آخرين. وتتبع الأحلام طريقة القلب أو العكس التام. وتتفاوت الأحلام في الشدة الحسيّة لمختلف صورها، وليس صحيحاً أن عناصر الحلم المستمدة من إحساسات النوم العصبية تمتاز بشدة خاصة، ويتكوّن الحلم المختلط من عناصر ضعيفة في الشدة، بينما الحلم الواضح عناصره شديدة، وتشيع في الأحلام الحركة المكفوفة، وقد يكون للعجز عن الفعل في الحلم معنى النفي، وقد يعني صراعاً في الإرادة بين شيء مطلوب وآخر مرفوض. وإذا أورد عمل الحلم حدثاً على أنه حلم من داخل حلم فإن الحلم الداخلي هو الأصلي، والحلم المحيط هو للتمويه. وقابليةالتصوير للمادة الحلمية مسألة أساسية في تكوين الحلم، والإبدال والترميز من وسائل تصوري، فإن أراجع نفسي في مسألة من المسائل فأراني في الحلم أسوّي قطعة من الخشب فهذا إبدال، بينما استخدام الطريق الأيمن يرمز إلى سلوك الاستقامة. والأحلام النمطية رمزية، ولا تستلزم جميع الأحلام تفسيراً جنسياً لرموزها. وبعض الأحلام قد تبدو لامعقولة، والحلم لا يكون كذلك إلا إذا كانت بين أفكار الحالم اللاشعورية فكرة دافعها النقد أو الزراية ومضمونها الرفض أو النفي. وفعل الحكم في الحلم اللامعقول ليس إلا ترديداً لنموذج موجود في أفكار الحلم يتسم بسوء التصرّف ويجيء وسط محيط غير مناسب. وقد أثبت التحليل النفسي أن الحالات الوجدانية في الأحلام تظلّ من غير تحريف، بينما التحريف بالتبديل والنقل والتكثيف يتناول محتوى الحلم، ومع ذلك فإن الأحلام قد تخضع غالباً لمراجعة تفقدها مظهرها اللامعقول، وتفكّكها، وتقاربها من نمط الخبرة المعقولة، وما يبدو لا معقولاً في بعض الأحلام يخضع أيضاً لهذه المراجعة، إلا أنه خضوع ضعيف يجعل لها بعض المعنى ولكنه المعنى البعيد غاية البعد عن المغزى

الحقيقي، ويسمّى فرويد هذه المراجعة بالمراجعة الثانوية، ومن شأنها كعامل من عامل تكوين الحلم أن يخرج الحلم مرتباً معقولاً، ولكنها في سبيل ذلك قد تتسبّب في فهمه بطريقة خاطئة، ولهذا لا يلتفت إلى ظاهر الحلم، ويُنبِّه بالأحرى إلى محتواه الباطن، وليست أجزاء الحلم الواضحة إلا لأن المراجعة الثانوية قد استطاعت أن تستحدث فيها أثرها، فأما تلك التي لم تفلح فيها المراجعة الثانوية فإنها تأتي مختلطة.

ويتناول الفصل السابع والأخير سيكولوجية عمليات الحلم، ويلخص كل الفصول السابقة ويتساءل فيه فرويد - في ضوء ما سبق - عن الجهاز النفسي الذي يمكن أن يكون مسؤولاً عن عملية الحلم، ويقسم الفصل إلى عدة أقسام تعالج مسائل شتى، كنسيان الأحلام الذي يرجع إلى قوة الرقابة النفسية، وينجم النسيان عن المقاومة المترتبة على الكبت. والنوم يجعل تكوين الحلم ممكناً، لأنه ينقص من قوة الرقابة النفسية. ويفترض فرويد أن الجهاز النفسي يتكوّن من اللاشعور وهو الأصل، ثم ما قبل الشعور، وأخيراً الشعور والعمليات النفسية تبدأ من المنبّهات الحسيّة وتنتهي إلى التعصيبات. والطرف الحسّي من الجهاز النفسي يستقبل الإدراكات، وفي المقابل يوجد الطرف الحركي الذي ييسِّر القيام بالنشاط الحركي المترتّب على الإدراك الحسّي. والإدراكات عند الطرف الحسّي تترك أثراً ذكروياً هو الذاكرة، وهي أساس ظاهرة التداعي، والنظام الإدراكي يمدّ الشعور بالكيفيات الحسيّة، وأما الذكريات فهي لاشعورية في ذاتها، ومن الممكن جعلها شعورية، ومن الممكن أن تستحدث آثارها وهي لا شعورية. وما يقع من عمليات فيما قبل الشعور يمكن أن ينفذ إلى الشعور بشروط معيّنة. واللاشعور لا يستطيع النفاذ إلى الشعور إلا إذا مرّ عن طريق ما قبل الشعور. والقوة الدافعة إلى الأحلام تُستمَد من اللاشعور، وبدلاً من أن تتوجّه الأحلام من اللاشعور إلى ما قبل الشعور ثم الشعور فإنها بتأثير الرقابة تتجه اتجاهاً عكسياً أو نكوصياً، وما يقع في الحلم هو أن تتحول الفكرة الحسيّة إلى الصورة الحسية التي كان منها منشؤها بدلاً من أن تتحول إلى

حركة ما، ولهذا فإن الصورة الحلمية تفقد محتواها لأنها تفقد القدرة على ترجمتها حركياً، وتفقد بالتالي كل وسيلة للتعبير عنها إلا الصورة الإدراكية التي كانت لها من البداية. وفي حالة النكوص ينحل بنا أفكار الحلم إلى مادته الخام، ويساعد على النكوص الانعزال عن العالم الخارجي، وانقطاع التيار النفسي المتجه من النظام الإدراكي إلى النظام الحركي أثناء الليل، ويترتّب النكوص على المقاومة التي تحول دون تقدّم الفكرة إلى الشعور، ونتيجة للجذب الذي تمارسه إزاءها في الوقت نفسه الذكريات التي لها تأثير حسّي قوي. والحلم بطابعه النكوصي هو بعث جديد للطفولة، وللدفعات التي تسيطر عليها، ولوسائل التعبير التي كانت لها، ومن وراء هذه الطفولة الفردية طفولة النوع الإنساني حتى ليصدق قول نيتشه إن في الحلم بقية من الإنسانية الأولى.

وفي القسم الثالث من الفصل السابق المعنون تحقيق الرغبة يتساءل فرويد عن مصدر الرغبات التي يُبنَى الحلم عليها، ويُرجعها إلى التضاد القائم بين حياة النهار المدرَكة إدراكاً شعورياً، والنشاط النفسي اللاشعوري والذي لا نعلم عنه شيئاً إلا في الليل عندما ننام وعن طريق الأحلام. والرغبات اللاشعورية متأهبة دائماً لأن تشقّ طريقها إلى التعبير إذا تهيأت لها الفرصة، وهذه الرغبات رغبات واقعة تحت الكبت، ومنشؤها طفولي، وكل رغبة تصور في الحلم رغبة طفولية، والاندفاعات المختلفة من حياة اليقظة ثانوية بالنسبة لهذه الرغبات. وتشق ببعض بقايا النهار طريقها إلى الحلم وتستغلّ محتوى الحلم لتنفذ إلى الشعور، وقد تسيطر على محتوى الحلم وتحمله على مواصلة نشاط النهار. وبعض الأحلام مؤلم، وهذه يقيناً أصلها رغبات لاشعورية مكبوتة، وبعضها أحلام عقاب وهي أيضاً عن رغبة لاشعورية هي الرغبة في أن يعاقب الحالم نفسه لاندفاعات راغبة ممنوعة ومكبوتة. ويجب التسليم بأن لكل حلم تأثيراً موقظاً، رغم أن الحلم أصلاً لا يتعارض والنوم، ولو قطع الحلم النوم مرات متعدّدة فإنما يكون ذلك للحظات يعود بعدها الحالم للنوم، وحينما يستأنف النوم يكون قد قُضِي على

عنصر الإزعاج الذي سبّبه له الحلم. وتكتسب عملية الحلم شدة تكفي لجذب الشعور إليها وإيقاظ ما قبل الشعور بصرف النظر عن زمن النوم وعمقه، فإذا كانت شدتها لا تكفي يتعيّن عليها الانتظار حتى يصبح هناك بعض الانتباه قبل الاستيقاظ فتظهر عليه.

ويتناول فرويد في آخر قسم من هذا الفصل اللاشعور ويجعله الأساس العام للحياة النفسية، ويصف عملياته بأنها عمليات أولية أي أساسية فيه، وأما العمليات الأخرى فيه الناجمة عن الكفّ فهي عمليات ثانوية. والعمليات الأولية تتعرّض للكبت، وكل ما هو شعوري له مرحلة تمهيدية لا شعورية، بينما قد يظلّ اللاشعوري على وضعه. والحلم عندما يصور الأشياء تصويراً رمزياً إنما يصدر عن تخيلات لاشعورية، والتفكير اللاشعوري يعمل في النهار كما يعمل في الليل، والأحلام تحيطنا علماً بالماضي، فالحلم فرع من الماضي - من خبرات الطفولة، وأسبق من ذلك خبرات الإنسانية، والرغبات اللاشعورية من الماضي، واعتقاد القدماء أن الحلم يُنبىء بالمستقبل لا يخلو أيضاً من الصدق، لأنه إذ يصور رغباتنا وقد تحقّقت إنما يسلك بنا جهة المستقبل.

مراجع

- Freud: Contructions in Aalysis.

(1937)

❖ ❖ ❖

- التثبيت...

- **Fixation (E.; F);...**
- **Fixierung (D.)...**

ترتبط ظواهر معيّنة عند الكبار - مثل التثبيت على موضوع حب معيّن - ببوادر النشاط البدني عند الأطفال في مراحله الباكرة، ويؤكّد التحليل النفسي على فكرة أن العُصابي، وكل إنسان بشكل عام، يظلّ متأثراً ببعض الخبرات التي يلتقي بها في الطفولة، وأن خبرات الطفولة لها سطوة على سلوكه من بعد، وأنها تميل إلى أن

تتكرّر معه، مما يدلّ على أنها خبرات مثبتة، ويشهد على تثبيتها محاولته الدائبة أن يتخلّص منها، والمقاومة التي تصادفها هذه المحاولات، بل والمقاومة التي يواجه بها المحلّل النفسي كلما حاول أن يخلصه منها، حيث يبدو واضحاً أن المريض بهذه التثبيتات به نوع من القصور الذاتي النفسي وخمول اللبيدو وعدم رغبته في التخلّص من تثبيتاته.

ويجعل فرويد التثبيت على الصدمة فكرة أساسية في تسبيب الإصابة بالعُصاب، ويصف المريضة الأولى التي كان بروير يعالجها من الهيستيريا بأنها كانت مثبتة إلى فترة طفولها الماضية، وأنها لا تقدر أن تنزع نفسها منها، وتشعر بأنها مغتربة عن الحاضر والمستقبل ولا تستطيع أن تتجاوب معهما بطريقة سوية. وينبّه فرويد إلى أن كل مرض نفسي لا بد أن ينطوي على تثبيت، إلا أن كل تثبيت لا يُسلم بالضرورة إلى مرض نفسي، فالحزن مثلاً نموذج رائع لتثبيت وجداني على شيء في الماضي، ويتضمن كالأمراض النفسية حالة من الانفصال عن الحاضر والمستقبل، ولكنه يتميّز تميّزاً واضحاً عن العصاب حتى في نظر عامة الناس. ومن جهة أخرى، هناك أمراض نفسية يمكن اعتبارها صوراً مرضية من الحزن. ومن الناس من تبهظه خبرة صدمية تهزّ كيانه حتى لتجعله يصدّ عن الناس ويتثبت عليها وتستغرقه أحداثها ودلالاتها، ولكنه لا يصبح بالضرورة عصابياً من أجل ذلك.

ويُلحق فرويد التثبيت بنظرية اللبيدو إبتداءً من كتابه «ثلاثة مباحث في نظرية الجنس»، ويعلقه بخصائص جنسية من الطفولة قد تتسبّب لديه في الإصابة بالشذوذ الجنسي، ومن ذلك تثبيتات الأهداف الجنسية الأوّلية، فالقدر المناسب من اللمس والنظر يعينان على بلوغ الهدف الجنسي السوي، ومع ذلك فحب النظر قد يصبح انحرافاً إذا تثبّت من الطفولة على الأعضاء التناسلية، أو ارتبط بإلغاء الاشمئزاز كما في حالة المرضى بالتنظّر أو التطلّع الجنس الذين قد تقتصر لذتهم الجنسية على النظر إلى الآخرين يتبرزون مثلاً، أو إذا حلّ النظر محل الهدف الجنسي السوي، بدلاً من أن يكون ممهداً له، كما عند المرضى

بالاستعراض الذين يلذ لهم أن يعرضوا أعضاءهم التناسلية لكي تحقق لهم الرؤية المقابلة للأعضاء التناسلية للآخر أو الآخرين الذين يستعرضون لهم، وهو انحراف آخر يشهد على ما يمكن أن يستحدثه التثبت في مجاله. فالأطفال يميلون إلى الاستعراض ولكنهم يتجاوزونه، وأما مع التثبت فهو يستمرّ طوال فترة النمو وما بعد ذلك. وكذلك في السادية ونقيضها الماسوشية، وتنشأ الأخيرة دائماً عن تحلّل يطرأ على السادية، ومن الممكن أن نتبين في كثير من الحالات أن الماسوشية لم تكن إلا امتداداً لسادية تحوّلت نحو الفرد نفسه. ويبين التحليل الكلينيكي للحالات المتطرّفة للانحراف الماسوشي أن عدداً كبيراً من العوامل من الطفولة كعقدة الخصاء هي التي تتسبّب في هذا الاتجاه الجنس السلبي وتثبيته.

ومع التوسّع في نظرية الليبيدو أصبح التثبيت لا يقتصر على هدف أو موضوع لبيدي جزئي، بل إنه قد يشتمل النشاط المميّز لمرحلة لبيدية كاملة كالمرحلة الفموية أو الشرجية أو القضيبية، إلخ، فالدوافع السادية مثلاً تأخذ في الظهور بطريقة غير منتظمة أثناء المرحلة الفموية عندما يبدأ ظهور الأسنان، وتزداد هذه الدوافع في المرحلة الثانية التي يقال لها المرحلة السادية الشرجية عندما يكون إصرار الطفل على الحصول على اللذة من وراء العدوان وعن طريق العناد في التبرز. والسادية هي امتزاج غريزي لدوافع لبيدية وعدوانية صرفة، وأثناء النمو لا يكون التخلّص نهائياً من آثار هذه المراحل اللبيدية، ويستخدمها الأنا على نحو ما فتنشأ من ذلك السمات الخُلُقية للفرد. وقد تتعرّض الدوافع اللبيدية في هذه المراحل وأثناء النمو لأنواع من الكفّ فتعلن عن نفسها رغم ذلك في صورة الاضطرابات المختلفة الكثيرة التي تصيب الحياة الجنسية، وهذا الكفّ أو الكبت هو الذي يوقع التثبيت بالدافع اللبيدي، وتتصرّف الدوافع المثبتة تجاه العمليات النفسية اللاحقة كدوافع تنتمي إلى نظام اللاشعور، أي كدوافع مكبوتة. ومن ناحية أخرى فإن التثبيت يهيىء المواقع التي سيكون إليها النكوص الذي يُصادَف

بأوجهه المختلف في الأعصبة والأذهنة وحالات الشذوذ المختلفة.

ويربط فرويد بين التثبيت وتأثيرات التربية، ثم التأثيرات الصدموية، وتأثير الجِبلّة والوراثة، فعبر طريق النمو الطويل يمكن أن تصبح كل خطوة فيه نقطة تثبيت. وهناك من العوامل الداخلية والخارجية الكثير مما يمكن أن يتسبّب في تعطيل النمو. وتختلف أنواع الاستعدادات المهيئة للتثبيت عند الأفراد، وبعض الاستعدادات يهيىء للتثبيت ومن ثم للشذوذ. وقد يمتلك البعض غرائز جزئية لها قوة أكبر وتميل إلى التثبت لذلك. وبعض الأفراد محافظون بطبعهم فكلما بلغوا مرحلة لبيدية كانت بهم نزعة طبيعية لأن يتريثوا فيها، وربما قد يصيبهم القلق كلما تركوا مرحلة إلى مرحلة لاحقة، وقد يكون بهم خوف لاشعوري من أنهم لن يجدوا البديل المشبع للمرحلة التي يمرون بها.

ولا تخلو نظرية فرويد في التثبيت من التأكيد على بعض الجوانب البيولوجية، باعتبار أن التطوّر الفردي يعكس تطوّر النوع، وأن التثبيت هو تكرار لبعض المراحل السلالية للجنس البشري، وكأن التثبيت من هذا المنظور البيولوجي يناقض المنظور التكويني لنظريات فرويد عموماً في النمو، ويمثّل كفّاً للنمو. ومع توسّع فرويد في نظرية الشذوذ الجنسي أصبح التأكيد أكثر على الصراعات والميكانيزمات التي تميّز الشذوذ كالميكانيزمات التي تميّز العصاب كسبب من أسباب ظاهرة التثبيت.

مراجع

- Freud:Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)
: Repression. (1915)

❖ ❖ ❖

– تحليل الأطفال...

- Child Analysis (E.);...
- Analyse des Enfants (F.);...
- Kinderanalyse (D.)...

كتب فرويد محلّلا الجنس عند الأطفال في بحثين، الأول سن ١٩٠٧ بعنوان «تنوير الأطفال جنسياً»، والثاني سنة ١٩٠٨ بعنوان «نظريات الجنس عند الأطفال»، غير أن بحثه «تحليل فوبيا عند طفل عمره خمس سنوات» الذي نشره سنة ١٩٠٩ يُعتبر تاريخ بداية ما يُسمَّى بالتحليل النفسي في مجال الأطفال. وهذا البحث السابق هو المشهور باسم حالة هانز الصغير، وكان والد هانز قد استشار فرويد في حالة إبنه المريض بالخوف من الخروج إلى الشارع، وتوهّم أن الخيل ستعقره لو صادفته فيه. ولم يرَ فرويد هانز إلا مرات معدودة، ولكنه جلس إلى والده عدداً من المرات، وعلّمه تقنيات التحليل النفسي وكيفية التعامل مع ولده لينفذ إلى أعماقه ويستلبه إليه. وتتلخص حالة هانز في عقدة أوديب التي كانت قد بدأت عملها معه في هذه السن فكان يُعاني من ازدواج المشاعر حيال أبيه، وكان يحب أمه حباً جارفاً، وقد خلّصه هذا الخوف من أن يترك أمه وضمن له أن يلازمها، كما أنه أزاح به كراهيته لأبيه الذي كان يزاحمه على أمه، وخوفه منه، إلى كراهيته وخوف من الخيل ومن الخروج إلى الشارع. ورغم أن فرويد قد كتب في هذا البحث محلّلاً هانز إلا أن التاريخ الحقيقي للحليل النفسي ممارَساً في جال الطفل لم يبدأ إلا مع أنَّا فرويد وميلاني كلاين، وللأولى «مقدمة في تقنية تحليل الأطفال» (١٩٢٨)، و«التحليل لنفسي للأطفال» ضمن كتاب مرشيسون «المرجع في سيكولوجية الطفل» (١٩٣١)، و«بعض الملحوظات في مراقبة الأطفال الصغار» (١٩٥٣)، وللثانية «تقنية تحليل الأطفال الصغار» (١٩٢٤)، و«التحليل النفسي للطفل» (١٩٣٢). و«التحليل النفسي للأطفال» (١٩٣٧)، وكما نرى فإن البدايات الحقيقية للتحليل النفسي للأطفال كانت في العشرينات، وكان من الطبيعي أن تنصرف إليه وتهتم به محلّلات وليس محلّلين، وقد تناول فرويد

وزملاؤه هذه المسألة في مناقشات كثيرة في العشرينات أيضاً وليس قبل ذلك، وكان هناك عدد لا بأس به من الجنس اللطيف ضمن حركة التحليل النفسي، ومنهنّ بالإضافة إلى أنّا وميلاني كلاين السابقتين هيلين دويتش، وأنّا رڤيير، وإيڤا روزينفيلد، وروث برونزڤيك، ولو أندرياس سالومي إلخ، وكان من الممكن أن يتخصّصن في التحليل في مجال الأطفال، غير أن ميلاني كلاين وأنّا فرويد كانتا البداية الحقيقية لحركة التحليل النفسي للأطفال، وأدعت كلاين في كتابها «التحليل النفسي للطفل» (١٩٣٢) الطريقة التي حلّت محل طريقة فرويد في التداعي الحرّ، والتي اعتبرت الأنسب للأطفال، حيث أن الطفل في هذه السن الباكرة يعجز عن التداعي الحر، لقلّة حيلته في التعبير عن نفسه لغوياً، ولعدم نضجه ووعيه ثانياً. وتذكر أنّا فرويد في تقويمها لطريقة كلاين - طريقة اللعب - أنها أكثر الطرق صلاحية لمراقبة الطفل وسبر شخصيته والنفاذ إلى أعماقه. وقالت إن طريقة اللعب توقف الجهد والوقت بدلاً من ملاحظة الطفل والسعي خلفه في كل أنحاء البيت لرصد حركاته وسكناته وانفعالاته وتفكيره، فنحن نحصر الطفل في حجرة واحدة هي حجرة اللعب التي يخصّصها المحلّل النفسي للأطفال لذلك الغرض، وبذلك يكون الطفل تحت عينيّ المحلّل دون تدخل منه، ونضمن أن يطالع المحلّل ردود فعل الطفل وميوله العدوانية واتجاهاته نحو الأشياء والعرائس التي تمثّل موضوعات وأشخاص من بيئته، فضلاً عن أن هذا العالم المكوّن من عرائس ودُمَى يمكن للطفل أن يتحكّم فيه وأن يكون في متناول يده وتفكيره وعواطفه بدلاً من العالم على اتساعه في تفرّق أشيائه وشخوصه وضخامته التي تهول الطفل. وفي طريقة اللعب نضمن أن يتحقق هناك قدر من التحوّل الإيجابي من الطفل المحَلَّل، والأطفال أقدر على ذلك من الكبار، لأن الطفل أصلاً لن يتجاوب باللعب إلا إذا مال إلى المحلّل المشرف على ساحة اللعب. ونلاحظ أن ذلك لا يحمل في طياته شرطاً إيجابياً في موقف التحليل النفسي، ولكنه كذلك ينصرف إلى أي موقف تعليمي وتربوي بالنسبة للطفل، فهو لا يمكن أن يتجاوب مع المدرّس أو المربي إلا إذا قامت بينهما إلفة ومودّة. وقد يمكن أن يستمرّ

المحلّل مع الراشد حتى إذا لم يكن هناك استلطاف بينهما، إلا أن ذلك مستحيل مع الطفل، ولذلك فالخطوة الأولى للمحلّل هي أن يرفع من نفس الطفل الخوف منه، وأن يُدخل عليه السرور تجاهه، وأن يحاول أن يكون على علاقات طيبة بالطفل بقدر الإمكان.

وقد نبهت أنَّا فرويد (١٩٤٥) إلى أن منهج التداعي الحرّ لا يمكن تطبيقه عملياً مع الأطفال قبل سن البلوغ، وبالطبع يؤثر ذلك على تحليل الأحلام وهو الطريق الثانية للنفاذ إلى اللاشعور، فمع أن الطفل يحكي أحلامه بحرية إلا أنه لا يمكن أن يعلّق عليها ليكشف عن مضمون الحلم الكامن، وليس أمام المحلّل للطفل إلا أن يركن على نفسه فقط ليربط بين ظهر الحلم وما يعرفه هو نفسه من حياة الطفل. وكذلك فإنه من غير الممكن أن نقسر الطفل على أن يرقد على وسادة ليتداعى بحرية، وغالباً ما ينام. ولا يمكن في حالة تحليل الأطفال أن نقصر جلسات التحليل على الطفل، فلا بدّ للمحلّل أن يرى ذويه وأن يرقب تفاعلات الطفل معهم وأن يسألهم حول مختلف المواقف ويتحرّى آراءهم فيها.

وكانت هناك بالطبع معارضات وأوجه نقد لطريقة اللعب، كما أنه نشأت مدارس حول الطريقة نفسها، فمثلاً كانت مدرسة هيو هيلموت في ڤيينا مختلفة بعض الشيء عن مدرسة ميلاني كلاين في برلين ثم في لندن بعد ذلك، إلا أنهما مع ذلك قامتا على المبادىء نفسها: أن ألعاب الطفل مع العرائس والدمى هي بديل عن الأفكار والانفعالات التي يمكن أن يحكي عنها الكبار، وهي لذلك بديل عن طريقة الكلام في العلاج. ومع ذلك فقد قيل في نقد هذه الطريقة إن تفسير المحلّل لحركات الطفل قاصرة عليه وحده، ولا يشارك الطفل في التفسير، ولا يؤخذ رأيه فيه كالمتّبع عند الكبار، ومن ثم فلا مجال لتنوير الطفل وأن يستبصر حالته، ولا مجال للمقاومة المعروفة في علاج الكبار بالتحليل، كما أن الطفل يجهل أن هذه الجلسة هدفها علاجه، ولا يعي الغرض منها، وهو شيء ضروري في علاج الكبار بالتحليل النفسي. ونبني على ذلك أن الموقف التحويلي بين الطفل والمحلّل مفتقد، بالإضافة إلى أن عواطف الطفل لا تتحوّل إلى المحلل وإنما

يظل تعلّقه بوالديه كما هو. ومن ثم فقد ذهب المحلّلون للأطفال - وخاصة الأوروبيين منهم - إلى ابتداع طرق أخرى بخلاف طريقة اللعب، وأولوا انتباههم لمشتقات اللاشعور عند الطفل متمثلاً في أحلامه، وفي أحلام اليقظة، وفي اللعب الإيهامي، وفي الرسوم، إلخ، كما أبدوا اهتماماً واضحاً بالاستماع للقصص عن تجاوبات الطفل الانفعالية خارج مجلس التحليل وخلال ممارساته اليومية، والهدف أن يحيطوا علماً بطرق الطفل في إزاحة مشاعره، وفي التكثيف، وفي الكبت، وتشويه الوقائع ووسائله الدفاعية العصابية، حتى يمكنهم بمساعدة الطفل نفسه كشف مقاصده من كل ذلك - أي محتواه اللاشعوري. غير أن هذه الطرق تتوقف على قدرة الطفل على التعبير والتفهم، أي أنها طرق تتطلّب أطفالاً كباراً وليس الأطفال الصغار كما في حالة أطفال كلاي وأنّا فرويد - وهم أطفال صغار لا يحسنون الكلام، ولذلك كنت كلاين وأنّا تنصرف طريقتهما إلى ترشيد توجّهات الطفل خلال اللعب وتحبيب هذا الأمر إليه، بينما الطرق الأخرى الأوروبية كانت تقوم على الترشيد بالكلام. وعلى أي الأحوال فإن المحلّل النفسي للطفل عليه في جميع الطرق أن يجعل نفسه عند الطفل محلّ أناه المثالي Ego-ideal، وأن لا يبدأ مع الطفل إلا إذا ضمن تماماً أنه قد صار منه بمنزلة أكبر من منزلة والديه، وعندئذٍ يمكن أن يرجع إليه ويركن عليه كموضوع للحب وللأمان بديلاً عن الوالدين.

مراجع

- Anna Freud: Introduction to the Technique of Child Analysis. (1928)
: Psychoanalysis of Children. (1931)
- M. Klein: The technique of Analysis of Young Children. (1924)
:Psychoanalysis of the Child. (1932)
:The Psychoanalysis of Children. (1937)
- E. Glover: On Child Analysis. (1927)
- E. Jones: Child Analysis. (1927)

❖ ❖ ❖

– «تحليل خواف عند صبي صغير في الخامسة»...

- «Analysis of a Phobia in a Five - year - old Boy» (E.);...
- «Analyse d'une Phobie d'un Petit Garçon de cinq ans» (F.);...
- «Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben» (D.)...

هذا البحث نشره فرويد سنة ١٩١٩، وهو أول حالة لطفل يعالجها فرويد بالتحليل النفسي، واشتهرت في تاريخ هذا الفرع من علم النفس باسم حالة هانز الصغير، وهي إحدى حالات خمس نشرها فرويد تباعاً من سنة ١٩٠٥ حتى سنة ١٩١٨. ولم يُباشر فرويد علاج هانز وتحليله مباشرة وإنما عن طريق والديه وخاصة أباه، وكان الوالدان من أقرب المريدين إلى فرويد، وسبق لفرويد أن عالج الأم في مقتبل عمرها من حالة عصاب ألمّ بها، وكانت تلك هي المناسبة التي عرف فيها الوالدين، ولما رزقا بهانز إتفقا أن يتعهداه بتربية على مقتضى نظريات التحليل النفسي، ويبدو أن الحرية التي التزماها مع هانز أيقظت جنسيته مبكراً، ومن رأي فرويد أن النضج الجنسي الباكر قرين النضج العقلي، ونلتقي به عند الأطفال الموهوبين أكثر مما نتوقع. وتؤيد حالة هانز بشكل كامل تقريباً ما سبق لفرويد أن عرضه في كتابيه «تفسير الأحلام» و«نظرية الجنس» عن العلاقات الجنسية بالوالدين، وكان هانز من وجهة نظر التحليل النفسي صورة مصغرة لأوديب الذي رغب في تنحية أبيه عن طريقه، وكان يشكو من فوبيا الحيوانات، ويخاف إن خرج إلى الطريق العام فسيلتقي بالخيل وستقوم بعقره. وقد اضطلع الأب بتحليل ولده، وكان يكتب تقارير عنه منتظمة إبتداءً من سن الثالثة تقريباً، إنصياعاً لطلب فرويد الذي أبداه أكثر من مرة لتلاميذه ومريديه أن يسجلوا مشاهداتهم لسلوك الأطفال وتفسيرهم لها بحسب نظريات التحليل النفسي. ولما أُصيب هانز بالفوبيا أو الخواف أطلع الأب فرويد على تقاريره التي ظهر فيها أثر تعاليم فرويد وتأثره به، وكان الأب أليق الناس بعلاج إبنه في

هذه السن الباكرة - الرابعة أو أكثر بقليل - فقد اجتمعت فيه السلطتان ، سلطة الأب وسلطة الطبيب، وكان بالإضافة إلى شدة حرصه على العناية بابنه ملتزماً بمقتضيات التحليل النفسي وما ينصح به فرويد، ولهذا نجح في علاجه الذي خطط له فرويد.

وكانت بداية الفوبيا أن هانز كان يُكثر من الإمساك بقضيبه، وهدّدته أمه أنها ستحضر الطبيب ليقطعه إن لم يقلع عن ذلك، وأنه لو قطعه فلن يستطيع التبول. وظلّ تهديد الخصاء يعمل به لمدة عام ونصف، وكان فيها فريسة الحَصر أن سيفقد جزءاً حيوياً من جسمه، وكانت الحادثة التي فجرت الفوبيا خروجه في نزهة مع أمه فرأى حصاناً يقع ويضرب بأقدامه في كل اتجاه، وخلّف ذلك عنده انطباعاً شديداً بالخوف، معتقداً أن الحصان قد مات. ويشكّل الحصان في حياته رمزاً للأب، واستمدّ هذا الرمز من البيئة وحبه لأن يلعب مع رفاقه لعبة الخيل، وكان أبوه نفسه يلعبها معه. وشدّ حرصه على قضيبه بعد تهديده بالإخصاء انتباهه إلى الأعضاء التناسلية للحيوانات من حوله وأخصّها الخيل، ولاحظ أن للحيوانات الكبيرة قضيباً كبيراً يناسبها، وفكّر أن قضيب أبيه لا بد أن يكون كبيراً، وأن أمه لا بد لها قضيب كبير كذلك. ويلاحظ فرويد أن التعطّش للمعرفة يقترن بالاستطلاعية الجنسية. وكانت إستطلاعية هانز قد انتقلت إلى والديه، ونصح فرويد الأب أن يتكلم مع ولده بحرية أكثر، وأن يعلمه أن الإناث ليس لديهنّ قضيب ومنهن أمه. غير أن الأم حملت، وولدت بنتاً، وكان ذلك حدثاً عظيماً في حياة هانز، وكان يسأل الأب عن الكيفية التي يأتي بها الأولاد، فأجابه الأب، بالطريقة المعهودة، أنهم يأتون عن طريق طائر اللقلق الذي يستحضرهم حاملاً لهم بمنقاره، إلا أن التصاق هانز بأمه، وملابسات الولادة، والغيرة التي استحدثتها أن الأب كلما حضر من السفر أعد هانز عن سرير الأم، وإذا غاب نام الولد في سريرها، وتشوّقه لأن يرى قضيب أمه حتى وإن كان كقضيب أخته مكموشاً،كل ذلك حدا به أن يخمن أن الأب يكذب عليه، فعاقبه بأن كان يحكي له عن تخييلات له وأحلام، كان الأب

يناقشه فيها ويحلّلها ويفسرها له، واستشف منها أن الولد يحقد عليه لأنه اعتبره منافساً له على حب أمه، وكان رقاده في سريرها يستثير أحاسيسه الشبقية، واستحالَ خوفه من الإخصاء إلى خوف من الأب (الحصان يمكن أن يعقره أي يخصيه)، وفرويد يرجع هذا الخوف إلى الحصر الذي استشعره هانز، ولا يعتبر الفوبيا اضطراباً بذاته ولكنها مجموعة أعراض يعطيها إسم الهيستيريا الحصرية، لتشابه التنبيه السيكولوجي بين الفوبيا وبين الهيستيريا، فيما عدا نقطة واحدة هامة، هي أن اللبيدو الذي يتجرّد من المادة المولّدة للمرض عن طريق الكبت في هيستريا الحصر، لا يتحول إلى تعصيب بدني بل يظلّ طليقاً في صورة حصر. وتكثر هذه الهيستريا عند الأطفال، وهي أقل الاضطرابات العصابية حاجة إلى أن يكون لها استعداد تكويني، ومن ثم فهي أيسر الأعصبة حدوثاً، وتنزع أكثر إلى أن تكون فوبيا، فثمة جهد نفسي يعمل باستمرار على تقييد الحصر الطليق بالكفوف والتحريمات. وكان هانز يشكو عقدة الاستيلاء على الأم، وبدأ تهديد الخصاء يُحدث تأثيره فيه، وكان صريع الحصر الذي قوامه الخوف من أبيه والخوف عليه، والأول يرجع إلى شعوره المعادي لأبيه وكراهيته له كمنافس له على أمه والثاني يرجع إلى الصراع بين حبه له الذي يغالي في إظهاره من قبيل التعويض، وبين تلك العدوانية المضمرة والكراهية. ومع زيادة الحصر كان لا بد أن يكون له موضوع، وقد أسقطه على الأحصنة. وفي ضوء هذا التفسير إستطاع فرويد عن طريق الأب أن يفسّر لهانز الكثير من التخيلات التي كانت تأتيه، مثل تخيّله أن له أطفالاً هو نفسه، فقد أراد أن يعوض نفسه عن الخسارة التي لحقته بولادة أخته، وكان قديماً يلعب مع الأطفال لعبة الحصان، فلما انتقلت أسرته إلى مدينة أخرى لم يكن له أصحاب فتخيلهم، واتجه بكل مطالبه العاطفية إلى أمه، ولما استحال عليه أن ينام مع أمه بسبب حضور أبيه كانت قابليته للاستثارة الشبقية قد بدأت تعبر عن نفسها في التخيلات. ويبدو أنه نتيجة لولادة أخته ارتبطت عنده عملية الولادة بالتبرز،

وبذلك كان لديه الدافع لأن يكون له أطفاله وأن يُعنَى بهم. ومن تخييلاته أنه رأى أنه يتزوج أمه ويكون له منها أطفال، وأن أباه تزوّج جدته، أي أنه أفلح في استبعاده هذه المرة وتخلّص من حفزته العدوانية ضد أبيه، ووجد الحل لحفزته السادية الشبقية تجاه أمه، وكانت عقدته العدائية ضد أبيه تحجب عقدته الشهوية تجاه أمه، وشفي من الاثنين، وتخلّى عن إمساك قضيبه بيده، ولم يعد يبدي اشمئزازاً من كل ما يذكّره بالمخرجات أو بالتطلّع إلى الآخرين وهم يقضون حاجتهم الطبيعية، ولم يكن الحصر الذي عانى منه إلا نتيجة كبت النزعات العدوانية ضد الأب والنزعات السادية الشبقية ضد الأم. وقد أفلح التحليل مع هانز أن يضع مكان عملية الكبت التي هي عملية آلية باهظة - أن يضع عملية تحكم في الغرائز معتدلة وملائم. وفرويد يجعل لعملية التربية هذا الدور، فبدلاً من أن تكون عملية قمع للغرائز ينبغي أن تكون عملية تدريب على التحكم في الغرائز، وبذلك يمكن أن تكون التربية بهدف إعداد الطفل ليكون عضواً في مجتمع متحضر، وإنساناً نافعاً، بأقل ما يمكن من التضحية بإيجابيته، ولهذا يجعل فرويد فوبيا هانز نمطاً ونموذجاً للعصاب الطفلي الذي هو أصل الأعصبة عموماً.

والجدير بالذكر أن هانز قابل فرويد من بعد وهو في التاسعة عشرة من عمره (١٩٢٢)، وكان سليماً لا يشكو من أية إضطرابات أو كفوف، واجتاز مراهقته دون أن يُصاب منها بضرر، وواجه بنجاح محنة طلاق والديه، وكان يعيش وحده ولكنه كان على علاقة طيبة بهما معاً وإن كان شديد الأسف لافتراقه عن أخته التي كان متعلّقاً بها، وكان قد قرأ تحليل فرويد لحالته ولم يكن يذكر شيئاً مما قال عنه، الأمر الذي يدلّ على أن التحليل بالنسبة للأطفال لا يمنعهم من نسيان أحداث الطفولة، بل ونسيان أمر التحليل نفسه.

مراجع

- Fliess, R.: Phylogenetic Versus Ontogenetic Experience. Notes on a Passage of Dialogue Between Little Hans and his Father. (1956)

❖ ❖ ❖

– التحليل النفسي الجماعي...

- Group Psyhcoanalysis (E.);...
- Psychonalyse Collective (F.);...
- Gruppenpsychoanalyse (D.)...

طوّره تريجانت بارو rowBur سنة ١٩٢٥، ولويس ويندر، وبول شيلدر، وسلافسون، وأليكسندر وولف في الثلاثينات في الولايات المتحدة، وفولكيس في إنجلترا في الأربعينات، بغرض استخدام مبادىء التحليل النفسي الفردي في مجال فهم وعلاج المرضى النفسيين في جماعات. وكما يحدث مع المحلّل في جلسات العلاج الفردي، فإنه يظلّ سلبياً كذلك في جلسات العلاج الجماعي، غير أن الاختلاف بين الطريقتين الفردية والجماعية، أنه في الجماعية فإن ميكانيزم التحويل والمقاومة يكون لهما شكلان مختلفان، كما أنهما يكونان على شيء من التعقيد، فالمريض تتنامى به مشاعر تحولية تجاه المعالج وأعضاء الجماعة كذلك، فقد يدرك الجماعة كإحياء لأسرته وهو طفل، وتستيقظ فيه من ثم مشاعره الطفولية تجاه أفراد أسرته متمثلين في أفراد الجماعة، ويرى المعالج في دور الأب وأفراد الجماعة في أدوار الإخوة والأخوات، ولذلك فإن المحلّل عليه من وقت لآخر أن ينبّه إلى ظاهرة التحوّل هذه، وللمقاومة التي يستنهضها تمثّل المريض لأفراد أسرته في المحلل وأفراد الجماعة.

مراجع

- Slavson, S.R.: Analytic Group Psychotherapy. (1950)

❖ ❖ ❖

– «التحليل النفسي الوحشي»...

- «Wild Psychoanalysis» (E.);...
- «À Propos de la Psychoanalyse dite «Sauvage» » (F.);..
- «Über «wilde» Psychoanalyse» (D.)...

هذا المقال صدر لفرويد سنة ١٩١٠، يُنبّه فيه إلى أن العلم بالتحليل النفسي وأدبياته لا يكفي للمحلّل، وإلا كان مجرد قراءة المريض لكتب التحليل النفسي كافية لشفائه، وإنما المهم الممارسة التي أساسها العلم بطبيعة وديناميات الاضطرابات النفسية.

والمقصود بالوحشي في وصف التحليل النفسي أنه تحليل فيه عَجَلة، فبمجرد أن المحلّل يستمع من المريض على وصفٍ لحالته ولما يعاني من أعراض مرضية فإنه قد يتسرّع ويشخّص المرض دون رويَّة وإعمال فكر، ومن غير خبرة. وكانت هناك مرحلة من مراحل تاريخ التحليل النفسي، كان المظنون فيه أن مجرد كشف أسباب الحالة وإزالة جهل المريض بها يُحقق له الشفاء أو يضع قدميه على أولى درجاته. ولم يكن فرويد قد تبيّن له بعد أن توعية المريض بالأسباب من شأنها غالباً أن تزيد قلقه، وتحتدم به صراعاته، وتشتد آلامه. أو أن المقصود بهذا المصطلح هو نوع التحليل النفسي الذي يقوم به غير المؤهل له، أي الذي لم يتلقَّ التدريب الكافي على التحليل النفسي، ومن ثم فقد تشوب تفسيراته الأخطاء، إما من الناحية العلمية، وإما من جهة التطبيق التقني. أو أن المقصود بمصطلح «الوحشي» الفترة من تاريخ التحليل النفسي التي كان فرويد ما يزال يستخدم فيها طريقة التنفيس، والبوح بالذكريات الصادمة، والإيحاء من خلال التنويم، ولم يكن قد استقرّ تماماً على استخدام طريقة التداعي الحرّ هذا الاستخدام التقني الأمثل الذي كان لها من بعد. ومن كل المعاني السابقة نخلص إلى أن المقصود بالتحليل النفسي الوحشي أنه «التحليل المبتسر» أي غير الناضج - نقول ابتسر الرأي أي أبداه قبل نضجه، ونقول بَسَر، أي عجل وابتدأ قبل الأوان، والمحلّل الوحشي هو الهمجي غير المنضبط بمنهج، أو غير المتمرّس، أو هو المحلل المتعجل الذي لا يقوم تحليله على وضعية صحيحة للحالة التي هو بصددها، ولكنه قد ينتحل من علمه وموقفه مبرراً لتفسيرات غير مضبوطة، وتقنيات لم يفهم أسرارها وميكانيزماتها حق الفهم، وقد يغتر إذ يرى نفوذه على المريض، وقد يتحمل لنفسه سلطة عليه، أو يدعى لنفسه

علماً ليس له، وقد يكون سلوكه ذاك بحكم جهله، فيتربّص للمريض على أي زلّة لسان أو أية حركة قد يأتيها عفواً ليفسر ذلك على هواه، ويغصب ما يقوله المريض داخل قوالب محفوظة - من التفسيرات والأسماء العلمية، ويتشعّب به في متاهات من التعاليم والمظهرية العلمية.

وكانت مخاوف جماعة التحليل النفسي كبيرة من المحلّلين غير المتخصّصين في الطب، ممن يُطلق عليهم إسم المحلّلين العلمانيين Lay anlysts، وكثيراً ما يقصد بهذا المصطلح المحلّلين بالإسم فقط، ولكنهم رغم ثقافتهم التحليليّة لم يمارسوه فعلاً. وكثيراً ما كان أتباع فرويد يعترضون على امتهان هؤلاء المحلّلين العلمانيين للتحليل النفسي، بدعوى أن امتهان غير العلميين غير المؤهلين طبياً يحرم التحليل النفسي من الانتماء للعلوم الأكاديمية، ويبرّر رفض الجامعات في بداية حركة التحليل النفسي أن تعترف به كعلم من العلوم التي يمكن أن تكون لها المناهج وتخصّص لها الأقسام أو كراسي التدريس. ولم يشتهر من المحلّلين العلمانيين سوى النزر اليسير، ومنهم ميلاني كلاين، ولكن الغالبية تلقوا التثقيف والتدريب لمجرد الهواية، وكانت آراؤهم فيه من هذا المنطلق ويمكن تسميتها بالآراء الوحشية أو الحوشية بالأحرى كما نقول في العربية، لأنها كانت على هامش العلم ولم تكن علمية.

(أنظر أيضاً «التحليل العلماني»).

❖ ❖ ❖

– التحليل النفسي والطب النفسي...

- **Psychoanalysis and Psychiatry (E.);...**
- **Psychoanalyse et Psychiatrie (F.);...**
- **Psychoanalyse und Psychiatrie (D.)...**

يملك التحليل النفسي بتقنياته وكشوفه البشرية وسائل لا يملكها الطب النفسي، ويَقصُر الطب النفسي عن تفسير

الأعراض تفسيراً أوسع وأشمل، ويقنع بتشخيصها ويعجز عن التنبّؤ بسيرها تنبؤاً يقينياً، ولا يحفل بالنظر إلى المحتوى النفسي للاضطراب وتفسيره.

ويقع التحليل النفسي من الطب النفسي موقع علم الأنسجة من علم التشريح، فأحدهما يدرس الشكل الخارجي للأعضاء، في حين يدرس الآخر الأنسجة والخلايا التي تتكون منها هذه الأعضاء. ويذهب فرويد إلى أن العلمين يتكاملان ولا يتعارضان، وأنه سيأتي اليوم الذي يرى فيه الطب النفسي بمعناه العلمي أنه لن ينهض بدون معرفة مستفيضة بالعمليات اللاشعورية العميقة للحياة النفسية. ولقد أثبت التحليل نجاحه في مجال الاضطرابات العصابية والنفسية، وسيظلّ وسيلة لها ما يبرّرها وأداة لا يمكن الاستغناء عنها في البحث العلمي.

ويقوم التعارض بين التحليل النفسي وبين الطب النفسي في الأساس الذي ينهض عليه كل منهما، ويضفي التحليل النفسي أهمية كبرى لوظيفة تأويل الصراع اللاشعوري وتحليل ميكانيزم الطرح أو التحويل كمرحلة لحل الصراع.

والعلاج التحليلي هو شكل من العلاج النفسي إلا أنه ينفرد بأنه يستند إلى المبادىء النظرية والتقنية للتحليل النفسي، وهي جميعاًتشكّل علماً قائماً بذاته يجعل من التحليل النفسي مدرسة من المدارس الكبرى في علم النفس والعلاج النفسي، لها مؤلفاتها وسندتها ومعاهدها ودورياتها العلمية ومفاهيمها وتطبيقاتها التي تتناول كل مجالات المعرفة.

مراجع

- Freud: Introductouy Lectures on Psychoanalysis. (1916)

: An Outline of Psychoanalysis. (1940)

❖ ❖ ❖

- التحليل النفسي والنظرة العامة للكون...

- **Psychoanalysis and Weltanschuung (E.);...**
- **Psychoanalyse et Weltanschuung (F.);...**
- **Psychoanalyse und Weltanschuung (D.)...**

مصطلح Weltanschuung ألماني ويخصّ الثقافة الألمانية دون سواها، ومن الصعب ترجمته، ولذلك تستخدمه القواميس الأجنبية كما هو، ويعني بشكل عام النظرة للكون، بمعنى أن تكون لك فلسفة عامة للحياة وللوجود قاطبة، تشمل كل شيء فيه وعلاقاتك به، وتصدر عنها في سلوكك تجاه الأحداث.

وفرويد يستخدم هذا المصطلح كمفهوم ذهني تندرج تحته كل أمور الحياة، بحيث لا توجد شاردة ولا واردة إلا وله فيها رأي ويعرض لها حلاً. وهذه النظرة الكلية مثَل أعلى يصبو إليه كل إنسان وتهفو إليه الإنسانية دائماً. ومن خلال هذا المنظور العام للكون أو هذا الإطار المرجعي العام يستطيع كل فرد أن يفهم كل شيء، ويتعامل بطلاقة مع كل شيء. فهل التحليل النفسي من ذلك؟

ويجيب فرويد أن التحليل النفسي باعتباره علماً متخصصاً وفرعاً من فروع علم النفس - هو علم نفس الأعماق أو علم نفس اللاشعور - لا يمكن أن تكون له هذه النظرة الخاصة للكون، وليست له هذه الفلسفة العامة، ونظرته للكون هي النظرة العلمية، أي التي يراها العلم للكون، إلا أنه من ناحية أخرى لا يأخذ بمبدأ التفسير الموحّد للكون، وهو ليس مثله يقتصر على نوع المعرفة المحدّدة بوقتها. وإذا كان العلم لا يصدر إلا عن معالجة فكرية لملاحظات يجري عليها البحث للتحقق من صدقها، ولا يأخذ بما يسمّى الوحي ولا الحدس ولا الإلهام، فكذلك التحليل النفسي، غير أنه يتميّز على بقية البحوث العلمية أنه وحده المخول بالكلام عن النفس الإنسانية باسم النظرة العلمية الكونية، لأن النفس الإنسانية مكوّن رئيسي من هذا الكون، ولولا التحليل النفسي لما أتيح للعلم أن

يدخل مجال البحث في النفس الإنسانية، ولكان العلم أبتر وناقصاً لو خلا من مثل هذه الدراسة الإنسانية. ولقد أدخلنا علم النفس في دراسة الوظائف العقلية والانفعالية للإنسان وللحيوان، إلا أن الوضع العام للعلم لم يتغير بهذه الدراسات، والتحليل النفسي هو الذي أمدّنا بمناهج ومصادر جديدة للمعرفة تأدّت إلى كثير من الكشوف في مجال الصحة والمرض والإبداع الفني والفلسفي والديني، وبَحَث في أصول ذلك من منطلقات تكاد تقرّب من منطلقات الدين والفن والفلسفة، ومع ذلك فالتحليل النفسي ليس من أيهم، لأن التصديق في الدين والفن بالعاطفة، وهو ليس كذلك في التحليل النفسي، والتصديق في الفلسفة بالكليات والتحليل النفسي يبحث في الجزئيات والكليات، إلا أن الإنسان في مجال الدين والفن والفلسفة يسعى لأهداف لا يراها التحليل النفس، والتصديق في الفلسفة بالكليات والتحليل النفسي يبحث في الجزئيات والكليات، إلا أن الإنسان في مجال الدين والفن والفلسفة يسعى لأهداف لا يراها التحليل النفسي لنفسه، فالتحليل النفسي لا يرى أنه بالفن يكون الخلاص، ولا بالعقل، ولا بالدين، وإنما ينشد حياة سوية وفهماً صحيحاً للإنسان في هذه الدنيا، ويباري الدين حينما ينزع الخوف من الإنسان ويرضي حاجته إلى المعرفة والبحث والاستطلاع، ويعزّيه فيما يحيق به من مصائب، ولكنه لا يضمن له كالدين سعادة أبدية، ويتعرّض لأصل الخلق كالدين ولكنه لا يعطي صورة للخلق كالتي يزوّده بها الدين، وإنما يفسّر هذه الصورة الدينية، ويذهب إلى أنها صورة إنسانية، فالإنسان جعل أصل الخلق كائن يشبه الإنسان ولكنه أكثر قوة وحكمة وأشدّ بطشاً، وأنه بالاختصار إنسان مثالي أسمى، وحتى عندما وحّد الآلهة فإنه جعل هذا الإله الإنسان واحداً، وذَكَراً. ويقول فرويد - أو التحليل النفسي - إن هذا الإله الواحد هو صورة للأب وقد كساه الجلال والمهابة في عين الطفل الصغير، أي الإنسان المتديّن الذي تصوّر الكون على غرار تصوّره لخلقه هو. والأب أو الوظيفة الوالدية هو من كان يتعهد الطفل بالحماية يشعر في كنفه بالأمان،

وحتى الراشد الكبير الذي يشعر أنه أقوى من الطفل ويشعر أكثر منه بالطمأنينة، لا يزال يشعر في قرارة نفسه أنه عاجز وقليل الحيلة كما كان طفلاً، وأنه في صلته بالعالم لا يزال طفلاً، ولا يستطيع لذلك أن يتخلّى عن هذه الحماية.

وحتى الأخلاق هي صورة للتعاليم الوالدية للطفل، والمحظورات والإلتزامات هي التي فرضها الأبوان وبقيت في نفس الطفل على صورة الضمير الخُلقي. وكل ذلك اكتشفه التحليل النفسي. وحتى في عصور الأحيائية التي كان العالم فيها يزخر بأرواح على هذه الناس ونسميهم أحيانا الجان، كان يلجأ إلى الآلهة والأرواح والجان ليستمطر السماء مثلاً، ويؤدّي طقوساً يحاكي بها نزول المطر، واكتشف التحليل النفسي أن السحر كان أول طلائع الفنون والصنائع، وما تزال فلسفاتنا المعاصرة تحتفظ من أباطيل الماضي بسمات جوهرية من الأساليب الإحيائية للتفكير، كالغلو في تقدير سحر الإلفاظ، والاعتقاد بأن الأفكار تقود العالم، وما تزال هناك الكثير من القواعد الأخلاقية منذ عصر الأحيائية.

وللتحليل النفسي فضل اكتشاف أول صورة للدين وهي الطوطمية، وأول صورة للأخلاق وهي التابو، وفي كتاب فرويد «الطوطم والتابو» يذهب إلى إرجاع هذا التحول في المدرج الديني إلى انقلاب في الصلات في نطاق الأسرة الإنسانية. غير أن أهم إسهامات التحليل النفسي في تكوين النظرة الكونية هي معالجته للدين كمسألة إنسانية يخضعها للتمحيص والنقد. ومع كل ما سبق فإن الرأي عند فرويد فيما يخص العلاقة بين التحليل النفسي ومسألة النظرة الكونية أن التحليل النفسي لا يستطيع أن يبدع لنفسه نظره إلى الكون تخصّه دون سواه، لأنه بصريح العبارة لا يحتاجها، لأنه فرع من العلم. وفرويد دائماً يلحّ على هذه المقولة: أن التحليل النفسي فرع من العلم. وكانت هذه توجهاته من أول الأمر، وله مخطط إجمالي لعلم نفس علمي ضمّنه كتابه «ولادة التحليل النفسي» سنة ١٨٩٥ وإلا أننا نرى رغم ذلك أن فرويد كان يرى في التحليل النفسي رأياً هو نفسه رأي الكثيرين من أمثال برينتانو، فهؤلاء كانوا يرون أن علم النفس هو علم العلوم،

والعلم المؤسّس للعلوم، وأعتقد أن هذا نفسه هو رأي فرويد رغم كل ما يقوله، فالتحليل النفسي عنده - وعند مدرسة التحليل النفسي المعاصرة - هو علم العلوم والعلم المؤسّس.

مراجع

- Freud: New Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1932)

❖ ❖ ❖

- التخيلات...

- **Phantasies (E.);...**
- **Phantasmes (F.);...**
- **Phantasien (D.)....**

تحملنا الضرورة على أن نراعي الواقع، وأن نوائم بين سلوكنا ومبدأ الواقع، وأن نتنازل عن موضوعات وأهداف مختلفة تتحقق بها رغباتنا بما فيها الرغبة الجنسية، ويشق علينا التنازل عنها ما لم نعوضها بنشاط نفسي تتحقق به هذه الرغبات، ولا يتعرّض لاختبار الواقع. والتخيل هو هذا النشاط الذي نتحرر به من إسار العالم الخارجي، وبه تتحقق للإنسان مطالب اللذة التي يسعى لها شِقّه الحيواني، ومطالب الحكمة التي هي مراد شِقّه الإنساني، وأظهر مثال منتجات التخيل هو أحلام اليقظة، وهي ذرائع خيالية لإشباع رغبات شهوية، أو رغبات في المطموح والعظمة، أو رغبات عدوانية، ولا تكون بالضرورة شعورية فثمة أحلام يقظة لاشعورية. وقد تكون أحلام اليقظة اللاشعورية مصدراً للأمراض العصابية كما قد تكون مصدراً لأحلام النوم.

ويُطلق فرويد على أحلام اليقظة أنها عدول التخيلات، وينسب لإبداعات الفنانين أنها تخيلات أو أحلام يقظة، ويرهُص للأعراض الهيستيرية بهذه التخيلات أو أحلام اليقظة، ويصفها بأنها النُّذُر التي تسبقها، فالأعراض الهيستيرية لا ترتبط بذكريات حقيقية، بل بتخيلات تشيّد على أساس هذه الذكريات، وشيوع تخيلات اليقظة الشعورية يقابله كذلك توفّر العديد من

التخيلات اللاشعورية، وتتأتى لا شعوريتها بسبب محتواها ولانبعاثها من مادة مكبوتة.

وبعض أحلام الليل تخيلات كذلك، ونعرف أنها تخيلات بسبب جودة سبكها وخلوّها من الثغرات وشدة وضوحها، الأمر الذي يجزم بأنها لا تخضع لميكانيزمات التكثيف والنقل التي تخضع لها الأحلام، ويحق لذلك أن يُطلق عليها إسم الأحلام التخيلية، وأن توصف بأنها تخيلات أثناء النوم، وتشبه الأحلام من حيث أنها تحقيق لرغبات، وتنهض على خبرات من الطفولة، وتنتفع من تراخي الرقابة، وتمتزج فيها المادة التي تدخل في بنائها ويعاد ترتيبها وصياغتها من خلال المراجعة الثانوية، ومنها أحلام لا تعدو أن تكون تكراراً لتخيل طرأ أثناء النهار، وربما كان تخيلاً لاشعورياً، والأكثر شيوعاً أن التخيل النهاري لا يكوّن سوى جزء من الحلم، أو أن الحلم لا ينفذ إليه سوى جزء من التخيل، وهو الجزء الذي يبدو أكثر سلاسة وترابطاً من سائر أجزاء الحلم. وأما التخيل الليلي فهو بلا شك لاشعوري، ويندس في نسيج الحلم، ويسري عليه التكثيف، ويُطبع فوق تخيلات أخرى، إلا أن هناك حالات متدرجة بين التخيلات التي تكون غير محرّفة وبين الطرف النقيض المحرّف، وتتوقف وضعيتها على ما تتضمّنه من محتوى يوافق مقتضيات الرقابة والحاجة إلى التكثيف أو لا يوافقها.

وفي حالة تكوين الأعراض العصابية ينكص اللبيدو مع الحرمان إلى ما كان قد سبق له أن تجاوزه من موضوعات واتجاهات لم يهجرها بصورة مطلقة وإنما ترك بها مقادير من طاقته، وتبقى هذه الموضوعات والاتجاهات بفضل ذلك محفوظ وعلى درجة من الشدة في شكل تخيلات.

وكانت هذه التخيلات تنعم بقدر من التسامح، ولم يدب الصراع بينها وبين الأنا برغم التعارض بينهما، لأن الشرط الكمي لم يكن متوافراً في اللبيدو العالق بها، وأما وقد عاد إليها اللبيدو من جديد نتيجة الارتداد فقد توفر هذا الشرط وزادت شحنتها من الطاقة اللبيدية، فيزيد إلحاحها على الأنا وتجهد أن تظهر عليه فيتحتم الصراع بينها وبينه، وهي

وإن كانت شعورية أو لا شعورية من قبل إلا أنها الآن أصبح يتوجب أن يمارس عليها الأنا الكبت، كما أنها تتعرّض لجذب شديد من اللاشعور.

ونكوص اللبيدو إلى التخيلات يؤدّي إلى تكوين الأعراض، وهي مرحلة يطلق عليها يونج إسم الانطواء، ولكن الانطواء في عُرف فرويد له دلالة أخرى ويعني تراكم اللبيدو على التخيلات التي كانت منباحة من قبل، والشخص المنطوي شخص لم يصبه العُصاب بعد، ولكنه في حالة عدم استقرار، فإن لم يجد منصرفات لطاقة اللبيدو المكبوتة ظهرت عليه أعراض المرض.

والفنان شخص لديه أيضاً الاستعداد الانطوائي، وليس بينه وبين الانطواء مسافة بعيدة، ويصبو في حياته للقوة والطموح والشهرة ومحبة النساء وتنقصه الوسائل لتلك الغايات، ولذلك يتنكب الواقع كأي شخص لم تشبع رغباته، وينصرف بكل طاقته اللبيدية إلى الرغبات التي تخلقها تخيلاته، وقد يفضي به ذلك إلى المرض النفسي وتتعطّل قدراته جزئياً بسببه، والغالب أن استعداده يميل به أكثر إلى الإعلاء، وتحول مرونته بينه وأن يمارس الكبت الذي يسبّب الصراع ولو جزئياً، وتتيح له موهبته الخاصة أن يُفرغ على أحلام يقظته ما يجرّدها من طابعها الشخصي ويجعلها مصدراً للذة والإمتاع، ويعدّل فيها بحيث يستر ما علّق بأصولها من آثار للحرمان والكبت والصراع والألم، وعندما ينجح في ذلك فإنه يتيح للآخرين بتخيلاته مصادر للعزاء ومنابع للذة اللاشعورية، وبذلك ينال تقديرهم، ويحقّق عن طريق خياله ما لم يوجد إلا في خياله: التكريم والقوة ومحبة النساء.

وقد ثبت من التحليل النفسي أن خبرات الطفولة التي يتذكرها المريض والتي يتثبت عندها اللبيدو وتصاغ منها الأعراض، ليست صادقة على الدوام، ويجتمع فيها الحق والباطل، فطوراً هي خبرات وقعت فعلاً، وطوراً هي تخيلات، إلا أنها رغم كونها تخيلات لا تقل أهمية عن الخبرات الواقعية، فالمريض هو الذي يتصوّر هذه التخيلات، وهي جزء من واقعه النفسي، والواقع النفسي له الغلبة

على الواقع المادي في الإصابة بالأمراض النفسية.

ومن بين الخبرات التي نلتقي به في طفولة كل عصابي أحداث لها دلالة خاصة، ومنها اطّلاع الطفل على الجماع بين الأبوين، وأن يقوم شخص كبير بغوايته، وتهديده بالإخصاء، ومن رأي فرويد أن هذه الأحداث ليست بدون أساس من الواقع، وقد يكون الطفل شاهد أبويه يتواقعان فعلاً ولم يفهم إلا في المراهقة معنى ذلك، وقد يصف من بعد ذكريات ما شهد بالتفصيل ويحكي عن المواقعة كأنها تجري من الخلف، وهذا تخيل لا شك فيه سببه مشاهدة السفاد عند الطيور والحيوانات، وأكثر التخيلات غرابة أن يدّعى المريض أنه يذكر أنه شاهد المواقعة بين أبويه وهو جنين في بطن أمه.

والإغواء أَولى بالاهتمام من مشهد المواقعة بين الأبوين، لأنه قد يكون من الواقع وليس متخيّلاً، والأطفال أدعى لإغواء الأطفال من سنهم، وقد تتخيّل البنت أن إغواءها كان على يد أبيها.

وخبرات الطفولة التي مدارها ذاك المدار عنصر ضروري للمرض النفسي حتى وإن كانت مجرّد تخيلات، ومرد هذه التخيلات إن كانت كذلك هو الدافع الغريزي إليها، واحتواؤها على المحتوى والمضمون نفسه عند كل المرضى دليل على أنها تخيلات بدائية، بمعنى أنها ميراث يعود إلى نشأة النوع الإنساني وتطوّره، وكلما أعوزت الفرد خبراته الخاصة إستمدها من خبرات العصور الأولى، ومن المحتمل أن تلك الخبرات التي مدارها الإغواء في الطفولة والتهيّج الجنسي لدى مشاهدة المواقعة بين الأبوين والتهديد بالإخصاء أو الخصاء نفسه ليست سوى تخيلات مستمدّة من وقائع من المراحل البدائية للأسرة الإنسانية، وعندما يعوز المريض أن يسدّ ما في خبراته من ثغرات فإنه يلجأ إلى خبرات طفولته أو بالأحرى طفولة الإنسانية ويستوحي منها ربما ما كان قد حدث في الماضي السحيق، ومن ثم كان لسيكولوجية التخيلات في الأمراض النفسية أن تزيدنا علماً بالمراحل البدائية للتطوّر الإنساني.

❖ ❖ ❖

– التخيلات الأوّلية...

- **Primal Phantasies (E.);...**
- **Fantasmes Originaires (F.);...**
- **Urphantasien (D.)...**

(أنظر التخيلات)

❖ ❖ ❖

– «التخيلات الهيستيرية وعلاقتها بازدواج الجنسية»...

- **«Hysterial Phantasies and their Relation to Bisexuality» (E.);...**
- **«Phantasmes Hystériques et Leur Relation de Bisexualité» (F.);...**
- **«Hysterische Phantasien und ihre Beziehung zur Bisexualität» (D.)...**

يُبيِّن فرويد في هذا المقال الذي نشره سنة ١٩٠٨ تكرار النشاط التخيلي وأهميته عند الهيستيري، ويؤكد فيه على الصلة بين دواعي الأعراض العصابية والتخيلات التي لا يخلو منها أي عصاب، ويضرب المثل للتخيلات عموماً بهواجس الشباب، وتكثر عند الإناث والذكور على حد سواء وينبّه إلى طبيعتها الشبقية في الإناث، بينما هي في الذكور ذات طبيعة شبقية بالإضافة إلى توجهاتها الطموحة، ومع ذلك فلا نستطيع أن ندرج الشبقية فيها في مكانة ثانوية، فالواقع أن الشبقية فيها لها الأولوية على الطموح، ولم يكن الطموح أصلاً إلا لإرضاء الجنس الآخر. وهذه التخيلات عند الشباب هي من قبيل إشباع رغبات مصدرها المعاناة والحرمان، وهي لذلك تُسمَّى بحق أحلام يقظة. وليست التخيلات الهيستيرية إلا من نوع أحلام اليقظة، وهي قد توجد شعورية أو لاشعورية، وعندما تصبح الشعورية لاشعورية فذلك لأن نشأتها كانت مرضية أصلاً، وكونها مرضية يعني أنها تظهر في شكل نوبات وأعراض. والتخيلات اللاشعورية إما أنها كانت من البداية لاشعورية وتكوّنت في اللاشعور، أو أنها غالباً كانت شعورية – أي كانت أحلام يقظة – ثم تنوسيت عمداً وصارت جزءاً

من اللاشعور من خلال الكبت، وظلّت على محتواها أو أنها تغيّرت. وترتبط التخيلات اللاشعورية بحياة صاحبها الجنسية، وخاصة فيما يخصّ خبراته الجنسية خلال مرحلة الاستمناء، ويتضمن فعل الاستمناء جانبين، الأول التخيّل والاستثارة بالتخيلات، والثاني تنفيذ فعل الاستمناء. وكان الاستمناء في بدايته فعلاً ذاتياً قاصراً على المنطقة الشبقية، ثم ارتبط بموضوع حب، فإذا امتنعت التخيلات طابعاً لاشعورياً، ودوام عدم الإشباع الجنسي يبقى التخيلات اللاشعورية نشطة وتتحوّل محتوياتها إلى أعراض مرضية. إذن فالتخيلات اللاشعورية هي خطوة نحو تكوين الأعراض الهيستيري، وليست الأعراض تخيلات لاشعورية صارت كذلك بالتحويل وارتبطت بها بالمشابهة الحركية. وييسر التحليل النفسي إثبات أن طبيعة التخيلات من طبيعية الأعراض. وإمرار التخيلات من اللاشعور إلى الشعور. وليست هذيانات الهذائي إلا تخيلات أصبحت شعورية وانطبعت بالطابع السادي الماسوشي. ويخرج الهيستيري تخيلاته في شكلٍ كلامي، وقد يحققها ويرتكب إعتداءات جنسية، وقد يتمادى ويقتل. ويثبت التحليل أن كل ما يقوله أو يفعله العصابي صادر عن تخيلاته اللاشعورية، وكل أعراضه كذلك. وليس من السهل إدراك العلاقة بين الأعراض والتخيلات، لارتباط الأعراض عادة بالعديد منها. ويلفت النظر أن الأعراض تكون دائماً توافقاً بين عاطفتين أو دافعين كلاهما يعارض الآخر، وأن من الممكن أن تكون بعض الدوافع غير جنسية، إلا أنه دائماً هناك أيضاً الدوافع الجنسية وهي أهم الدوافع وأقواها، ومن ذلك أن تكون بعض الدوافع ذكورية، وبعضها متعارضة لبيدياً، ووجود مثل هذه التخيلات المزدوجة هو برهان على صحة إفتراض وجود الجنسية المزدوجة، وأثبت التحليل النفسي أن المستمني يصدر في استمنائه عن هذه الجنسية المزدوجة، وأنه يعيش بتخيلاته الموقف الاستمنائي باعتباره ذكراً وأنثى معاً. ويظلّ المحلّل في الموقف التحليلي مستعداً لظهور المعنى المزدوج الجنسية للأعراض.

❖ ❖ ❖

– التداعي الحر...

- Free Association (E.);...
- Libre Association (F.);...
- Freie Assoziation (D.).

بدأ تاريخ التحليل النفسي باكتشاف فرويد لطريقة التداعي الحر، ومن خلال هذه الطريقة إستطاع فرويد أن ينفذ إلى عالم اللاشعور وأن يكتشف ما كان به اسمه كمؤسّس لهذا الفرع من فروع علم النفس والطب النفسي. وتعتبر هذه الطريقة أحد الإنجازين الكبيرين اللذين توّج بهما فرويد حياته العلمية، والإنجاز الثاني هو تحليله لنفسه الذي من خلاله استطاع أن يعرف الكثير عن حياة الأطفال الجنسية. وأن يقول بعقدة أوديب.

والواقع أن اكتشاف فرويد للتداعي الحر لا يمكن تحديد تاريخه بالضبط، وكل ما يمكن الجزم به في ذلك أن نقول إنه حدث بين سنتي ١٨٩٢ و١٨٩٥ عندما تبلور تماماً وتحرّر من العوائق القديمة من أمثال التنويم والإيحاء والضغط على المريض واستجوابه. ومع ذلك فقد كانت هناك مراحل مرّ بها هذا الاكتشاف. وفي كتاب «دراسات في الهيستيريا» الذي شارك فيه بروير هناك حالتان تنتميان إلى سنة ١٨٩٢ وتختلفان عن حالة فراوا إيمي التي كان يعالجها منذ ثلاث سنوات. وكانت لفرويد خبرة بطريقة التنفيس في تلك السنوات، غير أن الكثير من المرضى لم يكن من المستطاع تنويمهم ومن ثم اعتبروا غير قابلين للعلاج بالتنفيس، وذلك سبب من الأسباب التي جعلت فرويد يبحث عن طريقة للعلاج لا تعتمد على التنويم وكان قد استنتج من تعامله مع حالة فراو إيمي أنه لا بدّ لكي تتحسّن حالة المريض أن تكون العلاقة بين المعالج والمريض علاقة حميمة، ففي يوم من الأيام وأثناء العلاج ألقت بنفسها عليه وطوّقته بذراعيها، فعرف أن العلاقة بين المريض والمعالج فيها أساس شهوي، سواء كان ذلك ظاهراً أو مستوراً، ولقد تعلم من ذلك فيما بعد أن ظاهرة تحول عواطف المريض إلى المعالج هي دليل على الأصل الجنسي للعصاب. وكانت حالة إليزابيث هي أول حالة يستغنى فيها عن التنويم

ويستخدم التركيز الذي كان يقول به بيرنهايم. وكان بيرنهايم قد لاحظ أن المريض الذي يعالجه بالإيحاء من خلال التنويم ينسى في حالة اليقظة ما جرى به لسانه من ذكريات أثناء التنويم، وكان على بيرنهايم أن يضغط على المريض ويطلب إليه أن يركز ليتذكر في اليقظة ما تذكره في التنويم. واستخدم فرويد طريقة التركيز Concentration method مع السيدة إليزابيث طالباً إليها أن تحصر تفكيرها في حياتها السابقة لتتذكر، وكانت النتيجة مُرضية له، وأطلق على طريقته حتى الآن رسم التحليل النفسي Psychical analysis، وتتلخص الطريقة في أن يرقد المريض ويُغمض عينيه، ويطلب المحلّل منه أن يركز انتباهه على عَرَض من الأعراض ويتذكر أي شيء حوله يمكن أن يلقي الضوء على مصدره، فإذا لم تكن هناك نتيجة فإن فرويد يساعد المريض بأن يضغط على جبهته بيده ويؤكد عليه أنه سيتذكر حتماً شيئاً، وقد يحدث أن لا يتذكر المريض شيئاً مع ذلك، فيعاود فرويد الكرة، وربما في المحاولة الرابعة يتذكر، وهذا ما حدث مع السيدة إليزابيث، وعلّقت هي نفسها على تذكرها بأنها كانت ستقول له ذلك من المرة الأولى ولكنها راجعت نفسها أنه ربما ليس هذا ما يريده منها، وقد جعله قولها هذا يتأكد أن طريقته سليمة، وجعله يطلب منها أيضاً أن تتجاهل حسابها لما يريد أو ما لا يريد، شارحاً أن ذلك من عمل الرقيب على أفكارها، وينبغي أن تتجاهله وأن تقول كل ما يعن لها مهما بدا أنه غير مناسب، أو ليس في محله، أو غير مهم، أو شيء مكرّر، وكانت هذه الخطوة هي الأولى نحو بلورة طريقة التداعي الحر. وكان فرويد ما يزال على الطريقة القديمة يطلب ويستفسر ويستحث، وقد لامته السيدة إليزابيث أنه يقاطعها فوافقها، وكانت هذه هي الخطوة الثانية في بلورة طريقة التداعي الحر. ورغم أنه ظلّ يمارس التنويم أحياناً، والاستفسار والحث والضغط على الجبهة حتى سنة ١٨٩٦، إلا أنه كلما زادت ثقته في طريقته وازداد خبرة قلّ لجوؤه إلى هذه التقنيات. وحتى إغماض العينين لم يعد يجد لزوماً له، والشيء الوحيد المتبقي منذ طريقة التنويم كان الرقاد على الأريكة. وكان

يبدأ الجلسة بتنبيه المريض إلى عَرَض من الأعراض. وعندما يكون بصدد تفسير أحد الأحلام كان ينبّه إلى كل نقطة في الحلم ويطلب منه أن يتذكر أي شيء بخصوصها. وقد بعث ببحثين أحدهما بالفرنسية والآخر بالألمانية بخصوص طريقته الجديدة وذكر فيهما الإسم الجديد «التحليل النفسي Psychanalyse (فرنسي) أو Psychoanalyse (ألماني)»، وأرسل يشرح الطريقة سنة ١٨٩٧ لصديقه فليس، ثم بدأ يتحدث فيها بثقة كاملة ابتداءً من سنة ١٨٩٨، وهي السنة التي يمكن أن نقول عن يقين إن الطريقة اكتملت فيها.

وهناك إجماع على أن فرويد قد أفاد بالتأكيد من منهج التداعي الذي سبق به هيلمهولتس ومدرسته، كما أنه أفاد من تعاليم الناقد لودفيج بورنه (١٨٢٣) الذي كتب ناصحاً الراغبين في التأليف القصصي أن يتبعوا طريقة التداعي الحر. وكان فرويد قد قرأ بورنه وأحبه جداً، ويبدو واضحاً أنه أخذ بنصيحته وطبّقها في مجال التحليل النفسي.

مراجع

- Jones, E.: Free Associations.
(1959)

❖ ❖ ❖

– التسامي...

- **Sublmation (E.; F.);...**
- **Sublimierung (D.)...**

أدخل فرويد مصطلح التسامي إلى أدبيات التحليل النفسي، ويكاد لا يخلو منه مصنّف من مصنفاته، ويستند إليه كي يوضح به على المستويين الاقتصادي والدينامي بعض أنواع الأنشطة التي ليست لها طبيعة جنسية ولا تستهدف غاية جنسية صريحة.

والتسامي عملية قد نأتيها شعورياً وعن إرادة، وغالباً ما تتم لاشعورياً، وتقوم على تغيير الموضوع بالنسبة للغريزة، وتحويل الطاقة المتصلة بالرغبات والدوافع

الممنوعة – كالرغبات العدوانية أو الجنسية المحرّمة – إلى توجهات إجتماعية وثقافية وأخلاقية وفنية وأدبية وفكرية سامية ونافعة، مثل تحويل الرغبة في المقاتلة والمغالبة إلى تحدٍّ للصعوبات في ميادين العلم والرياضة. ويرى فرويد في التراث الإنساني الزاخر بالإكتشافات والبحوث والاختراعات والفنون صوراً من التسامي بالغريزة الجنسية. وللمراحل التي يمر بها الإنسان في ترقّيه الجنسي أنواع من التسامي تختص بها، فالمحبة والصداقة التي تشاهد عند المراهقين خصوصاً شكلان من التسامي بالجنسية المثلية التي هي أظهر ما يمكن أن يكون من انحراف للغريزة في سن المراهقة. والتسامي في كل مرحلة يُساعد على الترقّي السوي والانتقال إلى المرحلة التالية بأقل تثبيت على المرحلة السابقة، وهو من العمليات الواقية من المرض النفسي الذي قد يدفع إليه الحرمان، ومن أكبر العمليات الدفاعية نجاحاً نتيجة ممارسة الكبت بطريقة ناجحة، ويتم فيها تحوّل الطاقة وتغيير الأهداف دون اللجوء إلى ابتعاث شحنات مضادة، ومن شأن ذلك أن يسمح للفرد أن يصرف طاقته دون أن يحول شيء بينها وبين التصريف، فلا يُصاب بالمرض النفسي، وتتحصل له السعادة بالتصريف الراقي المَرْضيّ عنه إجتماعياً والذي قد يتحصّل للفرد به اعتراف اجتماعي ما، وتقدير وإعزاز في مجال من المجالات الثقافية أو الرياضية أو العلمية، فمثلاً غريزة مطالعة العري قد تتحول عند التسامي به إلى تذوّق للتصوير واتجاه فني لرسم الأجسام العارية، وكذلك غريزة السيطرة يمكن التسامي بها في اتجاه البحث وتحصل المعارف.

ويُطلق فرويد إسم التسامي على الغريزة بمقدار تحوّلها إلى هدف جديد غير جنسي، أو غير عدواني، حيث تنصبّ على موضوعات لها قيمتها الاجتماعية أو الفكرية. وتنصرف الطاقة الغريزية بكميات ضخمة في خدمة الهدف الاجتماعي بقدر ما يتوافر لها من إمكانية إزاحة هدفها من موضوع إلى آخر، بدون أن تفقد إندفاعها الأساسي، ويُطلَق على القدرة على تغيير الهدف الجنسي أو العدواني الأصلي بهدف آخر غير جنسي

أو غير عدواني ولكنه يمت نفسياً بصلة إليه إسم التسامي. ومع تقديم فرويد لفكرة النرجسية، ومع آخر نظرية له في الجهاز النفسي، كان طرحه لفكرة تحويل النشاط الغريزي إلى نشاط متسام عن طريق مرحلة متوسطة، فيتم سحب اللبيدو أولاً إلى الأنا، مما يمكّن من تجريد الموضوع الأول من الشحنة الغريزية، ثم يوجّه الأنا اللبيدو إلى موضوع آخر ليست له طبيعة غريزية. ويتحدّث فرويد عن لبيدو الأنا باعتباره شحنة طاقوية متسامية أي مجرّدة من الجنسية، يمكن أن تتحقق بها أهداف الإيروس في إقامة الصلات واستحداث التوحيد وإنشاء تركيبات أكبر وأرقى، والثقافة من ذلك. ويرتبط التسامي بعملية التعيين في علاقة إيجابية، ويساعد التعيين في إنضاج الأنا عند الطفل ليكون أقدر على مواجهة الدفعات الغريزية، ويتكوّن به أنا أعلى في استطاعته التأثير على تحويل الدفعات الغريزية وكفّها، فينجم عنها شحنات مستديمة قوة دافعة موصولة تطلب موضوعات تتعلّق بها، ومن أمثال مشاعر العطف والمحبة التي مصدرها الحاجات الجنسية التي لم يتم إشباعها.

ويفيد التسامي في العلاج التحليلي، وهو قوة محرّكة للتحليل، يبثها المحلّل في المريض منذ البداية وعندما يحلّ منه محل الأنا الأعلى، فيعينه على التغلّب على مقاوماته ويكشف عن دوافعه اللاشعورية، ويساعده على تصريفها في نواح إيجابية، ويعينه على تجاوز إحباطاته.

وفي كتابه «ثلاثة مباحث في الجنس» يردّ فرويد القدرة الفنية لرسم الأجسام العارية إلى غريزة مطالعة العري والتسامي بها في اتجاه فن التصوير، كما يقول عن غريزة المعرفة بأنها نوع من التسامي بغريزة السيطرة في اتجاه البحث وتحصيل المعرفة.

مراجع

- Freud: Three Essays on Sexuality. (1905)

: The Ego and the Id. (1923)

: On Narcissism: An Introduction. (1914)

❖ ❖ ❖

– التصريف الانفعالي...

- **Abreaction (E.);...**
- **Abréaction (F.);...**
- **Abreagieren (D.)...**

إطلاق الشحنات الانفعالية المكبوتة، باستدعاء الذكريات المكبوتة وتمثّلها. وهذا الميكانيزم إكتشفه بروير وفرويد في دراساتهما على المرضى بالهيستيريا سنة ١٨٩٣، وأرجعا قيمته العلاجية إلى ما يستحدثه تذكّر الخبرة الصادمة من ردود إنفعالية، إرادية ولا إرادية، كانهمار الدموع، وإطلاق التهديدات، إلخ، يتم بها تصريف الانفعالات المكبوتة من خلال الكلمات. والكلمات التي يتفوّه بها المريض تعبيراً عن انفعالاته هي البديل عن النشاط الحركي الذي كان من الممكن أن يلجأ إليه للتنفيس عن نفسه. ولكن فرويد إنتقد هذه الوسيلة، وأعلن أنها لا تكفي، وأحلّ محلها تحليل الشخصية بهدف إعادة تنظيمها، ومع ذلك بالتفريغ أو التصريف الانفعالي وسيلة ما تزال موجودة ضمناً داخل العملية التحليليّة، وفي عمليات التصعيد والتسامي، من خلال اللعب مثلاً، ومن خلال ممارسة الرسم أو العزف أو أيٍّ من التجارب الفنية، وغير ذلك مما يكون وسيلة لإطلاق التوترات الانفعالية.

ومن مترادفات التصريف أو التفريغ الانفعالي ما يسمّى التنفيس الانفعالي Catarsis، غير أن بداية هذه العملية يُقال لا تنفيس، بينما النتيجة النهائية يُقال لها تفريغ أو تصريف انفعالي. والتصريف أو التفريغ الانفعالي قد لا يكون فقط بالكلمات في جلسات التحليل النفسي، فنحن في الضحك نأتي من الحركات بعضلات الوجه وربما باليدين وبالجسم كله ما يمكن أن يكون تصريفاً أو تفريغاً حركياً motorabreacion، أي تصريفاً للطاقة النفسية التي كانت تخصّ عملية تفكير اختُصرت نتيجةً لتكثيف أفكار النكتة أو الأفكار المتعلّقة بمفارقة ما، فكان إخراجنا لهذه الطاقة في حركات الضحك تعبيراً عن السرور.

ومن المصطلحات التي ترادف التصريف أو التفريغ ما يُقال له الإخراج acting out وهو عملية إفراغ أيضاً

للرغبات المكبوتة في سلوك ظاهر. (أنظر أيضاً التنفيذ والإخراج).

مراجع

- Freud & Breuer: Studies on Hysteria. (1896)
- Freud: On the Psychical Mechanism of Hysterical Phenomena. (1896)

❖ ❖ ❖

– التعرّض للحوادث...

- Accident - proneness (E.)...

القابلية للوقوع في المكروه وإلحاق الأذى بالجسم والنفس نتيجة لذلك، وتكرار أن يكون المرء ضحية للحوادث، وهناك صلة بين تنظيم الشخصية وتكرار وقوع الحوادث للشخص نفسه، وتجمع إحصاءات شركات التأمين على أنه في ٨٠٪ من الحالات يكون ضحية الحادث هو المتسبّب فيه، بينما في ٢٠٪ منها يكون العيب في الظروف أو في الآلة. وأيضاً فإن الحوادث قد تقع بكثرة للجنود بسبب أحوالهم الانفعالية في ساحات القتال، وسوء الحكم خلال المعارك بسبب التوتّر والخوف اللذين يعيشون فيهما. ويغلب أن يكون المصاب في حادث في حالة مزاجية أو إنفعالية غير عادية قبل وقوع الحادث له، والبعض به هناك شخصية تؤهله لأن يكون ضحية للحوادث، حتى أن دنبار (١٩٤٨) ليذهب إلى وجود نمط شخصية قابلة لارتكاب الحوادث أو لأن تكون ضحية حوادث. وفسّر فينيخل (١٩٤٥) القابلية للحوادث بأنها نتيجة ميل في الشخص لإلحاق الأذى بنفسه كعقاب، نتيجة مشاعر ذنب، أو ربما نتيجة ميول ماسوشية في الشخص. وقد يفسّر الميل للوقوع ضحية للحوادث بأنه رد فعل للإصابة بالعُصاب القدري Fate neurosis، وهو اتجاه مرضي في الشخص بأن ينسب كل خطأ يرتكبه أو يقع فيه بأنه مقدور عليه، أو أنه من فعل الأقدار ولا مندوحة عنه.

مراجع

- Rowson A. : Accident Proneness. (1944)

- Dunber, F.: Synopsis of Psychosomatic Diaghosis and Treatment (1948)

-Fenichel, O.: The Psychoanalytic Theory of Neurosis. (1945)

❖ ❖ ❖

– التعصيب...

- Innervation (E.;F.; D.)...

التعصيب في الأصل ظاهرة فسيولوجية، ويستخدمه فرويد في كتاباته الأولى حول الهيستيريا للدلالة على الطاقة العصبية التي تنتقل إلى جزء من الجسم محدثة فيه ظواهر حسيّة أو حركية. ومن بين صور التحريف في الهيستيريا ينّبه فرويد إلى ما يسميه قلب التعصيب للضد، ويماثل ذلك في عمل الحلم تغيير عصر من عناصر الحلم إلى نقيضه. فمثلاً في النوبة الهيستيرية ربما يأتي التعبير عن الحَضن بالذراعين بدلاً من أن يتوجها للأمام فإنهما ينسحبان للخلف في تشنّج وتلتقي اليدان وراء الظهر. وربما كان ما نعرفه باسم قوس دائرة النوبة الهيستيرية الكبرى ليس إلا نوعاً من التعصيب لمضاد للموقف المناسب للاتصال الجنسي. ويتوجّه التعصيب التعبيري Expressive i. لأنشطة إنفعالية نوعية أو عاجلة كما في الضحك والبكاء والخجل.

مراجع

- Freud & Breuer: Studies on Hysteria. (1896)

❖ ❖ ❖

– التعيُّن...

- Identification (E.; F.);...

- Identifizierung (D.0...

يُقال له التقمّص والتوحد أيضاً، وهو أن يصبح الأنا على شاكلة أنا آخر،بحيث يتصرّف الأنا الأول من بعض الوجوه بالطريقة التي يتصرّف بها الأنا الثاني فيحاكيه، أو كأنه يتمثله في نفسه. ويُشبّه فرويد التعيّن في محاضراته التمهيدية بأنه كالاستدماج من خلال الفن، وهو نوع هام جداً من الصلات التي تقوم بين شخص وآخر، ويختلف عن اختيار الموضوع، فحين يتعيّن الولد بشخصية أبيه فإنه يحاول أن يكون على مثاله، ولكنه حين يجعله موضوعاً لاختياره فهو يريد أن يمتلكه ويستحوذ عليه، وفي الحالة الأولى يجعل الولد أناه على منوال أنا أبيه، وأما في الحالة الثانية فليس ثمّة ضرورة لذلك، فلتعيّن واختيار الموضوع كلاهما مستقل عن الآخر، ولكن قد يحدث أن يتعيّن شخص بشخص آخر فيعدّل في أناه تبعاً لذلك ويتخذه في الوقت نفسه موضوعاً يختاره لحبه. ويُقال إن تأثر الأنا بالموضوع على هذا النحو هو غالباً من دأب النساء وخصائص الأنوثة.

ومن الصلات بين التعيّن وبين اختيار الموضوع أن فقدان الموضوع أو الاضطرار لهجره يُلجيء الشخص غالباً إلى التعويض عنه بأن يتعيّن بشخصية الموضوع المفقود. وليست نشأة الأنا الأعلى إلا مثالاً موفقاً للتعيّن بالوظيفة الوالدية، فبزوال عقدة أوديب لا يجد الطفل نفسه موثوقاً بوالديه ويسحب شحنة اللبيدو المتوجهة إليهما، ولكي يعوّض عن ذلك يزداد تعينه بهما. وهذه الطريقة هي نفسها التي يلجأ إليها الطفل في مستقبل حياته كلما فقد اهتمامه بموضوع في تعينه، وهو ما يحدث تجاه الأشخاص الذين يحلّون من نفسه محل أبويه خلال مراحل نموّه، أي الأشخاص الذين يكون لهم شأن في تربيته ومن يراهم نماذج مثلى، فهو يتعيّن بهم ويستمدّ منهم عناصر هامة في تكوين خُلُقه، غير أن هذا التعيّن بهؤلاء لا يؤثر إلا في أناه وحده، ولا يؤثر في أناه الأعلى الذي تحدّده الصور اللاشعورية الأولى للأبوين.

ولعلّ أكمل عرض للتعيّن هو الذي يقدمه فرويد في الفصل السابع من كتابه «علم النفس الجماعي وتحليل الأنا» (١٩٢١) ويميّز فيه بين ثلاثة أشكال من التعيّن، الأول هو التعيّن باعتباره الشكل الأساسي للرابطة العاطفية بالموضوع، والثاني التعيّن باعتباره البديل النكوصي للرابطة اللبيدية بموضوع مهجور، والثالث التعيّن بأي موضوع لا توجد بيننا وبينه روابط عاطفية، يكون تعيننا به بالقدر الذي بيننا وبينه عنصر مشترك. ويحدث التعيّن أيضاً في هذا النوع من خلال الإزاحة كما في التعيّن الهيستيري. وفي الجماعة يكون التعيّن بالقائد عن طريق هذا الشكل الثالث من التعيّن. ويتعيّن أفراد الجماعة ببعضهم البعض من خلال تعيّنهم جميعاً بالقائد. والتعيّن في هذه الحالة لا يتمثّل مجمل الموضوع ولكنه يقتصر على سمة فريدة من سماته.

ويحدث التعيّن بالمعتدي i.with the agressor عندما لا يمكن إشباع دافع العداء، فإنه قد ينشأ عن ذلك أن يتعيّن المعتدي عليه بشخصية المعتدي، ويحدث ذلك بين الأخوة الأشقاء والشقيقات بالنظر إلى التنافس بينهم، فإن التنافس يجعل الأشقاء يتعيّنون بشخصية المنافس الأول. ويقوم البناء الاجتماعي على أساس من التنافس والغيرة بين أبناء الجيل الواحد، وتعتمد المشاعر الاجتماعية على التعيّن بالشخصيات الاجتماعية على أساس تعيّن الجميع بالأنا المثالي في المجتمع أي الشخصية القدوة.

ويُطلق فرويد إسم التعيّن النرجسي كما في مرض الملانخوليا، فالمريض يوجّه لنفسه ضروب اللوم ويُعذبها بالتبكيت، وهو في الحقيقة يتوجّه بذلك لشخص آخر هو الموضوع الذي فقد أو فقد تقديره له لسبب أو لآخر، ومن ثم يسحب من الموضوع اللبيدو المتوجّه من أناه إليه، ويتعيّن به من ذلك باستدماجه في نفسه، ثم يتوجه على هذا الأساس باللوم لنفسه كأنه الموضوع المهجور. ونزعة الملانخولي للانتحار يُفسرها هذا التعيّن النرجسي، ورغبته في القضاء على نفسه وعلى الموضوع الذي تعيّن به.

وإذا تغلبت التعينات على الأنا، وكثر عددها، وازدادت شدّتها، وتعارض بعضها

مع بعض فقد ينشأ المرض النفسي، إذ أن في ذلك تمزيق لوحدة الأنا، وربما ترجع الات تعدّد الشخصية إلى سيطرة هذه التعيّنات المختلفة على الشعور، وحتى إذا لم يصل الحال لهذه الدرجة فما يزال يوجد الصراع بين التعينات المختلفة التي تمزّق وحدة الأنا.

وليست التعينات واحدة، فالتعيّنات الأولى، التي تتم في الطفولة الباكرة، عامة وتبقى للأبد. وتختلف تعينات الإناث عن تعينات الذكور في آثارها، وليست عقدة أوديب إلا نتيجة التعيّن بأحد الوالدين واختيار الوالد الآخر موضوعاً، فالإبن يتعيّن بالأب وتتجه رغباته الجنسية للأم، ثم يأخذ التعيّن بشخصية الأب صفة عدائية ويتحوّل إلى رغبة في التخلّص من الأب ليحلّ الولد محله عند الأم، وتصبح علاقته الوجدانية مع الأب متناقضة، وهو أمر طبيعي في التعيّن منذ البداية ولكنه يصبح واضحاً الآن. فإذا زالت عقدة أوديب يصبح على الولد أن يتخلى عن حب أمه ويملأ مكانها بأحد أمرين، إما بالتعيّن بها، وإما بزيادة تعينه بالأب وتتأكد به بذلك صفة الذكورة.

وبهذه الطريقة تماماً يزيد تعيّن البنت بأمها أو أنها لأول مرة تتعين بها، وبذلك ينطبع خُلُقُ البنت بالأنوثة. وقد يحدث أن تتخلى البنت عن أبيها كموضوع لها ولكنها تتعين به وتبدأ في إظهار الذكورة، ويتوقف ذلك على شدة الذكورة والأنوثة في استعدادها الطبيعي. وتحدّد الشدة النسبية للذكورة والأنوثة في الجنسين ما إذا كانت نتيجة الموقف الأوديبي ستؤدّي إلى التعيّن بشخصية الأب أو بشخصية الأم.

والتعيّن الإسقاطي Projective i. من مصطلحات ميلاني كلاين وتعني به توهّم نفاذ الشخص بذاته كلياً أو جزئياً داخل الموضوع بهدف إلحاق الأذى به أو بهدف إمتلاكه والسيطرة عليه.

والتعيّن الأولى Primary i. كما في الإدماج الفموي، ويتمثّل هذا النوع في علاقة الطفل بأمه فهي علاقة أولية وتمثّل أول تعيّن تجيء التعيّنات الأخرى على منواله.

والتعيّن الثانوي Secondary i. به يصير الشخص أكثر شبهاً بالموضوع، ويتعامل مع نفسه كما لو كان هو الموضوع، ومنه

التعيّن الهيستيري الذي يكون به تمثّل بعض سمات الشخصية الكلية، فمثلاً صارت لدورا التي كان يعالجها فرويد كحة كالتي كانت لمنافستها.

مراجع

- Freud: Group Psychology and the Analysis of the Ego. (1921)

: New Introductoory Lectures on Psychoanalysis. (1933)

❖ ❖ ❖

– التفريغ...

- **Discharge (E,);...**
- **Décharge (F.);...**
- **Abfuhr (D.)...**

التفريغ الانفعالي affective d. عما يؤلم أو يسعد، وتفريغ القلق d. of anxiety بالعمل وكثرة الحركة والقيام بنشاطات مختلفة دون علاج القلق نفسه أو تناول أسبابه. والتفريغ الانفعالي قد يكون من خلال الأحلام أو التخيّلات، وقد يكون شعورياً أو يتم على المستوى اللاشعوري، وهدفه في الحالتين لاشاة الألم وجلب الانفراج والسرور. ويؤدّي التفريغ غير الناجح إلى الشعور بالألم. والتفريغ الانفعالي كما يستخدمه فرويد هو ردّ فعل نشيط لخبرة إنفعالية، وتتضمن إستجابة التفريغ الانفعالي كل مجال الأفعال المنعكسة الإرادية واللاإرادية، التي معها يمكن تصريف أي انفعال بحسب نوع الخبرة الانفعالية، إبتداءً من رد الفعل الإرادي بالإنخراط في البكاء، وانتهاءً بالسلوك الانتقامي المخطّط له والذي يأتيه صاحبه إرادياً وبتدبير. ويقول فرويد إن رد الفعل هذا لو حدث بشدّة كافية فإن جزءاً كبيراً من الانفعالات يتمّ تصريفها، ولعلّنا نلاحظه في الحياة اليومية معبَّراً عنه في هذه الأقوال التي نسمعها كثيراً من مثل «إنفجر باكياً» أو «ثار كالعاصفة».

ويتمّ التفريغ طبقاً لقانون الثبات والاستقرار الذي قال به فرويد عن فخنر، أي ثبات الحالة النفسية وتوازنها، بخفض أو ملاشاة أي زيادة في التوتّر النفسي

بسبب مثير داخلي أو خارجي. والنتيجة التي تتحصّل بالتفريغ هي خفض الاستثارة إلى أقل مستوى ممكن إن لم يكن ملاشاتها بالمرة. وحتى في الحالات النفسية المرضية فإن هذا التخفيض يتم عن طريق تفريغ الشحنة الانفعالية جسمياً وليس إطلاقها خارج الجسم، أي بتعصيب الجسم في شكل الأعراض البدنية.

(أنظر أيضاً التصريف الانفعالي، والتنفيس، وقانون الثبات ، ومبدأ اللذة - الألم).

مراجع

- Freud: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)

❖ ❖ ❖

- التفكير المجرَّد...

- Abstract Thinking (E.);...
- Pensée Abstraite (F.);...
- Abstraktes Denken (D.)...

التفكير ضروري لاختبار الواقع، ويبدأ مما هو قبل منطقي ويتطوّر إلى ما هو منطقي بحسب الأحداث النفسية. والكفّ الناجح يدفع إلى تنشيط التفكير والتمييز بين ما هو أفكار ذاتية وما هو صور للعالم الخارجي، وهذا التمييز يتمشّى مع الأخذ بمبدأ الواقع. وكان فرويد سنة ١٩١١ قد ميّز بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع، ويمثل الفعل مبدأ الواقع، وقال إن التفكير مشروع فعل trial action، وأن اللاشعور يحتوي على صور للأشياء وصور للموضوعات (سنة ١٩١٥)، وأن صور الأشياء تصنعها المدركات البصرية والسمعية واللمسية والشمية، إلخ، وأن صور الموضوعات تتكوّن من كل من صور الأشياء والصور اللفظية. وفرّق فرويد (سنة ١٩٢٣) بين التفكير في شكل صور، وهو تفكير يقترب من العمليات اللاشعورية، والتفكير في شكل كلمات أو رموز أخرى كالأعداد مثلاً. والقدرة على التفكير المجرد وظيفة من وظائف الأنا، وقد يعطلها انشغال الأنا بالصراعات المختلفة التي يمكن أن يدخلها. وقال فينيخل (١٩٤٥) إن التفكير القهري

تفكير عام مجرّد وليس تفكيراً واقعياً، بمعنى أنَّ المريض يولي اهتمامه بالخرائط والمصوّرات أكثر مما يهتم بالبلاد والأشياء مثلاً.

ويورد أبراهام نماذج من التفكير المجرد عند العصابيين الذين يبدون اهتماماً مبالغاً فيه بالمعلومات أياً كانت، وبذلك يتسامون بغريزة التنظّر، من مثل حالة هذا العُصابي الذي كان به ولع شديد بالخبرات العلمية التي موضوعها تأليف مادة جديدة باستدماج عنصرين مع بعضهما كما في الكيمياء، ويقول عن نفسه إنه يُحب جداً حالة الولادة Status nascendi هذه، وواضح أن حبه الطفولي للمعرفة عن الولادة قد تسامى إلى حب للمعرفة العلمية من هذا النوع، وكان شغفاً بالمرحلة من التاريخ البشري القديم والتي تكشف عنها الحفريات والمتحجرات، لأن كل ما في الطبيعة كانت بداية ميلاده هذه المرحلة، فكأن سؤال الأطفال الأزلي «من أين يجيء الأطفال»؟ قد تسامى عنده إلى اهتمام بأصل الإنسان وكل الموجودات الحيّة وغير الحية، وبدلاً من أن يتعرف إلى أسرار العمليات التناسلية فإنه يصرف حبه للاستطلاع إلى ظواهر العالم الخارجي، ونفّس عن رغبته المكبوتة في المعرفة التناسلية والتطلّع الجنسي بتحصيل المعارف العلمية والتفكير فيها، رغم أنه لا يستغلّ هذه المعرفة، ولم تكن لتفكيره أية فوائد ملية بالنسبة له، وتفكيره لذلك من النمط الفلسفي المجرد ليس من نوع التفكير بالمعنى الاصطلاحي، ويشبع عنده رغبات طفولية لا تبين حقيقتها إلا بالتحليل النفسي.

مراجع

- Freud: Formulations on the Two Principles of Mental Functioning (1911)
- Fenichel: The Psychoanalytic Theory of Neurosis. (1945)
- Abraham: Restrictions and Transformations of Scoptophilia in Psycho-neurotics. (1913)

❖ ❖ ❖

– التكثيف...

- condensation (E.' F.)...

- Verdichtung (D.)...

تفسر قوانين العمليات اللاشعورية التحريف في الحلم، وأهم هذه القوانين التكثيف والنقل، والتكثيف عبارة عن ميل نحو تكوين وحدات جديدة من عناصر هي بالضرورة منفصلة عن بعضها البعض، ويساعد على ذلك في اللاشعور أن الطاقة النفسية المستخدمة فيه طاقة حرّة غير مقيّدة بعنصر من عناصره. والتكثيف أولّي في اللاشعور، وثانوي فيما قبل الشعور من خلال اجتذاب الأفكار فيه إلى اللاشعور.

والتكثيف في فرضية فرويد عملية مرتكزها إقتصادي حيث أن مختلف العناصر التي يؤلف بينها تتجمع عند العنصر الواحد من خلال النزعة إلى وحدة الإدراك. وغالباً ما يرمز العنصر الواحد في الحلم الظاهر لعدد كبير من أفكار الحلم الكامنة، وكأنما هذا العنصر هو إشارة مركبة تشير إلى هذه الأفكار جميعها. ونلاحظ أن الحلم الظاهر يكون لذلك في حالة مكثفة، أي أنه يكون صغيراً جداً بالنسبة إلى الثروة الهائلة للمادة التي نشأ عنها. وييسر التكثيف ما سبق التنويه عنه وهو النقل، وهو العملية التي تجعل من الممكن للطاقة أو الشحنة النفسية أن تنتقل من عنصر لعنصر، وأن تتجمع العناصر، وأن يكون التكثيف لبعضه دون البعض، ولذلك يتشوّه الحلم نتيجة التكثيف والنقل، وهاتان النزعتان في اللاشعور هما البرهان على أن طاقة اللاشعور في حركة متحرّرة، وأن الهو ينصبّ اهتمامه في تفريغ طاقته أياً كان هذا التفريغ. والتكثيف والنقل من الخصائص اللتين تُستخدمان في تعريف خصائص العملية الأولية في الهُو.

مراجع

- Freud: An Outline of Psychoanalysis. (1938)

❖ ❖ ❖

تكوين العَرَض...

- **Symptom Formation (E.);...**
- **Formation de Symptôme (F.);...**
- **Symptombilding (D.)...**

أَولَى التحليل النفسي دون الطب العقلي اهتماماً بالأعراض وتكوينها ومعناها، وربط بين العَرَض والحياة النفسية للمريض، وكان لجانيه سبق التنبيه إلى أن الأعراض العصابية دلالة شأنها في ذلك شأن الهفوات والأحلام، وإلى أن هناك نوعين منها، الأولى الأعراض الفردية التي تتصل بخبرات المريض، والثانية الأعراض النمطية العامة التي أساسها الخبرات النمطية كذلك، أي أنها خبرات يشترك فيها كل المرضى بالعُصاب، وتشبه الأعراض في ذلك الأحلام، فكما أن المحتوى الظاهر للأحلام فيه فارق بين الأفراد، فكذلك هناك أحلام نمطية يتشابه محتواها ولا تختلف فيه عند مختلف الأفراد.

والعَرَض علامة تدل على رغبة غريزية لم تُشبَع، وإشباع بديل لهذه لرغبة نتيجة لعملية الكبت، غير أن هذا الإشباع يكون من الضعف لدرجة أنه لا يُدرَك كإشباع، ولا يحصل به إحساس باللذة، ويتخذ صفة القهر. ويمنع الكبت بإضعافه عملية الإشباع وإنزاله لها إلى مرتبة العرض - يمنعها من التفريغ عن طريق الحركة، أو يضطرها لاستحداث بعض التغييرات في بدن الشخص نفسه دون أن يكون لذلك أي تأثير على العالم الخارجي، إذ أن الأنا إنما يقوم بالكبت تحت تأثير الواقع الخارجي. وبعد أن تبدأ عملية الكبت ينتقل النضال من الدافع الغريزي إلى نضال مستمر ضد العرض، ومن ذلك أن يحاول الأنا منع الأعراض من البقاء بالتدريج لتمثيل بعض الرغبات المهمة، مؤكداً بها ذاته، حتى ليستحيل العرض أمراً ضرورياً للأنا. وللصورة التي تتخذها الأعراض في العُصاب القهري وفي البارانويا أهمية كبيرة، لا لأنها تسبّب بعض المنافع، بل لأنها تقوم بإشباع نرجسي لا يمكن أن يقبله الأنا في غير هذه الصورة، فتقوم الأنظمة القهرية بإرضاء حبه لذاته لأنها تجعله أحسن من غيره وأكثر نظافة وأكثر حساسية. وتعمل

هذاءات المصاب بالبارانويا على إشغال خياله وإدراكه المرهفين بنوع من النشاط لا يتيسر له في غير هذا المجال، وينشأ من ذلك ما يقرّب باسم الفائدة الثانوية للعُصاب، وتعمل هذه الفائدة على مساعدة الأنا في مجهوده بضم العرض إليه، كم تعمل على شدة تثبيت العرض، وإنما ينشأ الاضطراب عن العرض نفسه، ولما كان العرض بديلاً للدافع المكبوت ومشتقاً منه فإنه يقوم بدور الدوافع المكبوت فيأخذ في المطالبة باستمرار بالإشباع، ومن ثم يُعطي الأنا إشارة الكدر ويتخذ موقف الدفاع.

مراجع

- Freud: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

❖ ❖ ❖

– التكيّف...

- **Adaptation (E.; F.);...**
- **Anpassung (D.)...**

تلاؤم المرء مع البيئة وعندئذٍ يتحقق له التوافق adjustment. ويعرفه هارتمان بأنه تهايؤ الحاجات الغريزية مع ظروف ومتطلّبات العالم الخارجي والأنا الأعلى، وهو عمل يُناط الأنا بالتعلّم وبمقتضى اختبار الواقع. ويؤكد هارتمان (١٩٥٨) على الاستعداد المسبق للأنا الفطري لأن يقوم بهذا التكيف، فالتكيف من الأعمال المنوّطة بالأنا فطرياً، وقد اكتسب ذلك من خلال عملية التطوّر وبالمجاهدات التي دخلها من أجل البقاء، وكان له هذا الاستعداد، كما كان له الإدراك والتذكر والتفكير، إلخ. وقال هارتمان (١٩٦٤) إن مبدأ الواقع يتضمن العلم بالواقع والعمل على مقتضى هذا العلم، وهو مضمون عملية التكيف.

وقال فيرينزي بنوعين من التكيف، الذاتي Autoplastic، بأن يعدّل الأنا من نفسه ويتواءم ذاتياً مع الظروف الخارجية والخارجي Alloplastic، بأن يقوم الأنا بتعديل الظروف الخارجية وجعلها ظروفاً مؤاتية مع قدراته. وتقوم طريقة العلاج عند رادو المسمّاة بالديناميات النفسية التهايؤية

Adaptational Psychodynamics على تقسيم فرينزي نفسه للتكيّف، أي على ما يسميه التكيّفات أو التهيؤات الذاتية التي تتناول بالتعديل الأنا نفسه، والتكيفات أو التهايؤات الخارجية التي تتناول بالتعديل ظروف البيئة الخارجية.

مراجع

- Ferenczi: Autoplastic and Alloplastic Adaptation. (1949)
- Hartman: Ego Psychology and the Problem of Adaptation. (1958)
- Rado, S.: Psychaonalysis of Behavior. (1933)

❖ ❖ ❖

– التنفيس الانفعالي...

- **Catharsis (E.'F.);...**
- **Katharsis (D.)...**

تصريف الانفعالات المكبوتة والتوترات والصراعات والرغبات التي لم تجد المنصرف لها وتمّ قمعها أو كبتها، وهي طريقة في العلاج النفسي إستخدمها بروير في الأعوام بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٩٥ وطوّرها فرويد وجعلها من أركان علاجه بالتحليل الفسي.

ولفظ التنفيس يوناني الأصل Katharistikos بمعنى تفريغ أو تطهير، واستخدمه أرسطو في تفسير الخبرة الجمالية في مجال المسرح، فقال إن النظارة إذ يشاهدون المسرحية ينفعلون بأحداثها وبتعيناتهم بأبطالها، ويفرغون انفعالاتهم وتوتراتهم من خلال تعاطفهم أو غضبهم أو مخاوفهم بحسب ما يشاهدونه من دراميات، وهذا الإفراغ أو التنفيس الانفعالي يُطهرهم ويستعيدون به توازنهم النفسي فيكونون أفضل بعد المسرحية.

وفي كتاب بروير وفرويد «دراسات في الهيستيريا» (١٨٩٥) أن أعراضها تزول عندما تُستدعى الذكريات المنسية مع ما يصاحبها من انفعالات تستثيرها أثناء تنويم المريض. وقد استنتج فرويد وبروير أن الانفعالات عندما لا تنجح في أن يعبر

عنها صاحبها ولا تجد التفريغ المناسب فإنها تظل حبيسة وتجد منسربات لها في شكل الأعراض المرضية. فللحصول على الشفاء يتم تحرير هذه الانفعالات وتفريغها من خلال التصريف العادي بدلاً من أن تتوجه إلى الجسم بالتعصيب.

وكان ارتباط عملية التنفيس في البداية بالتنويم كاقتراح بروير، فمن خلال التنويم يُستحَث المريض أن يذكر ماكان سبباً في تعصيبه هيستيرياً، ويساعده المحلّل على دفع المكبوت إلى الشعور، وأن يعبر عنه، ومن خلال معايشة المريض للخبرة المنسية بكل تفاصيلها وانفعالاتها وزخمها الدرامي يُستحدث له التطهير المنشود. إلا أن فرويد تخلّى عن التنويم واستبدله بالإيحاء، وكان يساعد المريض على أن يتذكر بأن يضغط بيده على جبهته، وأثناء ذلك كانت تداعيات المريض تتدفق، ومن خلالها يعبر عن نفسه ويطلق رغباته وانفعالاته ويتحرر من مضايقاته وتوتراته ويُستحدث له التطهير بالتدرُّج، وهو واعٍ تماماً بما يتذكر وبما يقول.

ومن مترادفات التنفيس ما يُسمى Abreaction أيّ التصريف، وهو أيضاً إطلاق للشحنات المكبوتة باستدعاء ذكرياتها المكبوتة. (أنظر التصريف).

مراجع

- Freud: Five Lectures on Psychoanalysis. (1989)

: Sexuality in the Aetiology of the Neuroses. (1898)

: The Neuro-Psychoses of Defence. (1894)

❖ ❖ ❖

– « تنوير الأطفال جنسياً »...

- **«The Sexual Enlightenment of Children» (E.);...**
- **«L'Eclaircissement Sexuel des Enfants» (F.);...**
- **«Zur Sexuellen Aufklärung der Kinder» (D.)...**

طلب الدكتور فورست محرر مجلة الطب والصحة الاجتماعين من فرويد سنة ١٩٠٧ أن يكتب مقالاً عن الكيفية التي يُعالج بها موضوع اطّلاع الأطفال على الحقائق الجنسية، وتثقيفهم التثقيف العلمي الذي يقيهم العثرات، في موضوعات الجنس والإنجاب والولادة والحمل، التي كثيراً ما يسأل فيها الأولاد، وغالباً ما يحصلون على معلوماتهم عنها مغلوطة من الآباء أو من أصحاب السوء. وفرويد من أنصار التربية الجنسية التي ينبغي أن يُؤخذ بها الأطفال، سواء في البيت أو المدرسة، ويسخر من الأسباب التي يوردها البعض حول وجوب حجب هذه المعلومات عن الأطفال، سواء بدعوى أنهم لم ينضجوا بعد لفهم واستيعاب أبعادها، أو بدعوى أن تثقيفهم بها من شأنه أن ينشّطهم وينضجهم جنسياً قبل الأوان، وكأنهم لن يحصلوا على بعض هذه المعلومات وإن تكن بطريقة غير صحيحة ولا سليمة من رفاقهم. ويستشهد فرويد بقول أحد رجال التربية الذي لا يرى أن إبقاء الأطفال في جهل بموضوع حيوي كالجنس يمكن أن يبقيهم أنقياء طاهرين غير مدنّسين فكرياً. فالجهل أياً كان، وبأي موضوع كان، هو نفسه الدَّنَس. ويعتذر فرويد عن نكوص بعض الآباء عن تنوير أطفالهم جنسياً بأنهم يحسبون أن الأطفال بحكم سنهم لم تتهيّأ عندهم الغريزة الجنسية، وأن هذه الغريزة لا تتواجد كلية قبل أن تنضج أعضاؤهم الجنسية، وهو خطأ يتردّى فيه الغالبية نظرياً وعلمياً، فالطفل الوليد يخرج إلى الحياة ومعه كل استعداداته الجنسية، وطوال نموه يستشعر الأحاسيس الجنسية، سواء وهو يرضع على صدر أمه أو هو يتبرّز، أو وهو نائم في حضنها، مما ورد ذكره في كتاب فرويد «ثلاث مقالات في نظرية الجنس». وتُستحدث اللذة الجنسية مباشرة باستثارة المناطق الشبقية من الجسم، ولا يفعل البلوغ إلا أن يركز هذه اللذة في المنطقة التناسلية بشكل أكبر مما في سواها من المناطق. ثم إن الطفل يستطيع أن يُحب ويطلب أن يكون محبوباً قبل أن يصل إلى البلوغ، وهو ناضج تماماً للحب وإن لم ينضج جهازه

الجنسي للتناسل. وليس هناك إذن ما يمنع أن يعرف الأطفال عن الجنس مبكراً، ولا يبرر تجهيلهم بهذا الموضوع الحيوي أن يقال إنه بهدف أن ينشأوا على خُلُق قويم. والواقع أن التشدّد في التربية، بأخذ الأطفال بالتخويف من الجنس، تخويفاً يرعبهم ويعقّدهم، ليس من مصلحة الطفل، فالتربية إلتي قوامها التجهيل والتخويف تنشّىء مواطنين ضعاف الشخصية ومرضى نفسيين، ولقد ثبت أن هناك صلة بين الإصابة بالأعصبة وبين الكبت الجنسي، وأن الخوافات من الجنس مدعاة لاضطرابات تصيب النفس والجسم والشخصية. وثبت أن الطفل الذي لا يعرف الحقيقة يستمر في البحث عنها بنفسه، وغالباً ما تتحصل له من بحثه معلومات ونتائج ونظريات تستحق أن نلمّ بها نحن الكبار ونناقشها فنتعرف على عالم الأطفال الجنسي، وندرك مدى الخطأ الذي نتردى إليه إذ نتركه دون معرفة صحيحة.

وإنه لشيء ملفت للنظر أن كل من تطرّق إلى موضوع التثقيف الجنسي للأطفال، قد فعل ذلك من باب الإدراك بخطورة ترك الأطفال لحال سبيلهم، يحصّلون المعلومات الجنسية بأنفسهم ومن غير هداية الكبار. وإنه لشيء يستحق أن نتوقف عنده أن هؤلاء المهمومين بمشاكل الأطفال قد انتهوا جميعهم تقريباً إلى ضرورة تثقيف وتنوير الأطفال جنسياً، فلا ينبغي أن تخلو المناهج الدراسية من موضوعات علمية جنسية، ولا ينبغي أن تخلو الدروس من حقائق عن عالم الحيوان، والتكاثر ومعناه، والمشابهة بين الإنسان والحيوان في ذلك، ولايجوز أن يتضمن التعليم المنزلي تلميحات وإشارات تثري معلومات الطفل وتزيده معرف بالعالم الذي من حوله، وعالم الكبار والصغار على السواء، وأن يكون ذلك كله في إطار الفهم الاجتماعي للجنس، وقبل أن يبلغ الطفل الحادية عشرة من عمره، وأن يؤخد الطفل بذلك بالتدرج بحيث لا تخلو أي مرحلة من عمره من ثقافة جنسية تتاح له.

مراجع

- Freud: Three Essays on the Theory of Sexuality. (1905)

: My Views on the Part Played by Sexuality in the Etiology of the Neuroses. (1905)

: «Civlized» Sexual Morality and Modern Nervous Illness (1908).

: Contributions to the Psychology of Love. (1910-1918)

❖ ❖ ❖

– التوقعات المستقبلية للعلاج بالتحليل النفسي»...

- **«The Future Prospects of Psychoanalytic Therapy (E .);...**

- **«Perspectives d'Avenir de le Therapeutique Analytique (F.);...**

- **«Die zukünftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie» (D.)...**

وجّه فرويد هذا الخطاب للأعضاء المشاركين في مؤتمر نوريمبرج الذي عقدته الرابطة الدولية للتحليل النفسي عام ١٩١٠، وفيه يُنبّه إلى المرحلة الثانية التي يمر بها التحليل النفسي، فبعد مرحلة التأسيس الأولى والتي تميّزت بالحماس، تأتي المرحلة الثانية، والتي يكون فيها استشعار الكم الهائل من المهام والمصاعب التي تنتظر إسهام التحليل النفسي بالتصدي لها والقيام بها والتوفر عليها. ولن يتيسر له ذلك إلا باطّراد زيادة المعارف المكتشفة في مجاله، واطراد التحسّن من ثم في طرق العلاج، وفي التقنيات المستخدمة فيه. وما يزال أمام التحليل النفسي الكثير للاستزادة من الكشوف في مجال اللاشعور، وكل كشف جديد يتحقق في مجاله لا بد أن يترتب عليه المزيد من التقدم في فاعلية طرق العلاج النفسي. وكان هذا العلاج في الماضي دعامته من جانب المريض أن يصارح المحلل بكل شيء في نفسه ولا يخفي عنه من أمره شيئاً، ومن جانب المحلل كان عليه أن يستحث المريض باستمرار على المزيد من التذكر

واستدعاء ما قد طرأ عليه النسيان، أو أصابه القمع والكبت من رغباته وأفكاره، والتعبير عنها، وإطلاق العنان لمشاعره والتنفيس عما يحتدم به ولم يكن يجد المجال للتنفيس عنه. ثم تطوّرت الأمور خطوة أخرى وصار العلاج يعتمد في جانب منه على جهد المعالج، وما يستخلصه عن الحالة، وما يراه بشأنها ويفضي به إلى المريض، وفي جانب آخر على جهد المريض في استيعاب ما يقوله المعالج. ومن اليسير على المريض أن يفهم ميكانيزم العلاج، فالمعالج يستحضر لوعي المريض ما يمكن أن يكشفه اللاشعور من المكبوت، ويجعله في توقع له، وهذا هو الجانب التثقيفي من العلاج، والذي يمكن أن يساعده في التغلّب على المقاومة للعلاج، ومساعدة المكبوت على السفور وطرح التخفي والخروج من اللاشعور إلى الشعور. ثم إن المعالج يشرح للمريض ظاهرة الطرح أو التحويل ليحذرها، وعليه أيضاً أن يحذر هو نفسه الطرح أو التحويل المضاد. والذي يمكن أن يكون رد الفعل عنده لمقاومات المريض بتأثير عُقده النفسية الشخصية والإهاجات اللاشعورية المضادة. وعلى المعالج لذلك أن لا يبدأ في ممارسة التحليل النفسي إلا إذا كان هو نفسه قد خضع للتحليل النفسي أو قام هو نفسه بتحليل نفسه، وكان دائم الاستفادة من دروس التحليل التي يمكن أن تتحصل له أثناء استماعه للمرضى وتدوينه للملاحظات التي يبدونها أو ملاحظاته عنهم، وكل من لا يقوم بتحليل نفسه لن يفلح عندما يمارس تحليل الآخرين.

ويشير فرويد إلى مجالين جديدين يمكن استشراف نتائج البحث التحليلي فيهما، وتوقع الكثير من جهة الكشوف فيهما، وتأثير ذلك على التناول العلاجي، والمجال الأول هو مجال تأويل الأحلام، وبالأخص دور الرمزية في تشكيل الأحلام، وعلاقة الرمزية باللاشعور. وما يزال هناك الكثير مما يمكن طرحه للدراسة والاستقصاء مما يحفل به كتاب فرويد في تأويل الأحلام، وتلك مهمة اضطلع بها بجدارة شتيكل رغم تخريصات الخصوم حول النتائج التي توصل إليها. والمجال الثاني هو مجال الجديد في التقنيّات، وما يزال ينتظر التحليل النفسي الكثير فيه لتحقيق

غايتين، الأولى توفير جهد المعالج، والثانية فتح الطريق أمام المريض للنفاذ إلى أعماقه وبلوغ اللاشعور.

وكانت غاية العلاج في الزمن الذي كانت طريقة العلاج فيه هي طريقة التنفيس الانفعالي هي أن يعي المريض الأعراض المرضية عنده ويتفهم دلالاتها، ثم صارت غاية العلاج هي اكتشاف العُقد النفسية وراء الأعراض، ثم تدرّج العلاج إلى كشف مقاومات المرء والتغلّب عليها وبذلك تستبين العُقد وتزول بمجرد استبانة المقاومات والتغلّب عليها. ويلفت فرويد النظرإلى مكان أن يتحول الاهتمام في التحليل النفسي إلى البحث في علاقة المقاومة عند المرضى الذكور بعُقْدة الأب وما إذا كانت تشتق منها وتجد التعبير في الخوف من الأب، وفي تحدي سلطته والتشكيك في مصداقيته.

وإنه لمن اللافت للنظر أن التقنيات المستخدمة في العلاج صارت تجري عليها تعديلات كثيرة مما يجعلها مناسبة لطبيعة المرض النفسي المشكو منه، ولطبيعة الميول الغريزية. وكان المظنون أنه كلما زادت إسهامات التحليل النفسي في الكشف عن أسباب الأمراض النفسية وعلاجها يكون اكتسابه لاحترام الناس، ويلقى لديهم الحظوة، وتكون له المكانة. غير أن الناس تخشى المستحدث، وليس من السهل تحويل احترامهم للأفكار السائدة إلى الأفكار الجديدة، والتحليل النفسي ما يزال جديداً، والناس تحب أن تركن إلى سلطة ما، وإضفاء السلطة على أفكار التحليل النفسي غير متوقع إلا على المدى الطويل. ولقد عانى التحليل النفسي من التشكّك فيه واتهام سدَنته وأخصهم فرويد نفسه. وتزيد المقاومة للتحليل النفسي لأنه علم لا يساير الخداعات ويكشف عن الأضاليل ويقف من الناس موقف الناقد، غير أن المأمول أن يدركوا ما هو في صالحهم، وأن تزول مقاومتهم بعد فترة من التنوير، تماماً كما في حالة المرضى المنفردين، ثم إن قوى العقل لها احترامها على المدى الطويل وستعقد الغلبة للتحليل النفسي بعد لأي.

❖ ❖ ❖

- ث -

حرف الثاء

- الثاناتوس...

- **Thanatos (E.; F.D.)...**

كان ثاناتوس وهيبنوس في الأسطورة الإغريقية المسؤولين عن الموت والنوم باعتبارهما من طبيعة واحدة، وكانا توأمين، والنوم موت أصغر، والموت نوم أكبر.

وثاناتوس إصطلاح أدخله جونز في أدبيات التحليل النفسي، فقد ذكر أن ثنائية الغرائز عند فرويد مرت بثلاث مراحل، في الأولى قابل فرويد بين الغرائز الجنسية وغرائز الأنا، وفي الثانية قابل بين لبيدو الموضوع ولبيدو الأنا، وفي الثالثة قابل بين الإيروس والثاناتوس أو غريزة الحياة وغريزة الموت.

ومبدأ المقابلة يتابع فيه فرويد أمبادوقليس اليوناني (نحو ٤٩٠ - ٤٣٠ ق.م.)، ويذكر عنه أنه قال إن الأشياء في الكون هي نتيجة اتحاد وانفصال واتحاد من جديد، وهكذا، فالأشياء لا تفنى ولا تولد، ولكنها تتحد وتنفصل بفعل قوتين كبيرتين هي المحبة أو أفروديت، والشقاق أو Strife، والمحبة هي مبدأ الحياة، والشقاق هو مبدأ الموت. وكذلك فعل فرويد فقد جعل للحياة غريزة وفي مقابلها غريزة للموت، والغريزة ميل أو استعداد ودفعة طبيعيّة خلقية لا تُردّ إلى ما هو أبسط منها. وما تنشئه الحياة وتنميّه وتطوره يدمره الموت ويعيده إلى أصله اللاعضوي الذي كان له قبل أن تدبّ فيه الحياة، ثم يعود الخَلق كما كان، وهكذا. وأطلق فرويد على غريزة الحياة إيروس، وعلى غريزة الموت إسم ثانوتوس (عن رواية جونز). واستخدم فيدرن Federn وڤايس Weiss، وكلاهما من حواريّ فرويد إسم الثانوتوس وخصّاه بطاقة كطاقة الليبيدو التي خصّها فرويد للإيروس، وأطلق ڤايس عليها إسم Destrudo أي طاقة التدمير، وأسماها فيدرن Mortido، أي طاقة الإفناء أو الموت، أي أن ڤايس نظر إلى هذه الطاقة باعتبار شقها العدواني، بينما نظر فيدرن إليها باعتبار شقها التكاثري الجنسي، ومن هنا كانت ترجمة الثاناتوس بأنها غرزية التدمير Destructive instinct أو غريزة الموت Death instinct باعتبار هذين

الشقين السابقين. (أنظر أيضاً نظرية الغرائز).

مراجع

- e. Jones: Papers on Psychoanalysis. (1938)
- Freud: Beyond thePleasure Principle. (1920)
- Analysis Terminable and interminable. (1938)

❖ ❖ ❖

– «ثلاث رسائل في نظرية الجنس»...

- **«Three Essays on the Theory of Sexualty» (E.);...**
- **«Trois Essais sur la Théorie de la Sexualité» (F.);...**
- **«Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie» (D.)...**

صدر هذا الكتاب عام ١٩٠٥، وكان فرويد يعده في الوقت نفس مع كتاب «النكتة وعلاقتها باللاشعور». وكان يتناوب على الكتابين حسبما يتيسر مزاجه، وسأله جونز أي كتبه أحب إليه؟ فأسرع فرويد بإخراج كتابي «تفسير الأحلام» و«ثلاث رسائل في نظرية الجنس» من رف المكتبة، وقال فيما يخصّ الكتاب الثاني: إني لآمل أن يجد هذا الكتاب القبول وتصبح نظرياته من البديهيّات. وأضاف بابتسامة: كان مقدوراً فيما يبدو أن أكون مكتشف هذه الحقيقة التي تعرفها كل مربية، وهي أن الأطفال يشعرون جنسياً.

وعندما صدر هذا الكتاب كان له دويٌّ كبير في الأوساط العالمية وقيل في الكتاب إنه سيء، ولا أخلاقي، ويتنافى مع الأخلاق العامة، ولا يمكن أن يصدر إلا عن عقلية فاسدة وشريرة، وعن نفس تتأبّى على الدين والعرف، ولا تعرف معاني الجمال والخير والحق. وانصبّ النقد على هذا الجزء من النظرية التي يحويها الكتاب، والذي يؤكد أن الطفل يولد بحاجات جنسية، وأنه يشعر جنسياً،

وأن حاجاته وغرائزه وميوله ومشاعره الجنسية تطرأ عليها تطوّرات معقدة إلى أن تبلغ ما نعرفه عنها عند البالغين، وقد صُدِم جمهور القراء جداً إذ يقول لهم فرويد في الكتاب إن مدار مشاعر الطفل الجنسية في هذه السن الباكرة هما الأبوان، واعتبروا هذه الأقوال من فرويد شططاً لا يمكن أن يُغفر له، وقالوا إنه يُغالي لكي يُعرف، وأنهم لا يمكن أن يصدقوا ما يذكره عن أطفالهم، وأن الطفولة كما قرؤوا حولها في الأديان والآداب - إنْ كانت تتميّز بشيء فإنما هذه الميزة الكبرى والنعمة السابغة، ألا وهي البراءة.

واستمرّ النقد شديداً للكتاب مدة عشرين سنة، أي حتى العشرينات من القرن العشرين، ثم أصبح الأمر عادياً أن يسمع الناس ذلك عن أطفالهم، وأن ينسبوه في لامبالاة إلى فرويد وجماعة التحليل النفسي. وتُرجم الكتاب إلى معظم اللغات، ومنها اللغة العربية، وتوفر على الترجمة العربية أساتذة كبار. وتعرّض الكتاب فيما تعرّض من نقد إلى أن النظرية التي طرحها مسروقة من صديقه فليس Fliess، وكان فليس لم يطور اكتشافه ويستخدمه الاستخدام الأمثل في مكانه الطبيعي، وكانت له آراء أخرى فيما يمكن أن ندرجه، بمسمى فرويد، ضمن ما وراء علم النفس، لذلك لم يشتهر فليس باكتشافه، وأدرك فرويد أحقية مأخذ فليس عليه فضمّن الكتاب في طبعاته اللاحقة هامشاً عدّد فيه أسماء ثمانية مؤلفين سبقوه إلى هذا الاكتشاف، ومنهم فليس.

ولقد تناول فرويد هذا الكتاب بالتعديل عدة مرات، فكان يضيف إليه، ويُسقط منه، ويزيد بعضه شرحاً، ويغير من آرائه في البعض، وفي كل مرة يفعل ذلك كان ينبّه إليه في الهوامش، ولم يحدث أن غيّر فرويد في أي من مؤلفاته ونظرياته مثلما غيّر في هذا الكتاب، وهو على أي الأحوال لم يفعل ذلك على نطاق واسع إلا في «ثلاث رسائل في الجنس» و«تفسير الأحلام». ولربما دهش القارىء أن يعرف أن أبواباً كاملة عن الجنس عند الأطفال وتنظيمات اللبيدو قبل التناسلية لم تضف إلا سنة ١٩١٥، أي بعد أن صدرت الطبعة الأولى بعشر سنوات، وأضيف بابان إلى

الرسالة الثانية، وأضيف الباب الخاص بنظرية الليبيدو إلى الرسالة الثالثة في العام نفسه، واضطره التقدّم والتطوّر اللذان استحدثا في مجال الكيمياء الأحيائية إلى أن يعيد سنة ١٩٢٠ كتابة الفقرة الخاصة بالأساس الكيميائي للجنس، ومع ذلك فالمنشور عن هذه الفقرة في الهامش يُظهر فرويد على اطّلاع واسع بالمستجد في العلو، وتحققت توقعاته العلمية بالتمام.

وبالرغم من كل هذه التعديلات فإن جوهر الكتاب ظل كما هو كما ظهر في أول طبعة سنة ١٩٠٥، بل إن جوهر نظرية فرويد في الجنس ظل ما هو قبل ذلك بكثير، وهذا هو ما أثبتته خطاباته إلى صديقة فليس والتي قُيِّضَ لها أن تنشر سنة ١٩٥٠ بعد وفاتهما معاً، وفي هذه الخطابات متابعة دقيقة للتطوّر التاريخي لنظريته، ومستدعيات هذا التطور من المنظور التاريخي. وارتبطت النظرية أول ما ارتبطت بملاحظاته الكلينيكية عن مرضى عصاب القلق والنوراسينيا، وأهمية العوامل الجنسية في الإصابة بهذين المرضين وبمرض العصاب النفسي. وهذا الاكتشاف هو الذي تأدّى به إلى أن يبحث في ذلك ويزيد في البحث والتحرّي. وكانت توجهاته الأولى في التسعينات الباكرة من القرن التاسع عشر من منطلقات فسيولوجية وكيميائية، وسيجد القارىء الكثير من فروضه الفسيولوجية العصبية مثلاً لعمليات الاستثارة الجنسية وتصريفها في الجزء الثالث من بحثه لأول في عصاب القلق والذي نشره سنة ١٨٩٥، وسيجد ملخصاً لهذا البحث في خطاباته إلى فليس. ويرجع إصدار فرويد وإلحاحه على الأساس الكيميائي للجنس بدئاً من هذا البحث ومن هذا التاريخ - ١٨٩٥، ويعترف فرويد صراحة بمديونيته لفليس سواء في هذه النظرية، أو في كثير ما طرحه في كتاب تفسير لأحلام، وفي نظريته في الجنسية الثنائية، وهو الأمر الذي تؤكده الخطابات المتبادلة بين الصديقين في هذا الخصوص (أنظر خطابه إليه في ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٦- الخطاب رقم ٦٢)، ورغم ذلك فإن تطبيق النظرية وحسن استغلالها يعود لفرويد، وحول هذه المسألة اختلف

الصديقان وافترقا، وهذا ما تضمنه الخطاب رقم ٥٢ والصادر سنة ١٨٩٦، وفيه أيضاً نسمع لأول مرة عن ما يُسمَّى بالمناطق الشبقية واستثمارتها في الطفولة وعلاقة ذلك بالانحرافات المستقبلة. ونقرأ أيضاً في خطابات يناير ١٨٩٦ لأول مرة عن ما يسميه قوى الكبت والشعور بالذنب وقيام الأخلاق على هذا الأساس. وأعتقد فرويد منذ البداية أن سبب الإصابة بالهيستيريا يعود إلى الطفولة، هو ما تؤكده الفقرات الافتتاحية من مراسلات فرويد وبروير لسنة ١٨٩٣. وحتى سنة ١٨٩٥ كان فرويد قد استقرّ رأيه تماماً على أن الإصابة بالهيستيريا تعود حتماً إلى تأثيرات الخبرات الجنسية الصادمة للطفل في باكورة حياته. وكان فرويد حتى سنة ١٨٩٧ يعتقد جازماً أن الجنس عند الأطفال يظل في سبات ما لم توقظه مؤثرات تستحدثها علاقات الطفل بواحد من الراشدين. وفي بحث له حول «الذهانات العصبية للدفاع» (١٨٩٦) يفرق بين الهيستيريا والعصاب الوسواسي، ويرجع الأولى إلى الخبرات الجنسية السلبية في الطفولة، بينما يرجع الثاني إلى الخبرات الإيجابية، ويعقد صلة بين الاثنين فيقول إن الخبرات السلبية تمتّد للخبرات الإيجابية، وأن الاثنتين تعنيان على أية حال أن هناك تدخلاً في حياة الطفل الجنسية من خلال أحد الكبار. ولم يتنازل فرويد عن نظرية غواية الكبار للصغار هذه Seduction theory إلا في صيف عام ١٨٩٨، وأعلن ذلك صراحة في خطاب له إلى فليس في ٢١ سبتمبر (الخطاب رقم ٦٩)، وأدَّى به اكتشافه لعقدة أوديب (الخطاب رقم ٧٠ والخطاب رقم ٧١ بتاريخ ٢ و١٥ أكتوبر) إلى أن يؤكد أن الجنس موجود عند الأطفال بشكل عادي وفطري، وأنه يعمل عمله فيهم، بصرف النظر عن أية مؤثرات أو غواية يتعرّضون لها من الخارج. وبهذا الاكتشاف يكون فرويد قد استكمل نظريته في الجنس، إلا أن هضمه لهذا الكشف استغرق من المزيد من الوقت. وفي بحثه المعنون «الجنس في إيتيولوجية الأعصبة» (١٨٩٨) يقول إن الأطفال يستطيعون أي توظيف نفسي جنسي والكثير من التوظيف البدني الجنسي، ومن الخطأ افتراض بداية

الجنس عندهم في البلوغ فقط لا غير، إلا إنه من ناحية أخرى يستدرك فيقول إنه كان لزاماً على البشرية أن تجنّب الأطفال الجنس وأي تنشيط له في هذه السن لتتوجه طاقتهم وجهة بنائية، أو لتُختزن توفيراً لها لفترة البلوغ الحرجة التي تنطلق فيها كانطلاق العفريت من القمقم. ولعلّ هذا هو السبب في أن أية خبرة جنسية يدخلها الطفل في هذا السن غير المعد لها، قد تكون لها آثار مرضية وخيمة عليه. والمعول عليه في الخبرة الجنسية أن يدخله البالغ منها وقد اكتمل جهازه التناسلي عضوياً وفسيولوجياً ونفسياً. وأصبح مستعداً لدخولها واحتمال تبعات ذلك. ومع أنه قد صرّح تصريحات مباشرة في كتابه تفسير الأحلام بأن للأطفال دوافع ورغبات جنسية، إلا أن إعداد نظرية في الجنس تطلّب وقتاً، ولم يكن يتعجل نفسه، ولكنه مع ذلك كتب إلى فليس في الحادي عشر من أكتوبر سنة ١٨٩٩ (الخطاب ١٢١) يقول: إن نظرية في الجنس ستكون موضوع الكتاب الذي يتلو تفسير الأحلام. وكتب بعد ذلك بثلاثة شهور (٢٨ يناير سنة ١٩٠٠ الخطاب ١٢٨) أنه أعدّ لنظرية في الجنس، وأنه ينتظر عسى أن يأتيه الإلهام الذي يجمع أشتات المادة التي جمعها فيصوغ منها شيئاً متكاملاً. غير أن هذا الإلهام أبطأ كثيراً حتى سنة ١٩٠٦ عندما ظهرت الطبعة الأولى للكتاب، واستوجبت الطبعات التالية أن ينبّه إلى أنه قد وسّع من مفهوم الجنس، وأنه برغم أن كل مفاهيم نظرية التحليل النفسي، كالكبت واللاشعور والصراع والمكاسب النفسية للمرض النفسي وميكانيزم تكوين الأعراض - كلها تقريباً تلاقي القبول ولا تواجَه بالاعتراض، إلا هذا الجزء المتعلق بنظرية الجنس، والذي يقع على حدود البيولوجيا، فإنه ما يزال يلقى المقاومة، بل إنه كان السبب في ارتداد بعض من النابهين من أعضاء حركة التحليل النفسي، وخروجهم من الحركة، واعتناقهم آراء جديدة الغرض منها الإعلان للناس أن الجنس ليس كما يقول عنه فرويد، ولكنه نشاط له دوره المحدود كأي نشاط آخر في الحياة النفسية السوية والمرضية.

والرسالة الأولى التي يتضمنها الكتاب عن الانحرافات الجنسية، ومنها انحرافات تتعلّق بالموضوع الجنسي، وانحرافات تتعلّق بالهدف، فقد يحدث تغيير في موضع الغريزة فيهوى الذكر مِثله، أو يهوى الأطفال الصغار. وقد يحدث تغيير في الهدف الجنسي هو العملية التناسلية فيثبّت النشاط الجنسي في مناطق من الجسم بخلاف الأعضاء التناسلية كما في الفيتيشية، ولهذا السبب كان الجنس عند الكثير من المنحرفين في حالة طفلية.

والرسالة الثانية من الكتاب عن الجنس عند الأطفال ومظاهره، والهدف الجنسي الطفلي، وخصائص المناطق الشبقية، ومظاهر الاستمناء، ومراحل النمو الجنسي واضطراباتها، ومصادر السلوك الجنسي الطفلي، واختلاف الاستعدادات الجنسية، والاستعداد للانحراف، وأنواع الكفّ الجنسي عندهم.

والرسالة الثالثة تتنال تغييرات المراهقة وقلق الأطفال إزاءها، ومشاكل التهيّج الجنسي، ونظرية الليبيدو، والعوامل المعطلة للنمو الجنسي الصحيح كالاستعدادات التي تدفع إلى حياة جنسية شاذّة، وقد تحدث نتيجة مختلفة لو حال شيء بين الشذوذ الجنسي وأن يبلغ هدفه، وعندئذٍ قد يعبر الشذوذ عن نفسه في صورة أعراض مرضية عصابية، أو يلحقه الإعلاء وتنصرف طاقته في مجالات أخرى مفيدة، كأن يكون نشاطاً فنياً مثلاً. والنضج الجنسي المبكر من عوامل التأثير في النمو الجنسي، وكذلك عوامل الغواية الجنسية، وانطباعات الطفولة من الجنس وتثبتها.

مراجع

هذه المراجع أوردها فرويد نفسه كمصادر لمعلوماته وخاصة عن رسالته الأولى:

- H. Ellis: Studies in the Psychloogy of Sex. (1903)

- I. Bloch: Beiträge zur Aetiologie derPsycopathia sexualis. (1902)

- M. Hirshfeld: Die objektive Diagnose der Homosexualität. (1899)

R. von Krafft - Ebing: Zur Erkärung der conträren Sexualempfindung. (1895)

❖ ❖ ❖

- ج -
حرف الجيم

- جانيه، بيير...

- **Janet, Pierre...**

(١٨٥٩ - ١٩٤٧) يقول أصحاب التحليل النفسي من غير مدرسة فرويد، إن جانيه هو واضع علم التحليل النفسي. وينقسم المؤرّخون إزاء ذلك، والبعض يؤكد أن جانيه كان أسبق من فرويد. وفي المؤتمر الطبي الدولي الذي عقد سنة ١٩١٣ وقعت مشادة بين جانيه وبين إرنست جونز حول هذه المسألة، وادّعى جانيه أن فرويد سرق فكرته في التحليل النفسي وشوّهها. ولجانيه مقال بعنوان «التحليل النفسي L'Analyse Psychologique» تحدث فيه عن التداعي الحر والعلاج النفسي للمريض، بإعادة تثقيفه ورفع معنوياته وتعميق إيمانه وترشيده أخلاقياً. ويناقش في كتابه «العلاجات النفسية Les Médications Psychologiques» (١٩١٩) العلاج بالتحليل النفسي إلا أن فرويد انتقده وعدّ كلامه فيه سطحياً، وذلك أن جانيه كان يعتبره طريقة تنفيس وتصريف عن المخزون من الكدر النفسي والذكريات المؤلمة والصادمة التي من شأنها استحداث تصدّع في الشخصية، ولا شيء أكثر من ذلك، وأغضب فرويد أن يصف جانيه اللاشعور الذي قال به فرويد بأنه مفهوم اصطلاحي لا غير لتسهيل الفهم ولكنه بدون دلالة حقيقية، وقوله إن فرويد أخذ عنه وعن شاركو طريقة التحليل النفسي، وقوله إن طريقة فرويد في التحليل النفسي برصد أقوال المريض وحركاته غير مجدية، لأن المريض يعي أنه يُرصد ما يصدر عنه، ومن ثم لن يكون تلقائياً وسيحذر المعالج، وكانت طريقة جانيه على العكس تقوم على تدوين الملحوظات عن المريض بعد الجلسة وأثناءها.

وسفّه فرويد إنتقادات جانيه ولم يعتبرها إنتقادات موضوعية، ونفى بشدة أن يكون جانيه قد تواجد معه أيام كان يدرس على شاركو، أو أن يكون قد ذكر أي شيء عن التحليل النفسي أو التداعي الحر في وقت سابق عليه، أو أن يكون قد التقى به في يوم من الأيام أو استمع لمحاضراته في باريس، واتهمه أنه وراء

الشائعات التي يقودها صحفيون وعلماء فرنسيون للترويج بأنه صاحب فرة التحليل النفسي، وكتب إلى ماري بونابرت يُسخّف وجهة جانيه التي ينتقد فيها مزاعم فرويد أن الصراعات الجنسية هي أساس العصاب، وكانت كلمات جانيه «هذا الكلام عن الأصل الجنسي للعصاب لم نسمع به علمياً إلا في فكري كالمناخ الفكري السائد الآن في ڤيينا» (يقصد بذلك التعريض بفرويد الذي كان يدعو دعوته هذه في ڤيينا باعتبار أنها عاصمة للمجون والجنس).

مراجع

- Percival, Bailey: Freud and Janet (1950).
- Jones, E.: the Life and Work of Sigmund Freud. (1953)

❖ ❖ ❖

– « جزء من تحليل لحالة هيستيريا»...

- «Fragment of an Analysis of a Case of Hysteria» (E.);...
- «Fragment d'une Analyse d'Hystérie (F.)...
- «Brunchstück einer Hyterie-Analyse»)» (D.)...

الحالة التي نحن بصددها تشتهر في التحليل النفسي باسم حالة دورا، وهي إحدى خمس حالات، تولى نشر فرويد لها بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٨، وبدأها بحالة دورا، ثم حالة هانز الصغير، فحالة الرجل الفأر، ثم حالة شريبر، وأخيراً حالة الرجل الذئب.

وفي خطاب لفرويد إلى صديقه فليس بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة١٩٠٠ نعرف أنه بدأ علاج الفتاة دورا ولم يُقيَّض لهذا العلاج أن يتم، لأنها اتهمته في ٣١ ديسسمبر من السنة نفسها، فلم تستمر فيه إلا أحد عشر أسبوعاً، وانتهى فرويد من كتابة تقريره لحالتها في يناير سنة١٩٠١، ولكنه

آثر أن لا ينشره إلا بعد فترة حفاظاً على سرية الحالة، ولم ينشره فعلاً إلا سنة ١٩٠٥ باسم «جزء من تحليل لحالة هيستيريا» لأنه كان جزءاً بالفعل ولم يكن دراسة متكاملة عن الحالة. والتقرير أو المقال يعتبر امتداداً لكتابه «تفسير الأحلام» الذي أصدره سنة ١٩٠٠، وكان فرصة للمزيد من مناقشة ما سبق أن أعلنه في كتاب الأحلام السالف، ولعلّه لهذا نوى أن ينشر الحالة بعنوان «الأحلام والهيستيريا» إلا أنه لم يفعل وآثر العنوان أعلاه. ويجعل فرويد دراسة الأحلام شرطاً لفهم العمليات الأولية اللاشعورية للعصاب والذهان معاً. وفي التقرير يكشف فرويد عن الكثير من حرفيات التحليل النفسي وبخاصة حرفية التحويل، ويعزو فشله الجزئي في مواصلة علاج حالة دورا إلى عجزه عن السيطرة على ظاهرة التحويل. وقد رأت دورا فيه شخصيات من حياتها كانت تناصبهم العداء، فأنزلت إنتقامها بهم في شخص فرويد، بالانسحاب من العلاج دون أن تتمَّه.

وحالة دورا استمرار لكشوفه التي كان قد أعلن عنها في كتابه «دراسات في الهيستيريا» (١٨٩٥)، ومنذ صدور هذا الكتاب وحتى نشر حالة دورا (١٩٠٥) طرأت على التحليل النفسي الكثير من المستحدثات، وكان المعمول به وقت صدور الدراسات أن يبدأ التحليل من الأعراض ويتناول الواحد بعد الآخر، ولكن فرويد تخلى عن هذه الطريقة لعدم مناسبتها لطبيعة العصاب، وآثر أن يترك للمريض أن يختار بنفسه موضوع الحديث بينهما، وبذلك يتيح للاشعور أن يبدأ من النقطة أو الموضوع المهيّأ للمناقشة.

وكان فرويد قد تسلّم من والد المريضة نبذة عن حياتها، وكان من رأيه أن يطلب المحلّل إلى المريض نفسه أن يحكي له القصة الكاملة لحياته ومرضه. والمرضى عادة يعجزون عن أن يشرحوا بالتفصيل شكاواهم، وهناك دائماً فجوات وألغاز ومواضع غامضة وعلاقات غير مترابطة، ويفسّر فرويد ذلك بأن المريض يحتجز عن وعي وقصد جانباً من حياته لا يتحدث فيه، لأن حياءه يغلب عليه أن يتناوله، ويُسمَّى ذلك الاحتيال الشعوري. على أن هناك أيضاً إحتيالاً لاشعورياً

يحاول به المريض أن يخفي دون قصد جوانب أخرى، بالإضافة إلى أن هناك مواضع نسيان لذكريات قديمة وحديثة، وخداعات ذاكرة، وذكريات كاذبة تتكون لتملأ الفجوات التي يستحدثها النسيان.

ودورا كما يصفها فرويد شابة في الثامنة عشرة، وتتكون عائلتها من الأبوين وأخ أكبر منها بسنة ونصف، وكان أبوها هو ألمع الأسرة لذكائه وشخصيته، ولذلك أحبته دورا منذ السادسة. وترجع إصابتها للعصاب إلى وراثة عائلية، فالأب نفسه عانى من خلط عقلي لفترة، وأخته الكبرى أصيبت هي بالعصاب، وكذلك أخوه الأكبر، وبدأت تظهر الأعراض العصابية على دورا نفسها في الثامنة من عمرها، وكانت تعاني من عسر تنفّس مزمن، وفي الثانية عشرة كانت ما تزال تسعل وتعاني من بحة في الصوت، وكانت الأعراض الأساسية لحالتها هي الاكتئاب العصابي، وبدت كارهة لأبيها، وتزدري أمها لأنها تحاول أن تستدرجها للعمل في البيت مثلها، فقد كانت الأم مصابة بما يسمّى عصاب ربة البيت، وتنتقم من زوجها وابنتها بالانشغال عنهما بالتنظيف وغيره ومضايقتهما به. وكتبت دورا خطاباً لوالديها تودعهما فيه وتعرب عن يأسها من حياتها، وهذا الخطاب هو الذي دفع الأب أن يعرضها على فرويد، واستخلص فرويد أن البنت كانت تعاني من جنسية مثلية لصديقة العائلة مدام ك، وأنها كانت تغار منها أو عليها نتيجة علاقة مدام ك الغرامية بأبيها، وأن السيد ك حاول مغازلتها فأيقظت مغازلته لها حبها الأوديبي لأبيها، وبعد أن كانت تحب مدام ك عادتها وطلبت من أبيها قطع علاقتهم بأسرتها، وكان واضحاً أن مغازلة ك لها هي الصدمة النفسية في حياتها، وهي الشرط الضروري لحدوث أي إضطراب هيستيري. ومن رأي فرويد أن الهيستيريا عادة تولّد عند الإثارة الجنسية الاشمئزاز، وما استشعرته دورا في هذه المناسبة خلَّف عندها هلوسة حسيّة تتعاورها بين الحين والآخر، فكانت تستشعر بأن شيئاً يضغط على الجزء العلوي من جسمها يُشبه ضغط العناق، وكانت تخاف أن تمر بجوار أي رجل تراه منهمكاً في حديث عاطفي مع إمرأة. واستنتج فرويد أنها في تجربة العناق التي

عرفتها مع ك إستشعرت إنتصابه، وكبتت في نفسها هذا الإحساس الصادم، وحلّ محله إحساس بريء يضغط على صدرها، وانتقل الإحساس من الجزء السفلي من جسمها إلى جزئها العلوي، وكان الاشمئزاز و العَرَض المناظر لكبت المنطقة الشبقية الفموية، وكانت دورا تنتقد وتكرر انتقادها لعلاقة أبيها بمدام ك، وتحمل سلسلة الانتقادات إفتراض إنتقادات من النوع نفسه ضد الذات، وانتقادها لأبيها كان أسلوباً طفلياً تحمي به نفسها وكأنها تقول له إن كنت قد أحببت السيد ك فأنت أيضاً أحببت السيدة ك. وكانت لها مربية تدري بعلاقة أبيها بالسيدة ك وتستحثها أن يكون لها موقف من ذلك، وأحبَّتها، إلا أنها تبينت أن المربية لم تكن مخلصة لها وإنما كانت تحب أباها، وما كان اهتمامها بها إلا لذلك السبب. وكذلك كان حال دورا فقد بادلت السيدة ك محبتها، ولكنها تبيِّنت أن هذه السيدة لم تكن تحبها من أجلها ولكن من أجل أبيها، فكرهتها، واعتبرت الجميع متآمرين، واعتبت نفسها شريكة معهم في المؤامرة، وأن سكوت أبيها عندما سمعها تتهم السيِّد ك بالتغرير بها أنه قد فعل ذلك كنوع من التنازل المتبادل للسيد ك، كما لو أن التنازل عن ابنته للسيد ك مقابل تنازل السيد ك عن زوجته له. وكان يبدو أن رفضها لمغازلات السيد ك لا عن كراهية له وإنما لأن حبه لها كان صفقة لحب أبيها لزوجة ك، ولذلك أعلنت عن كراهيتها لأسرة ك ولأبيها. وقد تبين لفرويد أن دورا وقد أحبت أباها استبدلته بالسيدة ك. ثم إن تعينها بأبيها وبدوره الذكوري جعلها تحب السيدة ك. وتعينها بأبيها هو الذي جعلها تأتي سلوكه حتى في الكحَّة. ولاحظ فرويد أن زوجة ك كانت تمرض كلما عاد زوجها من السفر تعبيراً عن كراهيتها له وعزوفها عن ممارسة الجنس معه، وأن دورا على العكس كانت تمرض كلما سافر ك، فإذا عاد تلاشت أعراض المرض عندها. وكان فقدان الصوت من أعراض دورا، ويشخصه فرويد بأنه بسبب غياب حبيبها ك. وذهب إلى تفسير استمرار حالة السعال عندها بتخيلات جنسية مصدرها أن أباها كان عاجزاً جنسياً، واعتبرت أن علاقته بالسيدة ك لم تكن علاقة جنسية سوية

وإنما علاقة فموية، وهذه معلومة إستقتها من السيدة نفسها عندما كانت تحدثها عن الجنس عموماً حيث قالت إن من الممكن استخدام أعضاء غير أعضاء الجنس، فكانت لذلك هذه الحساسية العصابية عند دورا في الحلق والتجويف الفموي، ولم يكن سعالها إلا تمثيلاً للإشباع الجنسي عن طريق الفم. ولا يجد فرويد حرجاً في مناقشة الجنس مع دورا على صغر سنها، فتسمية الأشياء بأسمائها ليس عيباً، ولا حرج في مناقشة الجنس مع المرضى، وباتباع القليل من الحرص يكون كل ما يحدث هو ترجمة ما كان لا شعورياً إلى أفكار شعورية، وليست الانحرافات الجنسية إلا صوراً متطوّرة لاستعدادات جنسية كانت لا متمايزة في الطفولة وحُرّفت إلى أهداف لا جنسية. والملاحظ أن كل العصابيين لديهم بشكل بارز نزعات إنحرافية تتعرض للكبت أثناء نموّهم فتصبح لاشعورية، ولذلك تكشف تخيلاتهم اللاشعورية عن المضمون نفسه الذي تكشف عنه الأفعال الواقعية عند المنحرفين، وتستمدّ القوى الدافعية التي تؤدّي إلى تكوين العصاب طاقتها من الجنسية المكبوتة ونزعات الانحراف اللاشعورية. ويصف فرويد تكرار إتهامات دورا لأبيها بأنها ذات طبيعة قهرية، وأنها تخفي مشاعر جنسية مثلية للسيدة ك، وأن العصابيين جميعاً ينطوي تكوينهم عموماً على استعداد جنسي مثلي، وأنه عند المرأة أو الفتاة العصابية مثل دورا، عندما يتعرّض الليبيدو المتجه إلى الرجال للقمع الشديد، فإن الليبيدو المتجه إلى النساء يتدعَّم بشكل منتظم وتعويضي وعلى نحو شعوري إلى حد ما. وإتهامات دورا لأبيها من نوع الغيرة التي تستشعرها لامتلاك أبيها للسيدة ك. وكأن الولع بالنساء من جانب الأنثى خاصية نمطية لا تكون إلا بالإناث الهيستيريات كنمط شبقي لاشعوري.

وخلال الفترة التي آل فيها إلى فرويد علاج دورا غير المكتمل، تسنّى له أن يقوم بتحليل حلمين اثنين لها، واكتشف فيهما الكثير من التفاصيل التي تكشف عن أسرار حالتها. والحلمان مناسبة تطبيقية لممارسة كل حرفيات تحليل الأحلام ممارسة حرص عليها فرويد كمحاولة لتأصيل أسس تحليل الأحلام، وواصلها في

مقالات متلاحقة من بعد مثل مقاله «في استخدام تفسير الأحلام في التحليل النفسي» (١٩١١).

ولا يَعتبر فرويد نظريته في الهيستيريا نظرية سيكولوجية، ولكن السيكولوجي هو حرفيات التحليل النفسي، وأما النظرية فلا ترفض القول بأن للأعصبة أساساً عضوياً. وليس من شك في أن الوظيفة الجنسية من العوامل العضوية المتسبّبة في الإصابة بالأعصبة، والهيستيريا خاصة. ويكرر فرويد أن الجنسية هي مفتاح مشكلة العصاب النفسي، ويُعرِّف ما يسميه بالتحويلات أنها طبعات متكرّرة أو نسخ طبق الأصل للنزعات والتخيلات التي تنبعث وتصبح شعورية أثناء تقدم التحليل، ومدارها المعالج النفسي الذي تضعه مكان شخص من الماضي، ويفرّق بين هذه الطبعات المتكرّرة والطبعات الأخرى المنقحة والتي يتعرض المضمون فيها لتأثير التسامي وتصبح شعورية بارتباطها بشخص المعالج أو بظروفه. وينبّه فرويد مرات ومرات إلى ظاهرة التحويل وأنها لا يمكن تحاشيها، وأن من اليسير أن يتعلم المحلّل النفسي حرفيات التحليل وتفسير الأحلام، وأما التحويل ففيه شيء لا يمكن تعلمه ويتوقف على مهارة المحلّل نفسه واستشفافه لهذه الظاهرة. وكان الأحرى بفرويد أن يسأل دورا في الوقت المناسب ما إذا كانت قد حوّلت مشاعرها تجاه أبيها، وتجاه السيد ك إلى فرويد نفسه، أو هل لاحظت في تعامله معها أي نوايا سيئة شبيهة بنوايا السيد ك، ويستوي في ذلك أن تكون هذه النوايا سافرة أو في صورة متسامية، وعندئذ كان من الممكن أن تتنبه دورا للتحويل وإلى ضرورة تصفيته. وكان الحلم الأول الذي روته دورا لفرويد بمثابة إعلان لتحولها من الرجل الذي تحبه وهو ك إلى أبيها، أي هروبها من الحياة إلى المرض، ولم يكن أمامها إلا فرويد فأسقطت عليه مشاعرها تجاه أبيها لمشابهة بينهما في خيالها، وكانت لا تنقطع عن مقارنته بأبيها. وربما لأسباب مالية تعود إلى ما يتقاضاه فرويد منها كأجر وجدت أنه يخونها كأبيها، فانتقمت منه بترك العلاج بعد ذلك. وتأكدت عملية التحويل في الحلم الثاني، وكان واضحاً أنه يعني أن الرجال كلهم من الفظاعة

حتى أنها لتؤثر أن لا تتزوج، وذلك هو انتقامها، وهي قد انتزعت نفسها من أبيها ومن فرويد - أي من المرض واستردّت حياتها وذلك هو مضمون الحلم.

مراجع

- Freud: Interpretation of Dreams. (1900)

: The Handling of Dream - Interpretation in Psychoanalysis.(1911)

❖ ❖ ❖

- جمعيات التحليل النفسي في حياة فرويد...

- Psychoanalytical Societies in Freud's Life...

- جمعية الأربعاء Wednesday Society: أرسل فرويد في ربيع سنة ١٩٠٢ الدعوة لأربعة هم: كاهانا، ورايتلر، وشتيكل، وأدلر، يقترح عليهم أن يجتمعوا في بيته للتحدث في التحليل النفسي ومناقشة إنجازاته في هذا المجال، وكان وقتها يسكن في شارع بيرجاسيه، في الدور الأرضي، في شقة من خمس حجرات، منها إثنتان، واحدة مكتب، وأخرى لاستقبال المرضى. ويذكر شتيكل أنه اقترح على فرويد هذه الاجتماعات وأقرَّ فرويد بذلك ولو أنه لم يذكر إسم شتيكل، ومن ثم فإن شتيكل ينسب لنفسه تأسيس أول جمعية للتحليل النفسي. واتفق الحاضرون على أن تكون إجتماعاتهم مساء كل أربعاء، وأن يخصّصوا لذلك حجرة الاستقبال، وزوّدوها بطاولة مستطيلة تستوعب جلوسهم إليها في راحة، وأطلقوا على اجتماعاتهم إسم «جمعية الأربعاء النفسانية Psychological Wednesday Society»، وكان شتيكل يورد نبذة عما يدور في الاجتماعات من مناقشات في صحف الأحد. وزاد عدد الحاضرين من بعد، ومنهم ماكاس جراف، وهوجو هيلر (ناشر فرويد)،

وألفريد مايزل، ثم كان من اللامعين بول فيدرن(١٩٠٣) وإدوارد هيتشمان (١٩٠٥) وكان يحضر مع فيدرن، وأوتو رانك(١٩٠٦)، وحضر وحده بتوصية من أدلر وكانت معه النسخة الخطية من كتابه «الفن والفنان»، وإيزودور سادجر (١٩٠٦)، وجويدو بريشر، وماكسيميليان شتاينر، وفريتز ويتلز (١٩٠٧) - وكان ويتلز إبن أخت سادجر وعرّفه بفرويد، ولم يستمر إلا ثلاث سنوات واستقال سنة (١٩١٠) - وساندور فيرينزي، وأوسكار ري، ورودلف أورباتشتش (١٩٠٨)، وفراديونج، وڤيكتور توسك (١٩٠٩) - ولودڤيج يكلز، وهانز ساخس، وهيلبرت سيلبرز، وألفريد ڤون ڤينتر شتاين (١٩١٠)، وكل هؤلاء كانوا من اليهود.

ومن ضيوف الجمعية في عهدها الباكر ماكس آيتنجون (يناير ١٩٠٧)، وكارل يونج، وبنزفانجر (مارس ١٩٠٧)، وكارل أبراهام (ديسمبر١٩٠٧)، وبريل، وجونز (١٩٠٨) وكارباس، وكاربينسكا (١٩٠٩).

وكانت الجمعية قد بدأت تقتني مكتبة سنة ١٩٠٨، فلما كانت سنة ١٩٣٨ وقت أن صادرها النازي كانت أعداد الكتب بها مهولة، واتخذت لنفسها إسماً جديداً هو «جمعية ڤيينا للتحليل النفسي Vienna Psychonalytical Society» (١٥ أبريل سنة ١٩٠٨)، وانتخب رانك سكرتيراً لها، وفي ١٩١٠ انتخب أدلر رئيساً، وشتيكل نائباً للرئيس، وشتاينر أميناً للصندوق، وهيتشمان أميناً للمكتبة، وأما فرويد فكان الأمين العام.

❖ ❖ ❖

- جمعية برلين للتحليل النفسي:

أنشأها أبراهام في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٠٨، بالاشتراك مع أربعة أعضاء آخرين هم: إيڤان بلخ، وهيرشفيلد، ويوليوس بيرجر، وكوربر وانضمّ إليها آيتنجون من بعد، ولم يمارس التحليل في البداية، وكان أبراهام هو الوحيد الذي مارس التحليل النفسي من أعضاء الجمعية من قبل تكوين الجمعية ومن بعد تكوينها.

❖ ❖ ❖

- جمعية فرويد بزيورخ: أُنشئت سنة ١٩٠٧، وكان أعضاؤها من الأطباء وعددهم عشرون طبيباً، كلهم من محبّي فرويد، وانضم كيلر، وبفيستر، ومن غير السويسريين إنضمّ أساجيولي من فلورنسا (١٩١٠) وتريجانت بارو من بالتيمور، وليونارد سايف من ميونيخ، وستوكماير من توبنجن.

❖ ❖ ❖

- جمعية نيويورك للتحليل النفسي: أنشأها بريل في ١٢ فبراير سنة ١٩١١ من عشرين عضواً، وكان أونوف نائباً للرئيس، وفرنيك سكرتيراً، ولم يطرأ عليها التغيير، وانتهت بوفاة أوبندورف آخر من كان يُمارس التحليل النفسي من أعضائها.

❖ ❖ ❖

- الرابطة الأميركية للتحليل النفسي: أنشأها إرنست جونز بنيويورك، وعقدت أول اجتماع ببالتيمور في ٩ مايو سنة ١٩١١، وحضره ثمانية هم: تريجانت بارو، وماكردي، وأدولف ماير، وتانيهيل، وجميعهم من بالتيمور، ورالف هاميل من شيكاغو، وبوتنام من بوسطن، ويونج من أوماها، وجونز من تورينتو. وفي الاجتماع الثاني الذي عقد سنة ١٩١٢ كان عدد الأعضاء الحاضرين أربعة وعشرين.

❖ ❖ ❖

- جمعية بودابست للتحليل النفسي: تأسّست في ١٩ مايو سنة ١٩١٣، برئاسة فيرينزي، وهولوس نائباً للرئيس، ورادو سكرتيراً، وليفي أميناً للصندوق، ومن أعضائها إيجنوتس.

❖ ❖ ❖

- جمعية لندن للتحليل النفسي: تأسّست في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٣، برئاسة إرنست جونز، ودوجلاس بريان نائباً للرئيس، وإيدر سكرتيراً، وأعضاؤها تسعة لم يُمارس منهم التحليل النفسي إلا أربعة: إيدر، وبريان، وفوراسايس، وجونز، وانضمّ إلى هؤلاء من بعد بيرنارد

هارت، ورفض وليام مكدوجال، وهافلوك إليس الانضمام إليها. وأعيد تنظيم الجمعية في فبراير سنة ١٩١٩ وكان أعضاؤها حينئذٍ عشرين عضواً.

❖ ❖ ❖

- جمعية التحليل النفسي الحر
:Society For Free Psychaonalysis

أنشأها ألفريد أدلر (١٨٧٠ - ١٩٣٧) سنة ١٩١١، رداً على فصل فرويد له من جمعية ڤيينا للتحليل النفسي، ومن رئاسة تحرير مجلة Zentralblatt، بدعوى أن التحليل النفسي فرع من علم النفس، وأنه بهذه الصفة متاح لكافة العلماء، على عكس ما يدعو إليه فرويد من أن التحليل النفسي إبداعه الخاص، وأنه لا اجتهاد فيه يخرج عن إطار مفاهيم فرويد. وقد كان الكثيرون من أتباع فرويد يشكون من استبداد فرويد، وأنه لا يريد معه علماء أنداد ولكنه يريدهم أتباعاً. وانضمّ لأدلر في هذه الجمعية جميع الذين استقالوا معه من جمعية ڤيينا: باخ، وميداي، وبارون هاي، وفورت مولر، وفرانز جرونر، وجوستاف جرونر، وهيلفير دينج، وبول كليمبرر، وأوبنهايم.

❖ ❖ ❖

- الجهاز النفسي...

- Psychic Apparatus (E);...

- Appareil Psychique (F.);...

- Psychischer Apparat (D.)...

الجهاز النفسي إفتراضي، والأساس في تصوّره عند فرويد أساس نفسي وليس أساساً تشريحياً، ويُشبّهه بالآلة المركبة المقسّمة إلى مناطق بحسب اختصاصاتها، ويُطلِق عليها إسم الأنظمة النفسية، ويجعل لكل منا مهامه الوظيفية، وتندرج جميعها ضمن وظيفة موحدة هي الحفاظ على الطاقة النفسية عند أكثر مستوياتها انخفاضاً طبقاً لمبدأ الثبات، ويُساعد تمايزه في أنساق أو أنظمة نفسيّة على فهم تحوّلات الطاقة فيه من الحالة الحرّة إلى الحالة المقيّدة وفَهْم عمليات الشحن المضاد والشحن المفرط، وتقسيم

العمليات النفسية إلى شعورية، ولاشعورية، يصفها بأنها تقسيمات كيفية، ويخصّص للاشعور العمليات الأوّلية، وللشعور وما قبل الشعور العمليات الثانوية. وينسب الإصابة بالعصاب للصراع بين اللاشعور وبين الشعور وما قبل الشعور. ولم يقدم فرويد تصوّره الطبوغرافي للجهاز النفسي إلا سنة ١٩٢٣، وأقسامه فيه هي الأنا والهو، ثم تخارج الأنا من الهو بتأثير العالم الخارجي على الطبقة القشرية من الهو. وفي الأصل لم يكن إلا الهو المزوّد بأعضاء الحسّ لاستقبال المنبّهات، وبجهاز للوقاية من التنبيه المفرط. والأنا كمنظمة نفسية كان نشوؤها كوسيط بين الهو والعالم الخارجي، والهو يحوي كل ما هو موروث، ويضم الغرائز، بينما الأنا يختص بالحركة الإرادية نتيجة العلاقة التي تكوّنت بين الإدراك الحسّي والحركة العضلية.

وتُناط بالأنا مهمة حفظ الذات بالدخول في خبرات محسوبة والاستفادة منها تذكرياً، وتجنّب المنبّهات المفرطة والتكيّف مع المعتدلة، وعمل التعديلات المناسبة في العالم الخارجي لمصلحته التوائمية. ومن شأن هذه المهمة داخلياً أن يعمل الأنا على السيطرة على المطالب الغريزية أو قمعها، ويصيبه من التعرّض للمنبهات توترات، بعضها لذيذ وبعضها مؤلم، فينشد ويتابع اللذيذ ويتجنّب المؤلم، وإذا توقع الألم من الداخل أو الخارج إستجاب بالقلق لحالة الخطر، ومن الأنا يتخارج الأنا الأعلى كمنظمة مشتقة تتمثل فيها كل مثاليات الأنا، وتصدر في أحكامها عما يسمّى الضمير وهو الوظيفة الناقدة للأنا الأعلى. وعمليات الهو لاشعورية، بينما عمليات الأنا والأنا الأعلى شعورية وما قبل شعورية ولاشعورية.

مراجع

- Freud: An Outline of Psycho-analysis. (1940)

❖ ❖ ❖

– الجنسيَّة...

- **Sexuality (E.);...**
- **Sexualité (F.);...**
- **Sexualitlät (D.)...**

يُفرِّق فرويد بين ما هو جنسي Sexual وما هو تناسلي Genital، فالقُبلة مثلاً والاستمناء كلاهما سلوك جنسي، بينما المواقعة بهدف الإنجاب سلوك تناسلي. والجنسي عند فرويد معناه أوسع من المعنى المتعارف عليه، ويُدرج ضمنه الانحراف الجنسي والجنسية عند الأطفال. ويسلك المنحرفون إزاء موضوعاتهم الجنسية كسلوك الأسوياء إزاء موضوعات رغباتهم. والمنحرفون صنفان: صنف إنحرافه من حيث الموضوع الجنسي، وصنف إنحرافه من حيث الهدف الجنسي، ومن الصنف الأول الذين ينصرفون عن تزاوج الأعضاء التناسلية ويستبدلون بعضو التناسل عند شركائهم في الفعل الجنسي جزءاً أو عضواً آخر من أجسامهم، كالفم أو الشرج بدلاً من المهبل، ومنهم أيضاً الذين يطلبون اللذة الجنسية في الأعضاء التناسلية ومنهم أيضاً الذين يطلبون اللذة الجنسية في الأعضاء التناسلية باعتبارها كذلك، وإما لوظائف أخرى للأعضاء التناسلية تلزمها تشريحياً، أو لاشتراكها في المكان مع أعضاء أخرى، ومنهم كذلك الذين يستبدلون بأعضاء الجنس أدوات كخصلات الشعر أو الأحذية أو قطعة من الملابس الداخلية للجنس الآخر، وهؤلاء جميعاً إنحرافهم من حيث الموضوع الجنسي. ومن الصنف الثاني المنحرفون الذين يستغنون عن المباشرة الصريحة بأفعال هي أصلاً من المقدمات للمباشرة وتمهّد لها، كما عند الذين يلتمسون اللذة من إنزال الألم بموضوعاتهم الجنسية، وفي مقابلهم الذين يستعذبون الألم ينزل بهم من الطرف الآخر، وهؤلاء جميعاً إنحرافهم من حيث الهدف من الجنس. وهذان الصنفان من المنحرفين قد يكون منهم من يسعى عملياً لتحقيق انحرافه، ومنهم من يمثّل انحرافه بالخيال. وللانحراف في حياة هؤلاء الناس الدور نفسه الذي للإشباع الجنسي السوي. ومن

الخطأ أن نفسّر الانحراف سواء في صلاته بالموضوع الجنسي أو الهدف الجنسي بأنه علامة من علامات الانتكاس Degeneration كما يقول إيفان بلوخ، فمما قد ثبت كلينيكيّاً أنّ هؤلاء المنحرفين بهم ما يهيؤهم للانحراف، وأن انحرافاتهم موجودة فيهم كامنة، ولا يوجد عصابي واحد إلا وعنده من الأدلة ما يثبت أن له ميولاً ستجناسية Homosexual، وأن الكثير مما يُبديه من أعراض ليس إلا تعبيراً عن الانحراف الكامن فيه، وحتى المرضى بالبرانويا يظهر من سلوكهم أن تداعيهم بالمرض ما كان إلا بمحاولة للتغلّب على الدفعات الاستجناسية شديدة الوطأة عليهم. وتلعب أعضاء الجسم جميعها عند المرضى بالهيستيريا بالإضافة إلى وظائفها العادية دوراً جنسياً شهوياً Erotic قد تسيَّد على الوظيفة الأصلية ويشيع فيها الاضطراب، وهذا نفسه هو ما يحدث في الانحرافات الجنسية، مع فارق واحد أنه في الانحرافات تكتشف الأعراض بسهولة، وأما في المرض النفسي كما في الهيستيريا فلا بدّ من تأويل الأعراض وردّها إلى أسباب لاشعورية من شخصية المريض. وكما أنه في العصاب تُقسَر الحاجة الجنسية عندما تصادف الحرمان على انتهاج مسالك شاذة، فكذلك في الانحرافات الجنسية فإن الإحباط الذي يلقاه الشخص السوي إزاء إشباع حاجاته الجنسية قد ينحرف بسلوكه الجنسي، وكلما كان الإحباط شديداً كلما كان الانحراف شديداً، تماماً كما في المرض النفسي، ومن شأن العقبات التي تعترض الإشباع الجنسي أنها تظهر النزعات المنحرفة الكامنة. وقد أمكن بالتحليل النفسي الكشف عن أن السنوات الأولى من طفولة المرضى النفسيين والمرضى بالانحراف الجنسي تحمل في طياتها بذور النزعة إلى المرض الانحراف، أو النزعة إلى النفسي، وأن الجنسية المنحرفة ليست غير الجنسية الطفلية مضخمة ومفكّكة إلى مكوّناتها.

وتوجد الجنسية في الأطفال وجودها في الكبار، وليس صحيحاً أن الأطفال تخلو حياتهم من الحاجات الجنسية والاهتياج الجنسي، وأن تلك الحاجات لا تنبعث إلا ابتداءً من سن الثانية عشرة، ولو صحّ

هذا لصحّ أيضاً أن نزعم أن الأطفال يولدون بغير أعضاء تناسلية. وكما أن ظهور هذه الأعضاء لا يحدث إلا في البلوغ، كذلك فإن ما يستيقظ في نفوس الأطفال من البلوغ هو الوظيفة التناسلية، ولا ينبغي الخلط بين الجنسية والتناسل، فالجنسية يولد بها الأطفال، والتناسل يكون مع البلوغ، والدليل على وجود الجنسية عند الأطفال قبل البلوغ إلتزام التربية منذ الطفولة الباكرة بضبط السلوك الغريزي الجنسي وإخضاعه لمطالب المجتمع وإرجائه لحين نضج الطفل عقلياً واجتماعياً، وبدون ذلك فإن هذه الغريزة تمثّل خطراً اجتماعياً وتهدّد البناء الحضاري. ودافع المجتمع لكبح الغريزة الجنسية إقتصادي، لأنه لا يمكن أن يكفل المجتمع لأفراده أن يعيشوا من غير أن يعملوا، وهو مضطر لذلك أن يشغّل طاقة أفراده في غير النشاط الجنسي ويوجهها إلى العمل. ويعرف المشتغلون بالتربية أن تطويع الغريزة الجنسية لا يتيسر إلا إذا بدأ في سن مبكرة جداً، وذلك بدلاً من الانتظار حتى البلوغ الذي تسوء فيه الأمور وتختلط.

والمثل الأعلى للتربية عند الغالبية الغالبة أن يجعلوا حياة الطفل لا جنسية، وانتهى بهم الأمر أن اعتقدوا أنها فعلاً كذلك، بالإضَافة إلى أن السنوات الخمس أو الست الأولى في حياتنا كأطفال ننساها، وليس من سبيل لتذكرها إلا بالتحليل النفسي، ولذلك - ولكل ما سبق - يظن الكثيرون فعلاً أنه لا جنسية عند الأطفال، وأن مرحلة الطفولة هي مرحلة البراءة.

ويذهب فرويد إلى أن المظاهر الأولى للجنسية عند الطفل الرضيع تتمثل في الرضاعة، فإذا شبع منها نام واستراح وظهر عليه الرضا، ثم إنه يكرر فعل المص حتى وإن لم يكن يرضع ويعطيه ذلك إحساساً باللذَّة، ويتعلّم أن يأتي المص كسلوك منفصل عن الرضاعة ومرتبط بالفم والشفتين وهما المنطقة الشهوية الأولى في هذه السن. ويعتبر فرويد أن اللذة المستمدّة من المص لذة جنسية، وأن لعملية الرضاعة أهمية نفسية عميقة تبقى آثارها ملازمة للفرد طوال حياته، وأن الرضع من الثدي هو نقطة البدء في الحياة الجنسية جميعها، وأنه النموذج الأول لكل إشباع جنسي لاحق، وأن الثدي

هو أول موضوع للغريزة الجنسية، وأن الرضيع يتعلّم أن يستعيض عن الثدي بالإبهام وباللسان، وأنه يكتشف أثناء حسّه لجسمه منطقة الأعضاء التناسلية، ويكتشف شدة قابليتها للتهيّج، وينقله ذلك من عملية المص أو المصمصة إلى عملية التهيّج الذاتي والاستمناء، ويدخل ذلك كله ضمن ما يسميه فرويد الشهوية الذاتية Autoerotism، أي الشهوية التي تجد موضوعاتها في جسم الرضيع نفسه. ومن ذلك أيضاً الإخراج والتبوّل، فالطفل يجد فيهما تلذّذاً شهوياً ذاتياً رغم أن المحيطين به يحاولون تقبيحهما له، ومع ذلك فإنه لا يجد أن فضلاته منهما تثير فيه التقزّز، بل إنه ليقرن الأهمية التي يوليها المحيطون به لهاتين العمليتين حتى أنه ليعطي لفضلاته «قيمة». وكلما استخدموا الإغراء معه للتبرّز كلما زاد اهتمامه بفضلاته واعتبرها كشيء من نفسه يختص بها ذويه وأحبابه، وهو أول معنى «للهدية» يثبت عند الطفل، وسيكبر ذلك معه ويعطي قيمة للنقود الشبيهة بفضلاته، وتكون للهدايا قيمة يسرف في إضفائها عليها. وتفسر هذه اللذة الشرجية عند الطفل السبب في أن بعض الناس يستمر معهم التلذّذ بالتبرّز مدى حياتهم، وقد ينحرف استخدامهم للشرج فيتعاملون معه كبديل للمهبل، وهذا يفسّر الارتباط بين الجنسية الطفلية والانحرافات المستقبلة، ويثبت أن الانحراف يبدأ من الطفولة. وإذا كانت هناك حياة جنسية لمرحلة الطفولة فإنها لا بدّ أن تكون من النوع المنحرف، لأن الأطفال في هذه السن لا يتوجهون بجنسيتهم للإنسال. وطالما أن الجنسية لا تتوجه للإنسال فإنها جنسيَّة منحرفة، وفي الإنحراف يحيد المنحرف عن الهدف للجنسيَّة وهو الإنسال ويلتمس اللذة بعيداً عن هذا الهدف. والحدّ الفاصل ونقطة التحوّل في الحياة الجنسية يرتهن بخضوعها لغاية الإنسال، وكل ما يحدث في الطفولة قبل أن يتحقق هذا التحوّل، وكل ما يهدف إلى طلب اللذة بصرف النظر عن هدف الإنسال يُسمَّى باسم الانحراف.

وفي الطفولة تتلخص الحياة الجنسية للطفل في سلسلة نشاطات لنزعات جزئية تسمّى مكوّنات الغريزة، تلتمس كل منها

الإشباع مستقلّة عن الأخرى، وبعضها ينشد الإشباع في جسم الطفل نفسه، وبعضها ينشده في موضوعات خارجية. ويولي الطفل أهمية لأعضائه التناسلية التي يكون عن طريقها إشباعه الجنسي بممارسته للاستمناء اللاشعوري في الطفولة الأولى، وبعض الناس يظلّ معهم هذا الاهتمام بعد البلوغ وينتقل بهم الاستمناء اللاشعوري إلى استمناء مُلح. وفي الطفولة يبدأ حب الاستطلاع الجنسي قبل الثالثة من العمر، ولايبعث عليه ما بين الجنسين من فوارق، لأن الفوارق في هذه السن لا وجود لها عند الأطفال، خاصة الذكور، ويكتشفون الفوارق من بعد، ويتأثر الطفل الذكر بتهديدات والديه له كلما رأوه يُسرف في العبث بأعضائه التناسلية، ويتوّهم التهديد بقطع عضوه الصغير حقيقة، وتتكون لديه عقدة الخصاء، وهي عقدة لها دورها الخطير في تكوين خُلُق الطفل إن ظلّ سوياً، وفي إصابته بالعُصاب إن تداعى للعقدة بالمرض النفسي. وهذه العقدة نفسها هي التي تعرقل العلاج التحليلي فيما يُبديه المريض النفسي من مقومات.

وأما الطفلة الصغيرة فهي إذ تكتشف عدم وجود القضيب عندها تحس بنقص لذلك، وتتمنّى لو كانت صبيّاً ليكون لها هذا القضيب. وهذه الرغبة هي التي تولد عندها الإصابة بالعصاب من بعد، نتيجة إخفاقها في القيام برسالتها كأنثى، بالإضافة إلى أنها تحاول أن تستعيض بالبظر عن القضيب، وتجعل له دوراً مماثلاً لدور القضيب، ويكون موضع تهيّجها وعضو الإشباع الشهوي الذاتي عندها. ويتوقف تحوُّل البنت الصغيرة إلى امرأة على انتقال حساسيتها بالبظر إلى المهبل في وقت مبكر، وليست البرودة الجنسية عند بعض النساء إلا نتيجة عدم الانتقال السابق وإصرار البنت لاشعورياً على أن تستبقي حساسيتها الجنسية في بظرها. وينصب الاهتمام الجنسي للأطفال في بادىء الأمر على حلّ هذا السؤال الخالد من أين يجيء الأطفال؟ والغالب أنهم ينسبون الحمل للطعام، لأنه يحدث في مكان الطعام نفسه من الجسم. ومبعث اهتمام الطفل بهذا السؤال يتأتى من رؤيته لأمه يكبر بطنها، وتفسيرها ذلك بأنها ستلد له أخاً أو أختاً، ثم إنه

يخاف خوفاً أنانياً من هذا القادم الجديد. وهذه الفكرة - أن الأطفال يكون الحمل بهم وولادتهم من الفم عضو الأكل - تظل تحفل بها القصص الخرافية والأحلام، ويتعلّم الطفل أن هذه الفكرة خطأ، وأن للأب دوراً في صنع الأطفال، فإن اتفق وشهد فعلاً جنسياً ظنه محاولة لقهر المرأة، وحسب تأوهها نضالاً منها ضد الاعتداء عليها. ويربط الطفل بين ذلك وبين مجيء الأطفال، فإن رأى على فراش أمه يوماً، أو على ملابسها الداخلية، أثراً من الدم، ظنّ أنه من مخلّفات هذا الاعتداء. وحول سن البلوغ يعرف الطفل الحقيقة، وتكون لها أثر الصدمة على نفسه. وهذه الدراسة الموسعة للجنسية عند المنحرفين، وعند الأطفال، هي التي يؤكد بها فرويد إسهامه في موضوع الجنسية عموماً.

مراجع

- Freud: Introductory Lectures on Psychoanalysis . (1917)

❖ ❖ ❖

- جونز، إرنست...

- Jones, Ernest...

(١٨٩٧ - ١٩٥٨) من الرعيل الأول لحركة التحليل النفسي، ومؤرخ حياة فرويد، وكتابه فيه «حياة وعمل سيجموند فرويد The Life and Work of Sigmund Freud» (١٩٥٣ - ١٩٥٧)، في ثلاثة مجلدات، يُعتبر من أهم المراجع في تاريخ التطوّر الفكري النفساني لفرويد ونشأة حركة التحليل النفسي وتطوّرها. والكتاب دليل على العلاقة الحميمة التي كانت تجمع بين فرويد وجونز، والتي من خلالها استطاع جونز أن يرصد كل كبيرة وصغيرة من حياة فرويد، وأن يعرف منه الكثير من أسرار حياته، ومن أفكاره وأسبابها وما طرأ عليها، وأن يحيط من خلالها علماً بأدوار المحيطين به وعلاقاته بهم. ويتناول المجلد الأول سنوات التكوين لفرويد والاكتشافات التي تأدّى إليها، والتي كانت علامات كبرى في نظريته التحليليّة (١٩٥٣). ويتناول المجلد الثاني سنوات النضج (١٩٥٥)، ويعطي جونز

المجلد الثالث عنوان «الطور الأخير» أي آخر مراحل المدرج الفكري لفرويد (١٩٥٧).

وكان لقاء جونز الحاسم بفرويد سنة١٩٠٩، وبعدها قرر أن يتفرّغ تماماً للتحليل النفسي ولصحبة لفرويد، ولزمه وتتلمذ عليه، وأصدر «المجلة الدولية للتحليل النفسي The International journal of Psycho-analysis» سنة ١٩١٣، فكانت أول مجلة في التحليل النفسي تصدر بالغة الإنجليزية. وشارك جونز في تأسيس معهد التحليل النفسي بلندن، وكان أول مدير لعيادة التحليل النفسي بلندن، وهو الذي استدعى فرويد إلى لندن لما أراد فرويد الهرب من الحكم النازي، ومهّد لإقامته بانجلترا، واستضافه بها، وساعده أيما مساعدة، ووطّد لحُسن استقباله. ولاقى فرويد كل ترحيب من الجالية اليهودية بلندن بفضله. وكان جونز دينامو حركة التحليل النفسي في المهجر (كان فرويد يعتبر التحليل النفسي نتاجاً فكرياً ألمانياً، وموطنه الطبيعي البلاد المتحدثة بالألمانية). وجونز هو الذي دفع الجمعية الطبية البريطانية إلى الاعتراف بالتحليل النفسي كطريقة من طرق العلاج للأمراض النفسية، بعد أن كانت هذه الجمعية رافضة ومنكرة لهذا النوع من العلاجات، وتعتبره روافد من رافد المزمرية (العلاج بطريقة مزمر Mesmer بالتنويم وبالإيحاء)، وكانت المزمرية قد انتهى أمرها ودالت دولتها في عهد مزمر نفسه باعتبارها طريقة غير علمية، ولا يوجد ما يؤيدها من الشواهد العلمية. ولم تكن مفاهيم فرويد مما يمكن التجريب عليه والتثبت من مصداقيته، ومع كل ذلك فقد كان لتأييد جونز، ولجهوده وعلاقاته الشخصية، كل الفضل في الاعتراف بالتحليل النفسي والموافقة على أن يواصل فرويد بحوثه وعلاجاته بطريقته في لندن باعتباره طبيباً، وباعتبار طريقته من الطرق العلاجية الطبية.

ولجونز مقالات قيّمة في تفسير الأحلام، وفي الإيحاء، ومعنى الرمزية، والسمات النفسية لمختلف مرحل التطوّر النفسي الجنسي، والسلوك العصابي. وله «بحوث في التحليل النفسي Papers on

«Psycho-analysis» (١٩١٣)، و«مقالات في التحليل النفسي التطبيقي Essays in Applied Psycho-analysis» (١٩٢٣) في مجلدين. ومن أشهر كتاباته تحليله لشخصية هاملت كما رسمها شكسبير، مقارنة بشخصية الملك أوديب في الأسطورة اليونانية وكما هي عند سوفوكل «Hamlet and Oedipus: The Oedipus Complex as in Explanation of the Hamlet's Mystery» (١٩٤٩)، وكذلك كتابه «التداعيات الحرّة: ذكريات محلّل نفسي Free Association: Memories of a Psycho-analyst».

أعمال أخرى

- Jones: The Action of Suggestion in Psychotherapy. (1910)

: An Example of the Literary Use of a Slip of the Tongue.(1911)

: The Psychopathology of Everyday Life. (1913)

: Mother-right and the Sexual Ignorance of Savages. (1925)

: Introductory Memoir. (1926)

: Child Analysis. (1927)

: The Early Development of Female Sexuality. (1927)

: The Mantle Symbol. (1927)

: Fear, Guilt and Hate. (1933)

: Psychoanalysis and Religion. (1957)

❖ ❖ ❖

باب الحاء

– الحتم المضاعف...

- **Over Determination (E.);...**
- **Détermination Multiple (F.);...**
- **Überdeterminierung (D.)...**

يعني الحتم المضاعف أن التكوين اللاشعوري من مثل العَرَض المرضي أو

الحلم إما أنه محصلة عدة اسباب تحتمه عدداً من المرّات بقدر عدد هذه الأسباب، وإما أن هذا التكوين يحيلنا إلى عناصر لاشعورية متعدّدة يحيل كل منها للآخر حتماً.

وتملك الأعراض الهيستيرية خاصة الحتم المضاعف حيث يستوعب العَرَض الهيستيري شرطان على الأصل يُحتمانه، وينشأ كل منهما من أحد التيارات لحياتنا النفسية، ودون أن يكون هناك حدّ لتضاعف الحتم. ويروي فرويد حالة مريضة كانت تعاني من قيء هيستيري تبين أنه يحقق لها من جهة تخيلاً لا شعورياً يرجع إلى عهد المراهقة في أن تكون حاملاً من غير انقطاع، وأن يكون لها أطفال لا يُعدّون، ويحقق من وجهة أخرى رغبة مضافة هي الرغبة في أن تنجب هؤلاء الأطفال من رجال عديدين قدر الإمكان.

وتعتبر ظاهرة الأحلام أجلى الظواهر للحتم المضاعف، ويشرحه فرويد في كتابه «تأويل الأحلام» (١٩٠٠) بأنه ورود عناصر الحلم مكرّرة، فمثلاً قد تجتمع على إحداث الحالة الوجدانية المعيّنة جميع المصادر القادرة على توليدها، والحتم المضاعف يكون في محتوى الحلم عن طريق التكثر في المعاني التي ينطوي عليها، شأنه في ذلك شأن الأعراض النفسية المرضية. وقد لا يقتصر الحلم على أن يحقق رغبات متعدّدة جنباً إلى جنب، ولكنه يتضمن كذلك جملة من المعاني، وعادة ما تحتّم أفكار الحلم عناصره أكثر من مرة. ومن الأمثلة التي يضربها فرويد للحتم المضاعف حلم إيرما المشهور. وقد يبلغ التكثيف بالحلم إلى حد أن يأتي الحتم المضاعف بتركيب الملامح الحقيقية لشخصين أو أكثر في صورة موحدة، وعلى هذا النحو كان حلم إيرما لفرويد، فقد جاء فيه الطبيب كطبيب يعرفه فرويد، وكان اسمه كإسمه، ويتحدث مثله، ويعمل مثله، لكن خصائصه الجسمية ونوع مرضه كانت لشخص آخر هو أحد إخوة فرويد. ولم يكن الحتم المضاعف سوى في لمحة واحدة في شكلهما هي شحوب الوجه، فهذا الشحوب كان الحقيقة المشتركة بينهما.

ويتناول الحتم المضاعف في الحلم أكثر

أفكاره أهمية فيجعله الأفكار الأكثر تردّداً فيه، وكذلك من الممكن أن تتكرّر في الحلم عناصر ذات قيمة نفسية منخفضة فيعطيها الحتم المضاعف قيماً جديدة، إلا أنه مع ذلك تظلّ العناصر ذات الشدة الحسيّة الأعلى هي الأكثر حتماً.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

: Studies on Hysteria. (1895)

❖ ❖ ❖

– «الحداد والملانخوليا»...

- **«Mourning and Melancholia» (E.);...**
- **«Deuil et Melancholie» (F.);...**
- **«Trauer und Melancholie» (D.)...**

هذا البحث الذي نشره فرويد سنة ١٩١٧ كان ضمن بحث أكبر عن الأعصبة التحولية، كتبه فرويد سنة ١٩١٥ واشتمل على اثني عشر فضلاً ضاعت سبعة فصول منها خلال الدمار والاضطراب اللذين شملا النمسا خلال الحرب العالمية الأولى، ولم يقيض له أن ينشر الباقي إلا بعد انتهاء الحرب. والمقصود بالحداد الحزن العميق، وأما الملانخوليا فهي الكآبة، وهناك تشابه بينهما إلا أن فرويد يقصد إلى إلقاء المزيد من الضوء على حالة الكآبة من خلال مقارنتها بحالة الحزن في الحداد. ويخصّ فرويد حزن الحداد بالذات لأنه رد الفعل الانفعالي إزاء فقد شخص محبوب، وقد يكون المحبوب شيئاً مجرداً كالوطن أو الحرية أو المُثُل العليا، وأما الكآبة فتنتج عن التأثيرات نفسها إلا أنها تنشأ أساساً عند الذين لديهم استعداد مرضي للتداعي بالكآبة. ثم إن الحزن رغم أنه يباعد بين صاحبه والانخراط السوي في الحياة، إلا أنه لا يعتبر حالة مرضية تستوجب عرض المحزون على الطبيب، ولا بدّ حتماً أنه بعد حين سيتغلّب المحزون على حزنه تلقائياً دون تدخل، بل إن التدخل يضرّ بالمحزون أكثر مما يفيده.

وتتميّز الكآبة نفسياً بحالات من الغمّ المصحوب بالألم العميق وفقد القدرة على الحب، وكفّ كل نشاط، وعدم الاهتمام بما يجري في العالم، وشعور بالدونية، والإكثار من اللوم، وتوقع العقاب. وقد توجد كل هذه السمات في الحزن المرافق للحداد، إلا الشعور بالدونية. ومهما طال الحزن فإن اختبار الواقع يثبت للمخزون أن الموضوع المحبوب لم يعد له وجود، ويعمل على أن يسحب الليبيدو كل طاقته المرتبطة بالموضوع، ولا يتم ذلك في يسر ومباشرة، وإنما بصعوبة وبالتدريج، ويعاني المحزون من الصراعات بسببه نتيجة تشبثه بموضوع الحب لأطول مدى، ولكنه في النهاية يذعن للواقع، وعندما يتم ذلك يتحرّر الأنا من حالة الكف ويعود إلى نشاطه بالتدريج.

وفي الكآبة يستطيع المرء أن يدرك أن هناك فقداً للموضوع، ولكن الشعور بهذا الفقد يكون أكثر مثالية، فربما لا يكون الوضوع قد مات فعلاً وإنما فُقد كموضوع للحب، وقد يشعر أنه خسر شيئاً بفقده للموضوع، وإنما يستطيع أن يحدّد ما الذي فقده فيه، مما يوحي بأن الكآبة ترتبط على نحو بفقد لا شعوري لموضوع الحب، على نقيض الحداد الذي لا يوجد فيه شيء لاشعوري فيما يتعلّق بالخسارة.

والحزن في الحداد قد رأينا أنه يستحدث كفاً للنشاط الخارجي، وهو في الكآبة يؤدي إلى كف داخلي يجعل المكتئب يشعر بأنه حقير ووضيع وسافل، ويتدنى بشدة إحساسه بنفسه، ويرثي لحال أقربائه الذين ربطوا مصيرهم به، ولا يرى أنه كان شيئاً في يوم من الأيام. ولا بد أنه وهو يوجه هذه الاتهامات إلى نفسه يكون محقاً على نحو ما، فهو عاجز عن الفعل، ويفتقر إلى الاهتمام، وغير قادر على الحب فعلاً، ولربما يرجع ذلك إلى معاناته الداخلية التي تستغرق كل أناه. وقد يدهشنا أنه كان يتوجب أن يمرض ليرى نفسه على حقيقتها، ولكننا أيضاً سنلمس أنه يغالي في تحقيرة لذاته، وأنه كما لو كان يجد لذة في التحدث عن نفسه بهذا الازدراء. وقد نستنتج من مقارنة حالة الحزن عنده بحالة الحزن المرافقة للحداد أن المعاناة في الاثنتن نتيجة فقد الموضوع، إلا أنه مع المكتئب سنجد أنه وفقاً لما يقوله فإن ما فقده ليس شيئاً من

خارجه ولكنه شيء من نفسه، وأن الاتهامات التي يوجهها إلى نفسه هي بالأحرى إتهامات للموضوع تحوّلت إلى أنا المريض، وأنه بدلاً من أن ينسحب اللبيدو عنده من الموضوع إلى موضوع آخر، فإنه ينسحب إلى الأنا الذي استثمره في التعيّن بالموضوع، ومن ثم فبدلاً من أن يتوجه باتهاماته للموضوع فإنه يوجهها للأنا، وكأن الأنا عنده انشطر إلى جزئين، الأنا اللائم والأنا الملوم، وكأنه عندما اختار الموضوع إختاره أصلاً على أساس نرجسي، فلما خاب أمله فيه نكص اللبيدو منه على نفسه إلى الأنا على الأساس النرجسي. وهذا النوع من التعيّن النرجسي آلية معروفة ويعبّر عن تناقض وجداني، فالأنا يرغب في دمج الموضوع في ذاته، ونكوصه يكون على ذلك إلى المرحلة الفموية أو مرحلة أكل لحوم البشر، وبذلك يتمكن من التهامه. وعلى ذلك تكون من السمات المميّزة الخاصة للكآبة أولاً اختيار الأنا للموضوع على نمط نرجسي، ونكوص اللبيدو إلى مرحلة فموية نرجسية ثانياً، وهذا ما يميّز الحزن في الكآبة عن الحزن في الحداد، أنه مقيّد بشرط من نوع مرضي بحيث يجبر صراع التناقض الوجداني الحزن الكئيب على أن يعبر عن نفسه في شكل لوم للذات، ويؤدّي إلى إدخال مشاعر متعارضة من الحب والكراهية تعزز التناقض الوجداني القائم فعلاً. فعندما يلجأ حب الموضوع الذي لا سبيل إلى التخلّص منه إلى التعين النرجسي بينما يكون قد تم التخلي عن الموضوع نفسه، فإن الكراهية تصب على الموضوع البديل وهو الأنا، وتعنفه، وتنتقص من قدره، وتجعله يعاني، وتستمدّ لذة ذاتية من معاناته، وتفلح في الانتقام من الموضوع بطريق دائري، بمعاقبة الأنا وتنمية المرض ليتحاشى به ضرورة التعبير الصريح عن عدائه تجاه الموضوع. وهكذا ينتهي اللبيدو عند المكتئب لمصير مزدوج، فجزء منه ينكص إلى التعيّن، وجزء يرتد إلى مرحلة سادية، وهذه السادية هي التي تحلّ لغز الميل إلى الانتحار عند المكتئبين. والمكتئب لا يستطيع أن يقتل نفسه إلا بعد أن ينسحب اللبيدو الملتصق بالموضوع إلى الأنا فيعامله كموضع، وبذلك يستطيع أن يوجه الاعتداء ضد نفسه، وهذا يفسر

حالة الأرق عند المكتئب، وحالة الجنون التي قد يتردى إليها وتأتي على فترات متقطعة وتصنّف على أنها جنون دوري.

ونخلص مما سبق إلى أنه يوجد في مضمون الكآبة شيء أكثر مما في مضمون الحداد، ففي الكآبة لا تكون العلاقة بالموضوع بسيطة، ويعقّدها الصراع الوجداني، والأسباب المثيرة للكآبة أوسع مدى من الأسباب المثيرة للحداد التي تنشأ في الجانب الأكبر منها عن فقد حقيقي للموضوع عن طريق موته. والصراعات في الكآبة لا تحصى، ويختلط فيها الحب بالكراهية، فيسعى صراع لأن يفصل اللبيدو عن الموضوع، ويسعى آخر لتثبيت هذا الوضع، ولا يمكن أن تقع هذه الصراعات إلا في اللاشعور، أي في منطقة بقايا الذكريات. وتبذل الجهود لفصل للبيدو بهذا النسق أيضاً في الحداد، ولكن في الحداد لا شيء يعوق هذه العمليات بالطريقة السوية من مستوى ما قبل الشعور إلى مستوى الشعور، وهذا الطريق مسدود في الكآبة، وينتمي التناقض الوجداني إلى ما هو مكبوت، بينما قد تعيد الخبرات الصادمة بعض الأنشطة التي تم كبتها، وهكذا يظل كل ما له علاقة بهذه الصراعات الوجدانية مستبعداً من الشعور إلى أن ينفصل اللبيدو عن الموضوع لينضم مرة ثانية إلى الأنا، ينجو الحب من الإبادة بالهروب إلى الأنا، وبعد نكوص اللبيدو هذا تصبح العملية شعورية، فتبدو في الشعور كصراع ينقسم بين قسم من الأنا وملكة نقد الذات فيه.

❖ ❖ ❖

– حركة التحليل النفسي...

- The Pschoanalytical Movement (E.);...

- Le Mouvement Psychanalytique (F.);...

- Die Psychoanalytischen Bewegung (.)...

يُجمع النقاد على أن فرويد إعتبر التحليل النفسي منذ سنة ١٩١٠ «حركة» بمعنى دعوة تتجاوز مجال العلم إلى

السياسة، وجعل لها جهازاً دعائياً أطلق عليه إسم «اللجنة» وفروعاً تنتشر في العواصم الكبرى وتتكون منها جميعاً ما يسميه «الرابطة الدولية للتحليل النفسي». وكان المنوط باللجنة إلى جانب الإشراف الدعائي أن تحافظ على تراث وتقاليد التحليل النفسي كما وضعها فرويد، ولم يكن يسمح بالخروج على مبادىء التحليل النفسي كأي سياسي ديكتاتوري، ولم يسمح بالاجتهاد فيها، وعندما انشق عنه أدلر وجماعته سنة ١٩١١ فصلهم فرويد بسبب دعوتهم إلى أن يكون لهم رأيهم، وكوّن أدلر جمعيته الخاصة بالتحليل النفسي فأطلق عليهم إسم «جمعية التحليل النفسي الحر»، وأثار قضايا حرية التفكير والبحث العلمي. وما كان فرويد ينحو هذا الاتجاه، وكانت حياته العلمية كلها خصومات بسبب معتقداته العلمية التي لم يكن يُهادن إزاءها أبداً. وإن المرء ليتأمل العدد المهول من العلماء الذين ناصبهم العداء لأنهم خالفوه،وكان من قبل يمتدحهم ويزكيهم، فلا يملك إلا أن يقضي في فرويد بأنه كان سياسياً في العلم، فكان هناك شاركو، وبيرونهايم، وليابولت، وبلويلر، وبريل، وبروك، ودويتش، وهاقلوك إليس فيزينزي، وفليس، وستانلي هول، وهانز هارتمان، وكارين هورني، وبييرجانيه، وكارل يونج، وشتيكل، ورايخ، وميلاني كلاين، وماليتوفسكي، وكارل مييننجر، وهيرمان نونبرج، وكارل كراوس، ووليام، وبجرانت، وأوبنهايم، وياسبرز، وجوستاف أشافينبرج، وتسيهين، وبوريس سيديس، وجوزيف كولنز، وفريد لاندر، وسادجر، وتوسك وباخ، وماداي، وبارون هاي، وفورتمولر، وجرونر، وهيلفير دينج، وكليمبيرر، وأوتو رانك. وعشرات غيرهم. ولم يكن فرويد ينظر إلى نفسه إلا كبطل يهودي قومي. ويروي مؤرخه جونز أنه كان يقول إن اليهود يعدّونه بطلاً قومياً، وانضم إلى جمعية بني بريت B'nai B'rith سنة ١٨٥٩، وظل عضواً بها طوال حياته، وكانوا يعاملونه كنبي من أنبياء بني إسرائيل. ومعنى إسم الجمعية «أبناء العهد»، وهي جمعية ماسونية تحارب العداء للسامية، وأهدافه صهيونية، وأسهمت في المؤتمرات الصهيونية،

وعاونت في الصندوق القومي اليهودي لشراء الأراضي في فلسطين، وطالبت الرئيس ترومان بمناصرة القضية الصهيونية. وكان فرويد عضواً نشطاً بالجمعية، وألقى بها محاضرات تثقيفية منذ سنة ١٨٩٦، وكانت الجمعيات اليهودية وأشهرها الجمعية التاريخية اليهودية تنظم محاضرات في التاريخ القومي اليهودي وتدرج ضمن الشخصيات اليهودية القومية فرويد مع سبينوزا، وآينشتاين، والميموني، وفيلون السكندري. واعتبر مؤرّخو اليهودية أن كتاب «اللاشعور» الذي أصدره فرويد سنة ١٩١٥ هو كتاب يهودي محض يردّ الفكر الإنساني إلى الأصول اليهودية، كما اعتبروا كتابه «تفسير الأحلام» إحياءً للتراث اليهودي في هذا المجال. وكان فرويد يعتبر نفسه ويتحدث عنها باعتباره النبي يوسف في مجال تفسير الأحلام، وكان يحب إسم يوسف ويعتبره من الأسماء التي يتفاءل بها في حياته، فقد كان يسكن في شارع يوسف، وكل من التقى بهم ولهم إسم يوسف كانوا خيراً وبركة عليه، منهم يوسف بروير. وعندما وضح أن استمرار فرويد وجماعته في فيينا سنة ١٩٣٨ كان مستحيلاً مع اضطهاد النازي للتحليل النفسي، جمع فرويد الأعضاء وخطب فيهم قائلاً «بعد تدمير المعبد في أورشليم على يد طايطس طلب الحاخام يوحنا بن يزكاي الإذن بافتتاح مدرسة في يفنه لتدريس التالمود والتوراة» - قيل إنها أول مدرسة تالمودية تؤسّس لهذه الغاية، وبذلك ضمن إبن زكاي للقومية اليهودية الاستمرار كما تقول الموسوعة الصهيونية. ويضيف فرويد «ونحن سنفعل الشيء نفسه، فنحن معتادون على الاضطهاد كما يقول تاريخنا، وبحكم تقاليدنا، وبعضنا قد اعتاد على الاضطهاد بحكم خبراته الخاصة». وتدارك أن ريتشارد ستيربا كان ضمن المجتمعين، وهو مسيحي، فضحك، ويقول جانز معلّقاً «ومع ذلك فإن ستيربا قد رفض إلا أن يُشارك زملاءه اليهود الهجرة». وكما نرى فإن فرويد كان يعتبر التحليل النفسي حركة سياسية، وكان ذلك في اعتبار النازية.

وفي مايو سنة ١٩٣٣ تم إحراق مؤلّفات فرويد في برلين. وعندما شرع فرويد في الهجرة سنة ١٩٣٨ وبلغ باريس، وفي

طريقه إلى لندن، قال لابنه إنه حلم في نومه أنه يصل إلى بفينسي، وعلّق فقال إن بفينسي هي التي حطّ فيها وليام الفاتح عندما وصل من فرنسا إلى بلاد الإنجليز سنة ١٠٦٦، وبمنطق التحليل النفس فإن فرويد لم يكن يعتبر سفرته هذه هجرة وإنما هي فتح وغزو، وكان يعدّ نفسه من الفاتحين الغزاة، أي أنه في لاشعوره سياسي وليس عالماً.

وفي سنة ١٩١٧ كتب إلى أبراهام يذكر أنه لا يؤمن بأي بلد، وأنه لم ينضم يوماً إلى حزب سياسي وطني، وأن الله مع الفرقاء المتنابذين خلال الحرب كحال دونا بلانكا في ندوة توليدو المشهورة لهايني عندما تقول «كل ما يمكن أن أعقّب عليه عن الفريقين أنهما نَتِن Doch es will mich schier bedünken» وهايني كان يهودياً. وفي هذا الخطاب نفسه لأبراهام يقول فرويد: لا يوجد ما يمكن أن يُدخل السرور على القلب إلا هذه الأخبار الوحيدة والمفرحة، أن الإنجليز استولوا على القدس ووعدوا بفلسطين وطناً قومياً لليهود».

(أنظر أيضاً جمعيات التحليل النفسي، والرابطة الدولية للتحليل النفسي).

مراجع

- Jones, E. : The Life and Work of Sigmund Freud. (1953)

❖ ❖ ❖

- خ -

حرف الخاء

- «خمس محاضرات في التحليل النفسي»...

- «Five Lectures on Psychoanalysis» (E.);...
- «Cinq Leçons sur la Psychanalyse» (F.);...
- «Über Psychonanalyse» (D.)...

ألقى فرويد هذه المحاضرات الخمس بجامعة كلارك بورستر من ولاية ماساشوستس بالولايات المتحدة سنة ١٩٠٩، وكان عنوانها التي ألقيت به هو «عن التحليل النفسي»، ولما ترجمت إلى اللغة الإنجليزية أعطاها الناشر إسم «خمس محاضرات في التحليل النفسي»، وكان نشرها لأول مرة بالإنجليزية في المجلة الأميركية لعلم النفس. ومنحت جامعة كلارك فرويد الدكتوراه الفخرية، ولم يُنشر النص الألماني للمحاضرات إلا سنة ١٩١٠، والمحاضرات تعتبر خلاصة لاكتشافات التحليل النفسي في المدة ما بين سنة ١٨٩٠ وسنة ١٩٠٩، وكانت الجامعة قد دعته تكريماً له في احتفالها العشرين بتأسيسها، وكان يرأسها وقتذاك ستانلي هول، وهو عالم النفس الكبير، وكان شديد الاحتفاء بالتحليل النفسي، ودعا كذلك كارل جوستاف يونج وألكسندر فيرينزي، وكلاهما كان في ذلك الوقت من أتباع فرويد ويشغلان مناصب كبرى في حركة التحليل النفسي، وكانت دعوة هؤلاء الثلاثة من جامعة مِثْل جامعة كلارك هو إقرار بمدى النجاح الذي حققته سياسة فرويد للدعوة للتحليل النفسي والتعريف به.

والمحاضرة الأولى تعريف بنشأة التحليل النفسي، وأن الفضل في التأسيس له تعود إلى يوسف بروير الذي يُعالج في الفترة من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٢ فتاة مريضة بالهيستيريا، ولاحظ أنها أثناء الأحوال النفسية التي تأتيها من الشرود والتخليط كانت تتمتم بكلمات لها اهتمامات باطنة وشخصية، واستفهم عنها، وجعل مريضته بعد أن نوَّمها تنويماً مغناطيسيّاً تردّدها على مسامعه كلمة كلمة، وطلب إليها أن تستدعي أفكارها حولها، ومن ثم طفقت المريضة تروي عن حياتها

وتخيّلاتها وتتأثر وجدانياً بما تروي، وكانت تُشفَى من أعراضها عقب ذلك بعد يقظتها. وأطلقت المريضة نفسها على هذه الطريقة إسم العلاج بالكلام Talking cure، ووصفت التقنية التي اتبعها بروير معها بأنها بمثابة كنس لمدخنة Chimney sweeping، أو كما نقول بالعامية نشر للغسيل الوسخ، فهي طريقة قوامها تنظيف النفس من أدرانها العالقة بها، من ذكريات صادمة أو مؤلمة، ومشاعر وجدانية قد قمعت وكبتت. وكانت الأعراض تتجدد بالمريضة قبل أن تعالج كلما تجدّدت المشاهد التي تمثل هذه لأعراض رساباتها، وكان علاجها يتمثل في إعادة بناء كل السلسلة من الذكريات المرضة بحسب تسلسلها الزمني، وإنما عكسياً.

ويقول فرويد إن المريض بالهيستيريا يتذكر خبرات مؤلمة من الماضي ارتبط بها وجدانياً، وتثبت على الصدمات المرضة، وحين يعود تحت ظرف العلاج إلى المشهد الصادم ينبعث الانفعال الذي كبته ساعتئذ والذي رافق الصدمة ولم يظهره. وتذكّره للحادث دون أن تصحبه انفعالاته الوجدانية لا يشفيه من مرضه، ويتوقف المرض والشفاء على إظهار هذه الانفعالات، وإذا لم ينفّث عنها فإنها تظل به مصدراً دائماً للإثارة، وقد تتحوّل إلى أمراض للعصاب الذي يطلق عليه اسم الهيستيريا التحوّلية. ففي الحياة السوية تستخدم كمية من الطاقة الوجدانية في التعصّب الجسماني ومنها تأتي ظاهرة الانفعالات، وإذا عاقها عائق فإن التعصّب يظهر بالشكل غير السوي، وقد أثبتت الظاهرة التنويمية أن بالفرد جانباً لاشعورياً يمارس تأثيره على الحالة الشعورية، وأطلق فرويد على ظواهر الهيستيريا إنها نتيجة الحالات النوامية، أي أنها تنبيهات لاشعورية يأتيها الجهاز النفسي كالمنوّم، وهي لذلك ممرضة.

وفي المحاضرة الثانية يشرح المسألة أكثر، ويرد فضل الطريقة التطهيريّة أو التنفيسيّة في العلاج إلى شاركو في مستشفى سالبترييز، ويخطّىء بيير جانيه تلميذه إذ يجعل سبب المرض النفسي هو الوراثة ويعتبر الهيستيريا شكلاً من الانحراف الانحطاطي للجهاز العصبي، ويخالف بروير فيعتبر طريقة التنويم غير

موثوقة وتنطوي على روحانية، ويقرأ لبرنهايم من مدرسة نانسي أن الذكريات الصادمة لا تستلزم التنويم لإيقاظها، ومن الممكن بعثها في الأحوال العادية. وترك فرويد التنويم واكتفى بأن يضع يده على جبين المريض ويطلب إليه أن يتذكر وهو في كامل وعيه متعلقات الأعراض المرضية من حوادث ومشاهد ماضية، ونبّه إلى وجود ما أسماه المقاومة، وردّ إليها ما أسماه الكبت أي كبت ما يرافق الذكريات الصادمة من إنفعالات، فإذا أمكن التغلّب على هذه المقاومة عادت ذكريات المريض إلى التدفق واستشعر انفعالات، فالقُوَى التي تعارض عودة المنسي إلى الشعور هي نفسها التي تسبّبت له وقت الصدمة في ذلك النسيان وكَبَتت في اللاشعور الأحداث الصادمة. وفي جميع حالات الهيستيريا تقوم رغبة عنيفة بالمريض تتعارض مع سائر رغباته وتتنافى مع مبادئه الأخلاقية والجمالية، ويحدث صراع تصبح به الرغبة الناشزة مكبوتة، فتُطرَد خارج مجال الشعور ويطويها النسيان. وما دامت الفكرة أو الرغبة الناشزة غير متوافقة مع أنا المريض فإن الكبت يحدث في شكل مطالب أخلاقية أو غيرها. وما كان قبول هذه الفكرة أو الرغبة المرفوضة، أو السماح باستمرار الصراع لأمد طويل إلا ليؤدّي إلى الشعور بالكدر والضيق، والكبت هو الذي يجنّب المريض حالة الكدر، ويبدو إذن وكأنه لحماية المريض نفسياً.

ولا يذهب فرويد مذهب جانيه في تفسير المرض النفسي بالعجز الفطري للجهاز النفسي، بل يفسره ديناميأ بصراع قوتين نفسيتين هما الشعور واللاشعور. والكبت باعتباره ظاهرة حماية لا يصبح كذلك في حالة المرض النفسي، ولايفلح تماماً كبت الفكرة المرتبطة بها الرغبة الممنوعة، وتستمر الرغبة المكبوتة في عملها رغم ذلك من داخل اللاشعور، وتستبدل الفكرة التي ترتبط بها، والتي مُنِعت، بفكرة أخرى بديلة تتقنّع بها فيتعذر على الشعور التعرّف عليها. وهذا البديل عن الفكرة المكبوتة هو العَرَض الذي يسمح به الأنا. ويلاحظ فرويد أن الأعراض بها تشابهات مع الأفكار المكبوتة، والشفاء يستلزم

إرجاع العَرَض بهذه الوسائل نفسها إلى الفكرة المكبوتة، وهذا يستلزم أيّاً التغلّب على المقاومة، ويتم ذلك بمعاونة المحلّل النفسي الذي يستحث المريض على أن يجد للرغبة حلاً أفضل من الكبت، فتارة يعترف المريض بأنه أخطأ إذ كبت الرغبة المُمرِضة ويقبلها جزئياً أو كلياً، وتارة يتسامى بالرغبة ويوجهها نحو أهداف أعلى وأقل عرضة للنقد، وتارة يقرّ بأنها رغبة غير مشروعة ولكن ما كان يجب التعامل معها بالكبت وإنما بالإدانة الأخلاقية وبذلك يتم التغلّب عليها شعورياً.

والمحاضرة الثالثة يتحدث فيها فرويد عن مبدأ الجبرية النفسية الذي يقوم عليه الفكر التحليلي النفسي، ويذهب إلى أنَّ ما من صورة عفوية يمكن أن تقوم في شعور المريض، وما من شيء يمكن أن يتذكره أو يحلم به يأتي اعتسافاً أو اعتباطاً مئة بالمئة، وإنما لا بد أن له صلة بالمكبوت المنسي من الدوافع والرغبات والأفكار اللاشعورية، ومن أجل ذلك يولي التحليل النفسي عنايته بتداعيات المريض وبأحلامه، وبالهفوات وزلاّت اللسان والنسيانات والأفعال العرضية والصدفويَّة، وكلها تتضمن معان من اليسير غالباً تأويلها، عندئذٍ نكتشف أنها تعبر عن دوافع غريزية، وعن نيّات ومقاصد يريد صاحبها أن يحجبها ويواريها عن الشعور، ومنبعها الرغبات والعقد المكبوتة. ولا يمكن أن يخطر في خاطر المريض شيء دون أن تكون له صلة ولو غير مباشرة بالعقدة المنشودة. وأسهل الطرق لمعرفة اللاشعور هو تأويل الأحلام، ودراسة الأحلام هي التي يمكن أن تؤهل لممارسة التحليل النفسي وفهمه، ولا يصبح المحلّل النفسي محلّلاً نفسياً إلا عن طريق دراسة أحلامه هو نفسه. وليس مدار الأحلام إلا تحقيق الرغبات، وأحلام الأطفال هي تحقيق للرغبات التي ولّدها النهار السابق ولم تنل حظها فيه من الإشباع. وأحلام الراشدين من ذلك أيضاً إلا أنها تتعرض لتشويه وتحريف تتنكر به عن حقيقة هذه الرغبات. والأحلام لها مضمون ظاهر ومحتوى كامن، ويجهد المحلّل بتأويل المضمون الظاهر حيث هذا المضمون الظاهر هو البديل المحرّف للأفكار الحلمية الكامنة.

والتحريف يقوم به الأنا الذي يُدافع عن نفسه ضد الرغبات الكامنة أو اللاشعورية. وتقنية التحليل النفسي هي نفسها تقنية تحليل الأحلام، ومؤداها أن ينصرف المحلّل النفسي بتفكيره عن ترابط الأفكار الذي يبدو به المضمون الظاهر إلى الأفكار الكامنة، كاشفاً عنها، وباحثاً عن التداعيات التي يستحضرها كل عنصر من عناصر المضمون الظاهر، وعندئذٍ سيكتشف أن تفاصيل الحلم ترتبط بانطباعات اليوم السابق، وأنها كالأعراض المرضية تحقيق لرغبات غير مشبعة. والعملية التي يتم بها تحويل الأفكار الكامنة إلى مضمون ظاهر يسميها فرويد «عمل الحلم»، وهي تشبه في تطوّراتها عملية التشويه والتحريف التي يتم بها تحويل العُقَد المكبوتة إلى أعراض مرضية. وتكشف الأحلام عن أن ما يحلم به الراشد مصدره الأصلي خبرات الطفولة، والطفل الصغير يواصل حياته في الراشد بخصوصياته ورغائبه. ويستخدم اللاشعور في الأحلام لتمثيل العقد الجنسية خصوصاً - يستخدم رمزية معيّنة تختلف من شخص لآخر، وتتميّز بسمات عامة ترتد إلى أنماط بعينها من الرموز. وحتى أحلام الحَصر هي أحلام يرفض فيها الأنا الرغبات المكبوتة. وإذا لم تتوفر المقاومات فإن المريض والحالم يمكن أن ينتهي الأمر معهما إلى اكتشاف الرغبات التي يخفيانها بالكبت، والعقد التي تستقي منها.

وتتناول المحاضرة الرابعة الحياة الجنسية عند الأطفال خصوصاً، والتطوّر النفسي الجنسي، ويربط فرويد بين الأعراض المرضية النفسية وحياة المريض الإيروسية، وينبّه إلى أن يعطي للجنس معنى أشمل مما هو معروف ولا يقصره على الناحية التناسلية، وأن للرغبات المُمرضة طبيعة إيروسية (شبقية). وترجع الخبرات الصادمة التي تتولد عنها الأعراض النفسية إلى خبرات في الطفولة، ويعاني الأطفال من الجنس معاناة الراشدين. والجنسية الطفلية تكشف يخص التحليل النفسي بالذات، والطفل به مناطق هوية ويمر بأطوار جنسية ترتبط بها، ويعاني في الطور الأساسي من إيروسية ذاتية، وينتقل من

الطور الإيروسي الذاتي إلى طور اختيار الموضوع. وفي فترة البلوغ تهيمن المنطقة التناسلية ويدخل النشاط الجنسي في خدمة التناسل. وقبل سن البلوغ وتحت تأثير التربية قد تحدث عمليات كبت بالغة الشدة لبعض الميول والنوازع، وقد تتخلّف أثناء التطوّر أشكال من الشذوذ أو الاستعدادات لأمراض لاحقة بفعل النكوص، وقد يحدث أن لا تخضع الغرائز الجزئية جميعها لسيطرة المناطق التناسلية فإذا بالغريزة التي بقيت مستقلّة تؤلف ما يسمّى بالانحراف الجنسي، وتتكون الأعصبة من المقوّمات الغريبة التي تكوّنت منها الانحرافات، وهذه المقوّمات نفسها هي التي يمكن أن تستحيل ركائز للعُقَد التي تصنع الأعراض وتمارس عملها من اللاشعور.

ويمارس الطفل إختياره للموضوع منذ البداية فيمن حوله يعنون به، ويختفي هؤلاء سريعاً وراء الأهل، ويتخذ الطفل موضوعه من الوالدين، ويخضع لنازعاتهما وحنانهما الصريح الجنسي الطابع، وتفضيلاتهما، فالأب يفضل البنت، والأم تفضل الصبي، وما تفجره هذه العلاقات من عواطف بعضها يكون إيجابياً، وبعضها يكون سلبياً، وكذلك العلاقات بين الإخوة، وتتشكّل العواطف عُقَداً تكبت بسرعة، ولكنها تؤلف مع مشتقاتها العقدة المركزية للعصاب، ومن ذلك عقدة أوديب، ومع التطوّر والنمو تنحل هذه العُقَد بتحرّر الطفل من علاقة التبعية بأهله، وبانصرافه لاختيار موضوعه من الأغراب، وتترتّب في هذه المرحلة لذلك واجبات تربوية مهملة حالياً.

وتتناول المحاضرة الخامسة النزوع بالمرض النفسي للابتعاد عن الواقع، وإشباع الرغبات المكبوتة إشباعاً بديلاً بالأعراض المرضية بعد أن عزّ الإشباع بالطريق السوي. ويتم الهرب من الواقع بالنكوص إلى أطوار طفلية كانت قد وفّرت الإشباع للرغبات المكبوتة في حينها، ويبتعث الأسوياء داخل أنفسهم حياة خيالية تعوّضهم عن نواقص وجودهم، وأما المرضى النفسانيون فيحولون مضمون هذه الحياة إلى أعراض. ويمتلك الفنّانون خاصية

تحويل أحلامهم إلى إبداعات جمالية بديلة للأعراض المرضية، وبهذه الطريقة يفلتون من العصاب ويوجدون لأنفسهم علاقات تربطهم بالواقع، وإذا لم تكن لهم ملكة الفن فإن الليبيدو يفضي بطريق النكوص إلى بعث الرغبات الطفلية وبالتالي ظهور العصاب. والعصاب هو الدير الذي يلجأ إليه المحبطون الذين خاب رجاؤهم في الحياة ولم يستطيعوا احتمال تبعاتها، وليس للعصاب أي مضمونٍ نفسي خاص لا يتواجد عند الأصحاء. وكما يقول يونج فإن العصابي يعاني من العُقَد نفسها التي يصارع ضدها الأصحاء، وإنما يتوقف الاتجاه إلى العصاب أو إلى الصحة النفسية على ميزان القوى المتصارعة.

ويتوقف الخلاص من العصاب في العلاج بالتحليل النفسي على ما يُسمَّى بالتحويل، حيث يسقط المريض على المحلّل النفسي مشاعر تشتق من رغبات قديمة للمريض صارت لاشعورية، ويستحضرها العلاج ويعيشها المريض من جديد من خلال علاقته بالمحلّل النفسي، ولا يمكن أن تنحلّ عُقَد المريض وتزول عنه الأعراض إلا في الدرجة المرتفعة من الحرارة التي يوفرها التحويل، ويقوم المحلّل النفسي في هذا التفاعل بدور العامل الوسيط بتعبير فيرينزي، فيشد إليه مؤقتاً الطاقات الوجدانية التي يتم تحريرها.

❖ ❖ ❖

- خواف المرتفعات...

- Acrophobia (E.);...

- Acrophobie (F.; D.)...

الخوف المرضي من التواجد في الأماكن المرتفعة، بما يعني الخوف من السقوط من حالق، قد يرمز السقوط إلى العقاب على رغبات لاشعورية جنسية أو عدوانية، وقد يكون العقاب بالموت أو بالإخصاء. ويرمز انفعال السقوط إلى الانفعال الجنسي، والفوبيا عموماً صيغة تحاول التوفيق بين القوى الدفاعية والقوى الغريزية في الفرد،

والشخص يدفع عن نفسه الرغبات اللاشعورية بأن يزيحها أو يسقطها على موضوعات أو مواقف يتجنبها بعد ذلك.

ويقول فرويد (سنة ١٩٠٠) إن الأرجحة التي يؤخذ بها الأطفال واللهو معهم بأن يُتركوا كأنهم سيسقطون من حالق، والخوف الذي ينمو من هذا اللهو، هو الذي يُصبح من بعد خوفاً من التواجد في الأماكن المرتفعة.

مراجع

- Freud: Interpretation. (1900)

❖ ❖ ❖

- د -

حرف الدال

– الدار الدولية لمنشورات التحليل النفسي...

- Internationaler Psycoanalytischer Verlag (D.)...

أنشأها فرويد في يناير سنة ١٩١٩، وتبرع لإنشائها الأستاذ الدكتور أنطون ڤون فرويند من ماله الخاص، وكان أحد أعضاء اللجنة السباعية للحفاظ على التراث الفرويدي وأصيب بسرطان الخصيتين، وأجريت له عملية استئصال وشفي، إلا أنه كان يخاف من الموت فانصرف إلى عمل الخير، وكان ثرياً، ووهب أغلب ثروته للانفاق منها على التحليل النفسي.. وكان فرويد قد لاقى الكثير من العنت مع ناشره دار هيللار، فاقترح أن يُنشىء فرويدن داراً للنشر، وأوكل ذلك إلى فيرينزي ورانك، وجعل مقرها ڤيينا، وأشرف على إدارتها الأربعة: فرويد، وفيرينزي، ورانك، وفرويند، وحلّ جونز محل فرويند لما أشرف هذا الأخير على الموت، وتسلم عمله في سبتمبر سنة ١٩١٩، وانضم إلى هؤلاء الأربعة آيتنجون كمدير إداري، ورايك مساعداً له، وكان أول كتاب تصدره الدار الجديدة هو «التحليل النفسي وأعصبة الحرب Psychoanalysis and War Neuroses» من تأليف أبراهام وفيرينزي وإرنست سيمل وإرنست جونز في مايو سنة ١٩١٩. وكانت فلسفة فرويد من إنشاء دار النشر هو ضمان إستمرارية النشر وخاصة بالنسبة للإصدارات الدورية للتحليل النفسي، وضمان أن يكون ما يخرج من مؤلفات في التحليل النفسي قد مرّ على فرويد ولجنة النشر ووافقت عليه من حيث الجودة والمحافظة على تقاليد التحليل النفسي، وكإعلان لجمهور القراء أن ما لا يصدر عن الدار ليس من صميم علم التحليل النفسي ولا دخل لجماعة التحليل النفسي به. وحافظت الدار على هذه الأهداف فعلاً مدة العشرين سنة التي استمرت فيها برغم ما استنفدته من العلماء الذين اشرفوا عليها من جهد صرفهم في كثير من الأحيان عن البحث العلمي إلى مشاكل النشر من تمويل وطبع وتوزيع. وصدر عن الدار في هذه المدة

مائة وخمسون مصنّفاً، منها أعمال فرويد الكاملة، وخمس سلاسل من الكتب، بالإضافة إلى دوريات التحليل النفسي. وكان من المفروض أن يكون للدار دخل طيب من بيع الكتب، إلا أنها عانت كثيراً من الناحية المالية، حتى أن فرويد لم يكن يتحصل منها على شيء من عائد مؤلفاته، كما أنها كانت كثيراً ما تلجأ إلى جمع التبرعات كمساندة، واتبعت أسلوب إسهام المؤلف في بعض تكاليف الطبع نظير بعض النسخ، ولذلك شكا الجميع من حقيقة الوضع في دار النشر التي كانت أسوأ في التعامل معهم من الناشر المحترف. ومع ذلك كان فرويد سعيداً بالدار كل السعادة، وشاركه في ذلك كل جماعة التحليل النفسي. وكان لتفاني رانك في العمل بها الفضل الأكبر في استمرارها، وظل يشرف عليها مدة خمس سنوات، ولم يحصل على إجازة خلالها، وبذل فيها من الجهد ما جعله يتداعى بالمرض، حتى قيل إن انهياره النفسي والعقلي اللاحق كان بسبب هذه الفترة المتعبة التي قضاها في إدارة دار النشر.

وتفرعت عن هذه الدار دارٌ أخرى في لندن باسم إرنست جونز سنة ١٩٢١، وأُعطيت إسم «الدار الدولية لمطبوعات التحليل النفسي International Pscyhoanalytical Press»، وكانت أغلب مطبوعاتها ترجمات لأمهات الكتب في التحليل النفسي، وأصدرت أكثر من خمسين مجلداً باسم «السلسلة الدولية لمؤلفات التحليل النفسي International Psychoanalytical Library Series» أشرف عليها جونز، إلا أن الدار تعثّرت مالياً بسبب التوزيع، وبيع مخزونها من الكتب بمبلغ مائة جنيه بعد سنة واحدة، وتوصل جونز أو بالأحرى معهد التحليل النفسي بلندن إلى اتفاق مع دار هوجارث على نشر إصدارات المعهد، وكان ذلك حلاً طيباً، وتم طبع مؤلفات فرويد جميعها من ترجمة جيمس ستراشي بمعاونة فرويد نفسه وفي حياته.

❖ ❖ ❖

- داروين، تنشارلز...

- Darwin, Charles...

(١٨٠٩ - ١٨٨٢) العالم الإنجليزي الأشهر صاحب نظرية التطور، وكان له تأثير ضخم على فرويد منذ سنة ١٨٧٣، أي منذ دراساته الجامعية، وكان شديد التحمّس لنظريته، واستشهد به في كثير من مؤلفاته. وكان إذا نقل عنه فإنما ليستهديه ويوثق به آراءه. وأخذ عنه النزعة العلمية في تفسير الظواهر العقلية من مثل كتابه «التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان» وأعجبه فيه ما يعرضه داروين من علم نفس قائم على الأسس الفسيولوجية. وكانت أمنية فرويد أن يجعل من علم النفس علماً من العلوم الدقيقة على نموذج علمي الفيزياء والفسيولوجيا، وذهب مذهب داروين في النشوء والارتقاء ومراحل التطور، وأنكر مثله الأديان، وقال مثل قولته: موقفي من الدين هو موقف اللاأدريَّة». وقال مثله فيما يخص نظريته في الجنس: لا أجهل أن كثيرين سينعتون النتائج التي توصلت إليها بأنها منافية للدين». وقال بالصراع وأن الأصل في الحياة هو العدوان، وأن الغرائز الأولى هي غرائز الجنس، وأن الأقدر على التكيّف هو الذي يقيض له البقاء. وبنى نظريته في الأخلاق والحضارة على الأساس الغريزي الجنسي. وفي كتابه «الطوطم والمحرم» يردّ الزواج المتعدّد إلى الفطرة في الإنسان الأول، ويشبّهه بالقردة العليا التي تعيش في مجموعات تتألف كل مجموعة من ذكر واحد وعدة إناث. وعرض في كتابه عن «الضحك واللاشعور» إلى أصل الضحك كما عرضه داروين، وفي كتابه «ما فوق مبدأ اللذة»و وقال عن أصل الحياة مقالة داروين أن الاتحاد الجنسي بين خليتين حدث عن طريق الصدفة، وأن الحياة احتفظت بهذا النظام في مراحل التطوّر التالية، وأن الجنس مسألة قديمة، وغرائز الجنس القوية والعنيفة التي تجمع بين الجنسين هي تكرار لأمر حدث يوماً عن طريق الصدفة، ثم بقي واستقرّ لمّا ظهر نفعه.

مراجع

- E. Jones: The Life and Work of Sigmund Freud. (1953)
- Freud: Totem and Taboo. (1913)
: Jokes and their Relations to the Unconscious. (1905)
: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

❖ ❖ ❖

– دستويفسكي، فيودور...

- Dostoyevsky, Fyodor...

(١٨٢١ - ١٨٨١) الروائي الروسي الأشهر، وتتميّز كتاباته بالتعمّق في تحليل الشخصيات واستبار دوافع سلوكها. ويعتبر مقال فرويد المعنون «دستويڤسكي وقتل الأب Dostoyevsky and Parricide» (١٩٢٨) آخر ما صنّفه من السيكولوجيات الأدبية، وكان قد دعا من قبل إلى كتابة مقدمة لرواية «الإخوة كرامازوف» يحلّل فيها بعض شخصياتها ومواقفها، وبدأ في صياغة مقالة لرواية «الإخوة كرامازوف» حلّل فيها بعض شخصياتها ومواقفها، وبدأ في صياغة مقالة السابق عن دستويڤسكي في ربيع سنة ١٩٢٦ إلا أنه شغل بقضية التحليل العلماني والكتابة فيها، ثم قرأ ما كتبه نوفيلد من تحليلات لأدب دستويڤسكي ورأى أنه يوافقه عليها، وأن نوفيلد فيها قد استوفى الموضوع حقه فليس من بعد لمزيد، إلا أن آيتنجون ظلّ يلح عليه إلى أن انتهى من المقال في أوائل سنة ١٩٢٧، وكان يرسل له المراجع تباعاً بما في ذلك مجموعة مراسلات دستويڤسكي، ونلاحظ أنه فيه كان شديد الإجلال لأدب هذا الروائي العظيم ويضعه في المنزلة بعد شكسبير مباشرة، ويقول عن رواية الإخوة كرامازوف أنها أعظم عمل روائي كُتب حتى الآن، وأن الفصل الذي يتناول فيه قضية الحرية عند المسيح وكبير المحقّقين هو من عيون الأدب العالمي بكل المقاييس، غير أنه ينعي على دستويڤسكي - وهذه مكانته الأدبية والفكرية - أن ينتهي إلى هذه النهاية التي انتهت بها

حياته كرجعي مسالم. ويقول فرويد انه لشيء ذي بال أن تعالج ثلاث روائع أدبية إنسانية هي من كبريات الروائع العالمية قضية قتل الأب: رائعة سوفوكل الملك أوديب، ورائعة شكسبير هاملت، ورائعة دستويفسكي الإخوة كرامازوف. وتطرّق فرويد إلى نوبات الصرع الهيستيري التي كانت تأتي دستويفسكي، وولعه بالصيد، ولعلّ أكثر ما تناوله باستفاضة هي الفضائل التي كان يتحلى بها، والتي تمثّلت في مواقف شخصية مختلفة من حياته. وكتب تيودور رايك نقداً مفصلاً للمقال، وردّ عليه فرويد مؤمناً على أغلب ما أثاره رايك من نقد، وصادق على اتهام رايك له بأنه لم يحب دستويفسكي برغم كل الإعجاب بتفوقه وبالحرارة التي يكتب بها، وعلّل ذلك بأن عاطفته (عاطفة فرويد) قد استنفدت في استغراقه فيما يعرض عليه من شخصيات حيّة يستنفذ تحليلها جهده كله، ولذلك تظهر قلّة صبره فوراً مع الشخصيات المريضة من عالم الأدب والفن، ولا يتعاطف معها، أي أنه كان يعتبر دستويفسكي شخصية مريضة نفسياً، وربما كان مرضه ذاك هو سرّ عبقريته مع ذلك.

مراجع

- Orlando, F.:Toward a FreudianTheory of Literature. (1978)
- Laplanche, Jean: Life and Death in Psychoanalysis. (1976)

❖ ❖ ❖